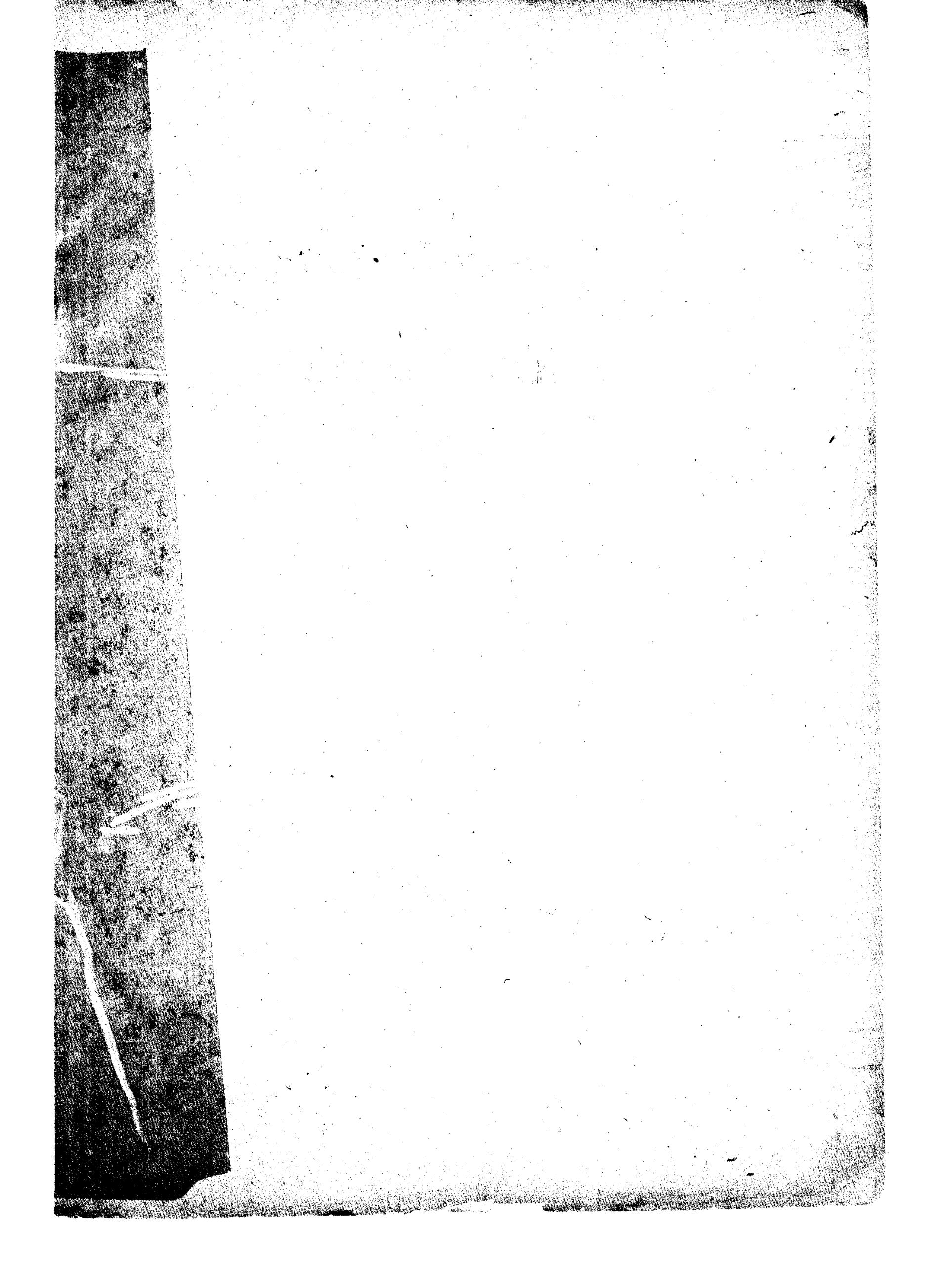
المجتمع الإسلامي المعاصر

في مواجهة رياح السموم

أنور الجندي

دار الاعتصام



بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى البحث

المجتمع الاسلامى المعاصر

إن التغريب والغزو الثقافى المتسلط من خلال قوى كبرى هى الاستعمار والصهيونية والماركسية تهدف إلى غرضين كبيرين

الأول : هزيمة العقل الإسلامى باذاعة الإلحاد والتعطيل من خلال نظريات هدامة وإيدولوجيات مادية تستهدف إعلاء الفكر البشرى والتشكيك فى العقائد والأخلاق والقيم التى قدمتها رسالة السماء .

الثانى : تقويض المجتمع بنشر الإباحية والفساد وتدمير الأسرة المسلمة وضربها بإقامة الخصومة بين الرجل والمرأة وبين الآباء والأبناء وبين الشباب وأدوات الترفيه واللهو وخاصة المسرح والسينما والإذاعة والتليفزيون والصحافة .

وقد وفينا الهدف الأول بدراسات واسعة ونحاول فى هذا البحث مواجهة هذا الهدف الثانى الخطير ، كاشفين عن تلك التحديات الخطيرة والأعاصير التى تحمل رياح السموم .

هذه التحديات المنطلقة من معسكر الاستعمار على نحو من الأنحاء والمنطلقة من معسكر الماركسية على نحو آخر والمنطلقة من معسكر الصهيونية كلها تحديات خطيرة تتفق فى الهدف والغاية وتختلف فى الأسلوب والطريقة

وهى فى مجموعها تستهدف إخراج المجتمع المسلم من طبيعته وقيمه وأسلوب حياته الذى بناه الإسلام وكونته رسالة السماء إلى منهج بشرى مضطرب شديد الإضطراب ، وكان أشد مافرض عليه أسلوب العيش الغربى ، وهو ماأطلق عليه اسم « التفرنج » خروجا عن تقاليد المسلمين وأساليبهم فى الطعام والشراب والزواج والتعامل ومواجهة الحياة وهى فى مجموعها أساليب تقوم على الرحمة والحب وتنبع من الفطرة ثم جاءت المدرسة الاجتماعية لتقول أن الزواج ليس من الفطرة وأن الدين والخلق ليس من الفطرة ! وكما افترضت أن الأخلاق الثابتة التى هى من صميم الدين ، عادات وتقاليد تخضع للتغيير مع أهواء المجتمعات واختلاف البيئات والأزمنة .

ثم جاءت الماركسية لتحارب الأسرة حربا عوانا ولتحطمها وتعمل على تدميرها ، وتنشىء مفهوما اجتماعيا تستبدل به وجودها ، وجاءت فرودية لتفشى مفهوم الجنس وبجعله مصدراً للعلاقات ثم جاء ماركس ليفشى مفهوم المعدة والطعام ويفسر به المجتمعات والحضارات وأخرجت الحضارة المرأة من بيتها ودفعتها إلى ميادين العمل نهاراً وإلى المراقص وغاب الليل مساءاً فدمرت الأسرة تدميراً وطرحت إلى المجتمع أجيالا من الشباب الذى فقد الحنان والأمومة والذى عاش فى أحضان الخادمات والمرضعات حيث غاضت ينابيع الرحمة وحل محلها لون من القسوة والعنف دفعه إلى الرفض والعمل على تدمير المجتمع الذى لم يقدم له مايتطلع إليه من أشواق وآمال .

لقد طرحت الحضارة الغربية سمومها إلى أفق المجتمع الإسلامى ، من خلال ثلاث تيارات عاصفة عنيفة ، عندما سقط المجتمع الإسلامى فى براثن النفوذ الأجنبى فعاش أسيراً لنفوذ الحضارة المادية بأساليبها وإيدلوجياتها وفرضت عليه من خلال مناهج التعليم والتربية والثقافة فلسفاتهم المادية والإباحية بانطلاقها إلى هدم قيم الدين والأخلاق فأصبحت هذه

الفلسفات مبرراً لفساد المجتمعات وانحرافها عن الأسس التي بناها على أساسها الإسلام .

في سنة الاقتباس بين الأمم أمر طبيعي ولكن الاقتباس الذي فرضته سطوة الاستعمار والنفوذ الأجنبي هو من أخطر ما واجه المجتمعات الإسلامية التي لم تكن تملك إرادتها في الإختيار لما يوافق طبيعتها ورفض مالايتفق مع قيمها، ولهذا تشكلت المجتمعات الإسلامية تشكيلا خاطئا خلال النفوذ الأجنبي الذي فرض عليها ثمار أخطائه وفساد تجربته وبعد أن انحسر النفوذ الأجنبي ما تزال المجتمعات الإسلامية عاجزة عن التحرر أو استعادة شخصيتها والتماس أصالتها .

إن ميزة الإسلام الكبرى أنه بنى المجتمع الإسلامي من نقطة الصفر ، وأنه صنع مجتمعه الخاص منفصلا عن المجتمع الوثني وانشأه نشأة مستأنفة فقد خلع أبنائه ماضيهم كله وانصهروا في مفهوم الإسلام الأصيل وقد حول عقيدتهم وتقاليدهم وقيمهم واخرجهم من الجاهلية بكل مفاهيمها

ثم كان أبرز ما أعطى الإسلام للبشرية كلها : تحرر الفرد من عبودية المجتمع وعبودية الإنسان وعبودية الوثنية والمادية وما يتصل بها من جبريات وقيود وجعله ربانيا لا يستعبد نفسه إلا لربه وحده كما جعل القيم مطلقا ثابتا لا يتغير ولا يخضع للعواطف والأهواء ولا للبيئات والعصور .

ثم كان الإسلام شرعة شرعها الحق تبارك للانسان ولم يتركه يشرع لنفسه . بينما جاء المجتمع المعاصر في ظل الحضارة الغربية ليستخدم أهواءه ومطامعه في فرض شريعة زائفة

يقول الفقيه الفرنسي ريجي في مؤلفه السيادة والحرية :

كيف يملك البعض إرادة البعض ويقيد هذه الإرادات ويسمو عليهم

ويفرض عليهم القواعد والنصوص ، وكيف يمكن أن يكون من البشر البشر من يعطى حق التشريع ، لابد أن تكون هناك جهة أعلى من البشر هي التي تمنح البشر قوانينها .

ومن الحق أن يقال أن الإنسان جزء من عصره ولكن دون أن يفصله ذلك عن أصله الثابت الممتد مع العقيدة وضوابطها ودون أن يقطعه ذلك عن رسالته وأمانته ومسئوليته أمام بناء الحياة والتقدم ، على أن لا يدفعه هذا التقدم إلى الانحراف نحو المادة وحدها وأن يجعل كل حضارة ومحصوله لله رب العالمين يبتغى به رضاه ويستهدف به إقامة المجتمع الربانى والاستعلاء على الشر والارتفاع إلى مقام الحياة الأخرى .

وهم بهذا الفهم يعارضون النظريه البشرية .

هذه النظرية الباطلة التى دمرت المجتمعات الغربية اليوم وخلقت أزمة الإنسان الحديث . تلك النظريه المتمثلة فى النفسية الفرويدية والنظرية الجماعية لدوركايم والنظرية الاقتصادية لماركس ، والنظرية الوجودية لسارتر ، والنظرية البرجماتية القائمة على المنفعة .

وعلى المسلمين اليوم أن ينظروا إلى تجربه المجتمع الغربى بعين مفتوحة لقد تنقلت البشرية بين نظم عديدة : الفردية والجماعية والرأسمالية والماركسية وجربت المتاع الحسى المنطلق بلا غاية أو هدف وجربت الإيمان بكل إله من صنع الإنسان والإنسان المتأله والإلحاد بكل إله .

وقد عرف العصر الحديث تجاوزات خطيرة : بمفاهيم ترمى إلى عودة الإنسان إلى الرق ، وإلى الجبر ، وإلى الوثنية ، وإلى حيوانية الجنس والطعام والانحراف عن الفطرة والطبيعة الإنسانية الأصيلة .

لقد كان هدف الدعوات الهدامة إعادة الإنسان إلى الرق وإعادة الفكر إلى الجبر وإعادة البشرية إلى الوثنية ، ورد الإنسان إلى حيوانية الطعام والجنس والقضاء على الفطرة الطبيعية الأصيلة للإنسان بعد أن حرره الإسلام من ذلك كله وفتح له الطريق إلى إنسانيته المندفعة إلى القيم العليا .

واليوم تطرح القوى ذات النفوذ هذه المذاهب الهدامة فى أفق المجتمع الإسلامى وتزين آراء فرويد ودارون وهيجل فى هدم كل عقيدة دينية وتشجيع جماعة الساخطين والخنافس والهيبيز والعبث واللا معقول ، عن طريق ذلك الركام الضخم من الكتب والمسرحيات والقصص والأفلام .

ومن أخطار التحديات التى طرحها الفكر الوافد فى أفق المجتمع الإسلامى : تلك الفكرة المسمومة إلى عبادة الحياة ، ودعوة الناس إلى الإنكباب على الدنيا يحاولون إشباع نهمتهم منها ولا يفكرون فى الآخرة .

وكانت محاولات إسقاط الأسرة ، والقول بأن القيمة للمجتمع من الشبهات الخطيرة التى ترفضها الفطرة ويرفضها العلم .

وهناك شبهة القول بأنه ليس هناك فارق بين الشرق والغرب أو بين الأمم والشعوب ، الذى قد يكون صحيحا من ناحية التكوين الإنسانى العام ، ولكنه يكون فاسداً أشد الفساد من ناحية الثقافات والعقائد ، فقد تكون لكل أمة خصائص متميزة وإتجاها مختلفا .

ولقد كان المجتمع الإسلامى بطبيعته قائماً على النظرة الجامعة ، بين العقل والقلب والمادة والروح ، والدنيا والآخرة بينما سيطرت على المجتمع الغربى (إنشطارية) مدمرة تحول بينه وبين التكامل ، وقد دخل المجتمع الغربى مرحلة الأزمة منذ وقت طويل ، بعد أن عجزت الحضارة الغربية

أن تعطى سكينة النفس أو طمأنينة الحياة ، بينما دخل المجتمع الإسلامى فى نهاية عصر التبعية وبدأ عهد الترشيد .

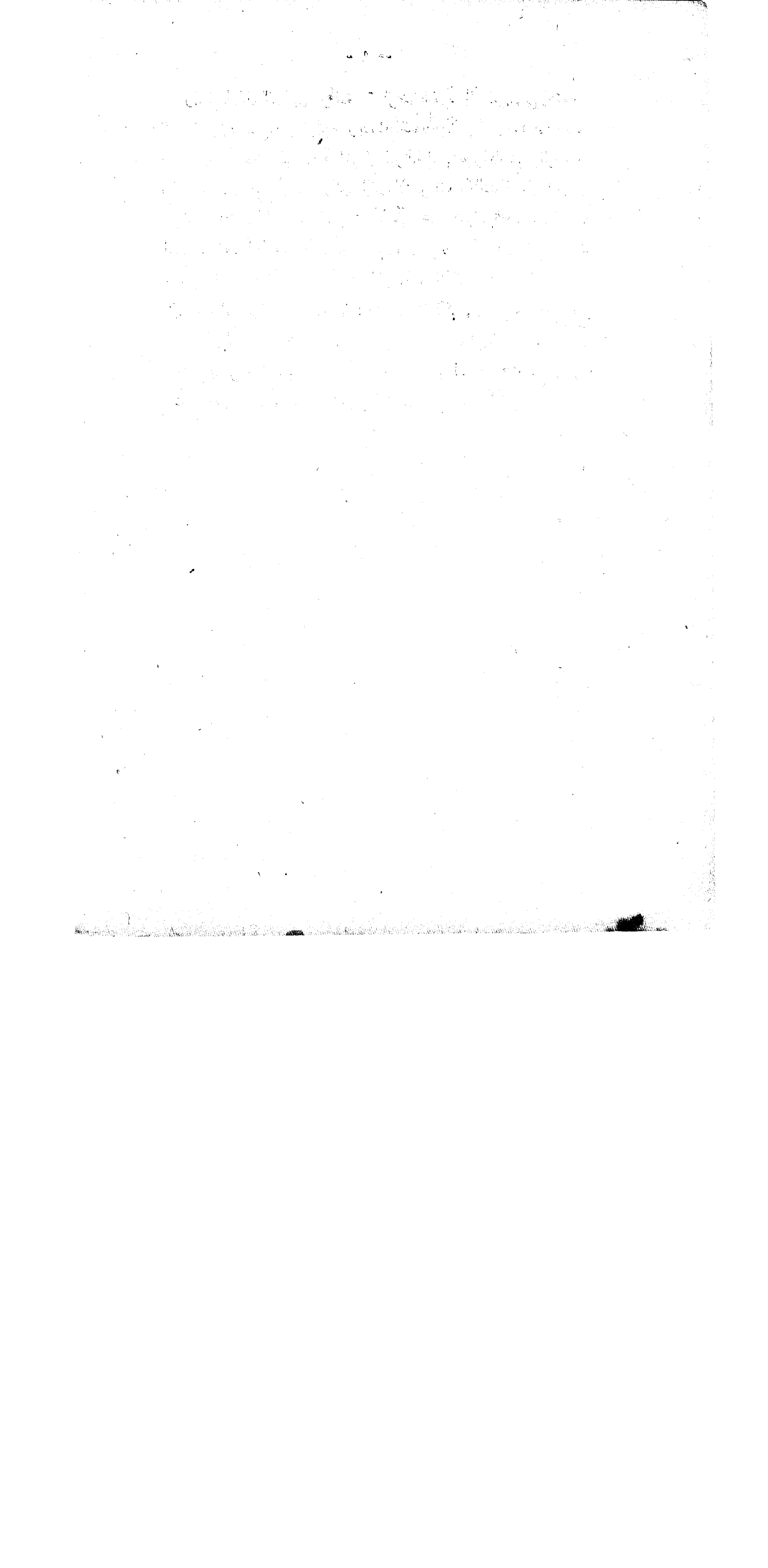
فالمسلمون وإن كانوا قد خضعوا زمناً فى ظل النفوذ الأجنبى إلى مفاهيم ليست مفاهيمهم ، فإنهم قد تنبهوا اليوم بعد التجربة المريرة فى الخضوع للنظرية الليبرالية أو النظرة الماركسية أن الطريق أمامهم مغلق . وأنهم قد خسروا أكبر خسارة ، وأنهم وقعوا فى براثن الهزيمة والنكبة والنكسة سنوات طويلة وأن لا مخرج لهم إلا بالتماس المنابع والعودة إلى الأصالة .

وعليهم أن يقدروا أن منهجهم الأصيل هو طريقهم الوحيد ، وأن لهم منهجاً متميزاً فى الاجتماع يقوم على مفهوم أخلاقى .

ويفرق الإسلام بين الأخلاق التى هى جزء من الدين وبين التقاليد التى هى من صناعة المجتمعات ، وتقرر بأن التقاليد العامة لا يجوز أن تنبع من منابع غير إسلامية فالأزياء والزيارات والإختلاط وشئون الأفراح والموت والأمور العامة والأسرة والبيوت وكل مايتصل بها من شئون يجب أن تستمد مفهومها من الأصالة الإسلامية وأن يرفض المجتمع الاسلامى كل تقاليد مجلوبه ومستوردة ولست تابع من دين آلامه أو تقاليدها الأصيلة .

وللاسلام مفاهيم أصيلة فى شأن المرأة والأسرة والعادات والملابس ، ويرفض ماتقوله المذاهب الواحدة من أن الجانس عملية بيولوجية لا علاقة لها بالأخلاق ، ويرى أن عفاف المرأة والبكارة أصول أصيلة ، وتقرر أن لا صلة بين المذاهب الاجتماعية والحقائق العلمية فالحقيقة العلمية تثبت فى المعامل أما المذاهب الاجتماعية فهى نظريات وفروض تخطىء وتصيب وتصلح لقوم ولا تصلح لآخرين وهى ليست إلا استجابات لتحديات مجتمعات خاصة أو عصور بعينها وأنها لا تصلح لتكون قوانين عامة صالحة للبشرية .

ولقد حاولت القوانين الوافدة التى فرضها النفوذ الأجنبى على المجتمع الاسلامى أن تحمى الربا والزنا وبذلك أفسدت الأجيال وهددت وجود الأسرة وبدأ خطر ذلك كله فى الهزائم المتوالية امام الغزو الاجنبى والزحف الاستعمارى والصهيونى والماركسى الذى لا يتوقف وكانت اخطر المحاذير التى تهدد المجتمع الاسلامى اليوم : إنما تأتى عن طريق العجز عن تأمين الحدود والضوابط وماتنطلق منه افلام ومسرحيات الجريمة والجنس وعلينا أن نتساءل ماذا حققت دعوتى اللبرالية والماركسية اللتين فرضتا على المجتمع الاسلامى ثم تبين فشلهما : هل حقق الماكسيون حرية الطعام وهل حقق اللبراليون حرية الفكر ، وهل كان على المسلمين أن يختاروا بين الطعام وحرية التفكير ، مع أن الاسلام حقق لهم حرية الطعام وحرية التعبير معا . دون أن يكلفهم صراع الطبقات أو تدمير الأخلاق .



الباب الأول

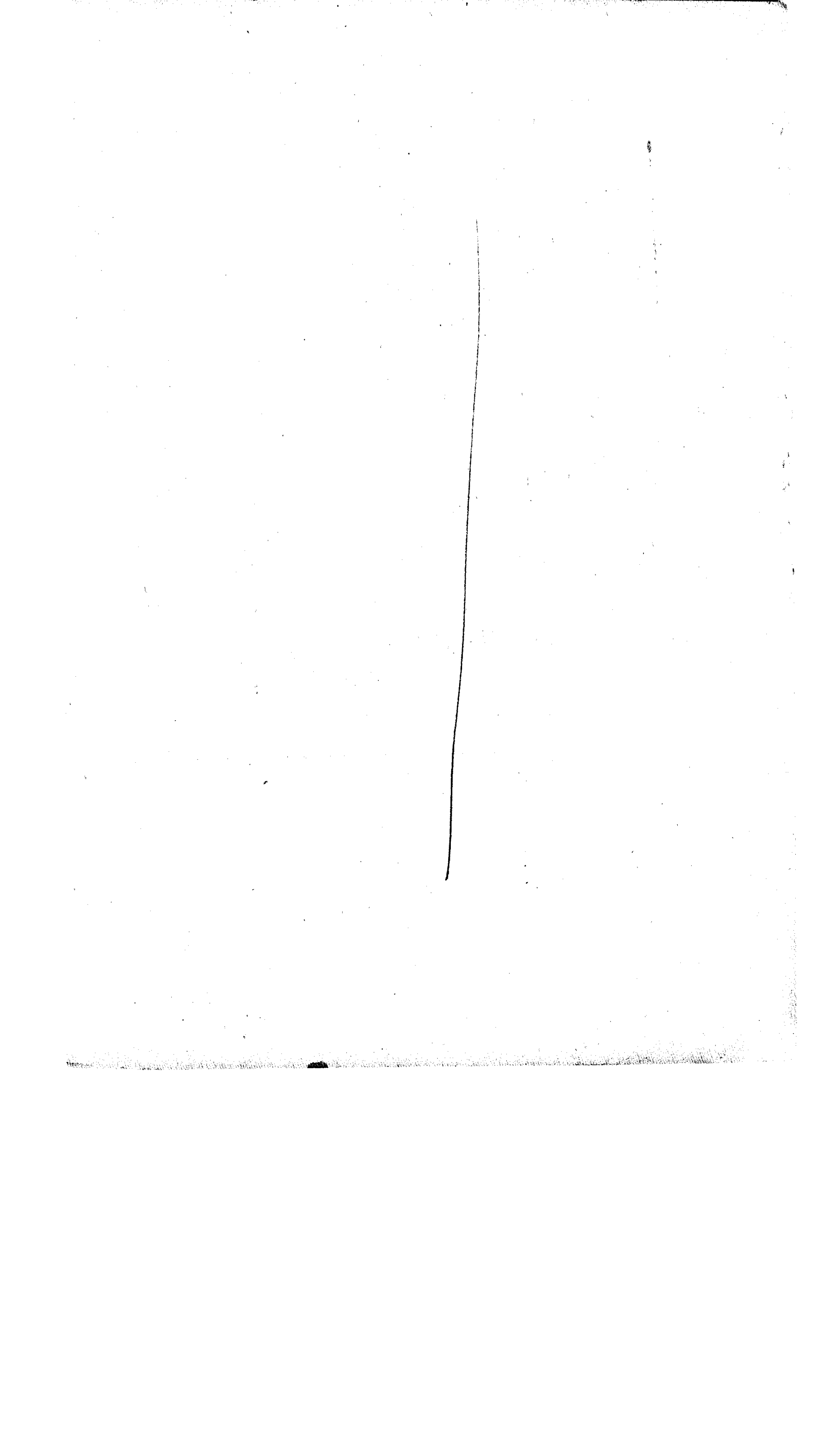
رياح السموم التي طرحتها النظريات المادية

أولا : أثر الروافد الثلاث : الاستعمار والصهيونية والماركسية .

ثانياً : هدم الأسرة المسلمة .

ثالثاً : محاولة القضاء على وظيفة المرأة الأساسية .

رابعاً : محاذير تواجه رسالة الامومة .



الفصل الأول

أثر الروافد الثلاث

(الاستعمار والصهيونية والماركسية)

منذ بدأت سيطرة النفوذ الاستعمار الغربى على العالم الاسلامى ، حاول الفكر العربى (الليبرالى الديمقراطى الرأسمالى) السيطرة على المجتمع الإسلامى ، كان هذا الفكر مسيحيا كنسيا ، له جذور يونانيه ومفاهيم رومانيه تقوم على :

(أولا) الاستعلاء بالجنس واللون وتنظر إلى الشعوب الإسلامية على أنها شعوب ملونه متخلفة .

(ثانيا) السيطرة الاقتصادية التى كانت تدفع النفوذ الغربى إلى سرقة ثروات هذا العالم الإسلامى ومواده الخام عن طريق إعداد حكام وأمراء ووسطاء يمكنونهم من نهب هذه الثروات

(ثالثا) العمل على دوام السيطرة الاستعمارية وامتدادها وذلك بتطويع القيادات والأمة للخضوع لأسلوب العيش الغربى والتبعية للفكر الغربى .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف كان لابد من إحتواء المجتمع الإسلامى من خلال مفاهيمه الاقتصاديه والسياسيه والتربوية .

ولذلك فقد طرح النفوذ الأجنبى منذ اللحظة الأولى فكرة فصل الدين عن السياسة وإعلاء شأن العلمانية بمفهوم (اللادينيه) التى تقرر إتخاذ

القانون الغربى الوضعى نظاما للمجتمع فى شئون القضاء ونظام الربا فى مجال الاقتصاد والنظام الديمقراطى الغربى فى نظام السياسه والعمل على حجب الشريعة الاسلامية بكل معطياتها ومن ثم فقد فتح القانون الوضعى الباب واسعا أمام رياح السموم التى اجتاحت المجتمع الإسلامى (وفى مقدمتها الخمر والربا والزنا) وسرعان ماتحطمت الحضارة التى كان عرفها المجتمع الإسلامى خلال قرون ثلاثةعشرة متصلة منذ بزوغ الإسلام فلأول مرة توقفت الحدود والضوابط والقواعد والنظم الإسلاميه.

وهكذا طرح فى أفق المجتمع الإسلامى (أسلوب العيش الغربى) تحت اسم التحضر والمدنية والتقدم وارتفعت أقلام دعاة النفوذ الغربى لتدعو المسلمين إلى الأخذ بأسلوب « التفرنج » لأنه هو الطريق الوحيد إلى الحصول على الحرية والاستقلال ، وبينما كان المسلمون يدفعون النفوذ الأجنبى والاحتلال العسكرى بكل مايملكون من وسائل الجهاد ويستشهدون كان زعماؤهم يقبلون أساليب الغرب فى السياسة والاقتصاد والتعليم ويمكنون لها فى المجتمع الاسلامى وعاش كرومر فى مصرربع قرن حتى تمكن من تخريج الطبقة المتفرنجة التى قبلت التعاون مع الاستعمار لتكون البديل لوجود الاستعمارى السياسى ولتحمل لواء أهداف « التغريب » كاملة فلما تحقق ذلك انسحب الاستعمار العسكرى مطمئنا إلى أنه أقام من الوطنيين من يعمل من أجل تأكيد وجود « المدنية الغربية » والحضارة :

لم تكن محاولة طرح أسلوب العيش الغربى فى المجتمع الاسلامى باستعمال الوسائل الحديثة هى المقصود فإن المجتمعات تستطيع أن تعيش من الأساليب المادية ما تراه صالحا لها، وكان الهدف كان أبعد من ذلك ، كان وضع المجتمع الإسلامى فى حالة التبعية والإحتواء للغرب ، ونقل الجماعة الإسلامية إلى حالة جديدة من شأنها أن تمزق الأسرة :

(١) - بالسهرات الصاخبة والخمر ويتصل بهما من اختلاط الرجال والنساء .

(٢) - التخفف من التماسك الخلقي وفتح الباب أمام الرشوة باسم الهدية في مقابل خدمة مقدمة على حساب المجتمع .

(٣) - الولع بالترف ، والزخرف ، والأواني ، والزينة ، والتحف والموسيقى والتخفف من جديات الحياة وخلق طابع التحلل والرخاوة .

(٤) - خلق نوع من الاعجاب بالغاصب وتقليده والتعلم في مدارسه والإبتعاث لبلاده والاعجاب بأبطاله وكل هذا كان من شأنه أن يحطم في الجماعة روح الخشونة والصلابة والقوة بحيث تصبح عاجزة عن مواجهة النفوذ الأجنبي والغزو الخارجي ومقاومة السيطرة الأجنبية المتغلغلة :

ومن شأن هذا كله أن يجرى تحريفا خطيرا في فهم الاسلام ، فقد استطارت دعوات الاستشراق والتبشير إلى القول بأن الاسلام دين عبادي لاهوتي محض لا علاقة له ، بالنظم الاجتماعية والسياسية وبذا سرى روح مسيحي كنسي في محيط الاسلام حتى وجدنا من يقول أن الاسلام بخير ما دامت المساجد مفتوحة والموالد مقامة ، أما التنظيم الاجتماعي الاسلامي فقد حجب حجبا تاما خلف الايدلوجية الغربية الليبرالية الديمقراطية الرأسمالية

وسيطر التعليم الغربي الذي صاغ أجيالا من المؤمنين بالديمقراطية الغربيه نظاما للحكم ، والاقتصاد السياسي الربوي منهجا للتعامل وعن طريق التعليم انطلقت ايدلوجيات أخرى في مجال الفلسفة الاجتماعية والنفس والأخلاق استمدت مفاهيمها من مدرسة الفلسفة الاجتماعية التي أنشأها (دوركايم) والتي كانت تستهدف سيطرة النظرية المادية والفلسفة الماركسية على الفكر الاسلامي .

ثم لم يلبث المجتمع الاسلامى أن دخل مرحلة أشد خطراً حين أصبح الفكر الماركسى هو منهج السياسة والاقتصاد والاجتماع فى بعض المجتمعات الاسلامية بديلا للنظام الغربى الديمقراطى الرأسمالى ومرة أخرى خضع التعليم لدراسات الماركسية والنظريه الماديه وأصبح الاقتصاد هو التفسير الوحيد للمجتمع والحضارة والتاريخ .

وقد أمكن عن طريق التعليم والثقافة والصحافه إحتواء المجتمع الاسلامى فى نظريات غربية وافدة وإيدلوجيات غربية وماركسية أخطرها الماركسية والفرويدية والوجودية حيث تفسر الماركسية المجتمع تفسيراً إقتصاديا وحيث تفسر الفرويدية المجتمع تفسيراً جنسيا وحيث تفسر الوجودية المجتمع تفسيراً فرديا :

ومن خلال ذلك طرحت نظريات خطيرة : منها نظرية التطور المطلق ونظرية نسبية الاخلاق ونظرية لا نظرية الاسرة ووجدنا كلا من ماركس وفرويد يحاول أن يقدم منهجا اجتماعيا كاملا من خلال فرعية الاقتصاد التى هى قطاع من الفكر الانسانى لا يستطيع أن ينفرد بنفسه بتوجية الحياة ولا كذلك فرويد من خلال فرعية النفس .

وكذلك خاضت المناهج والدراسات الغربية من خلال سيطرة المفهوم المادى عليها فى قضايا لم تستطع أن تقدم فيها الرأى الصحيح ، وكان أبرز هذه القضايا قضية الإنسان نفسه ، وهل هو حيوان يخضع لقوانين الحيوان أو يخضع لتطبيق منهج العلوم التجريبية عليه ومنها قضية الدين ، وهل نزل من السماء أم خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها ، على النحو الذى طرحه دور كايم وغيره ونقله إلى افق الفكر الإسلامى طه حسين وغيره .

ولقد كان من وراء تجارة الغرب المصدرة إلى عالم الاسلام يقوم على الربا والمحرمات والخمر والمخدرات والسموم فقد كانت الأخلاق عقبة فى سبيل نجاح هذه التجارة فكان لابد من أن يطرح فى أفق العالم الاسلامى دعـــوى حارة إلى هدم الأخلاق وتدمير القيم حتى تزخر علب الليل والكازينوهات وتجارة الجنس والفساد ولابد من الدعوة إلى الترف والرفاهة والانحلال لامتصاص ثروات الأمم الاسلامية عن كل طريق : عن طريق النفوذ وعن طريق الربا وعن طريق الفساد وقام فى العالم الاسلامى مجتمع اللهو الذى أعانت على قيامه كل الايدلوجيات الغربية والماركسية واليهودية التلمودية وفى سنوات قليلة لم تتجاوز العشرة من وصول ركب الاستعمار أمكن للمرابين وتجار الخمور وتجارة الرقيق الأبيض من الاستعلاء على نصف ثروات المسلمين .

وكانت أخطر التحديات التى واجهت المجتمع الاسلامى « مؤامرة بروتوكولات صهيون » التى تخدمها الناس وتحاول تحقيق هدفها عدة مؤسسات منها الماركسية والشيوعية العالمية، ومنها مدرسة العلوم الاجتماعية التى تدرس فى الجامعات على أنها علوم أساسية .

ذلك أن الايدلوجية التى تقدمها اليهودية العالمية للسيطرة على العالم كله تستهدف تدمير القيم الدينية والاخلاقية وإفساد المجتمع بالتحلل والاباحية وهى تضع مخططا خطيراً للشباب . يقول البروتوكول التاسع ، « فأما شباب الجوييم (غير اليهود) فقد فتناهم فى عقولهم ودوخنا رءوسهم وأفسدناهم بتربيتنا إياهم على المبادىء والنظريات التى نعلم أنها فاسدة مع أننا نحن الذين لقنوهم ما تربوا عليه » البروتوكول التاسع ، وهناك إشارات متعددة إلى تدبير اليهود لانجاح النظريات الدارونية والماركسية والنيتشية .

ولقد وضحت خطة الصهيونية العالمية فى تدمير المجتمع فى ذلك المخطط الذى جرى تنفيذه مما أطلق عليه إفشاء العادات الجديدة وإيقاد العواطف والاستثارة والاستفزاز والتبرم من شئون الحياة (وذلك كله حتى يصبح من المستحيل على أى شخص أن يعلم أين هو من هذا المعترك الذى خاض فيه وقد عم الناس اليأس والبلبلة » .

وهكذا نجد أن اليهودية العالميه الطامعه فى السيطرة على العالم والتى أصبحت قادرة منذ سنوات على احتواء الفكر الغربى والتى تسعى حثيثاً لافساد المجتمع الاسلامى . نجدها تطرح مخططا غاية الخطورة يبدأ من نقطة الانهيار التى قام بها النفوذ الاجنبى الاستعمارى . ولقد كان لسيطرة اليهودية العالميه على مجالات الاعلام العالمى والسينما والمسرح وكل ما يطرح فى باب القصص والمسرحيات من مفاهيم مسمومه أبعد الأثر فى خلق أخطر تحديين فى حياة المجتمع الاسلامى الحديث وهما (الجنس والجريمه) .

يقول الدكتور أحمد محمد خليفه (إن هناك ظاهرة حديثه ألمت بالمجتمع تلك هى أن عددا أكبر من الشباب قد انزلق إلى هوة الجريمه ، وإن الرأى فى تعليل هذه الظاهرة قد تشعب إلى فريق يلقى اللوم على سياسه التوسع

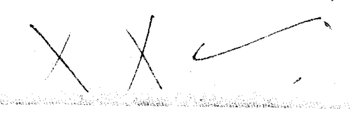
فى التعليم حتى كان من نتيجتها أن الطلبة الذين ينتمون إلى أسر رقيقة الحال اندمجوا فى أوساط أكثر اقتداراً وثراء فشعروا بالعجز عن مواجهة الحاجات التى يتطلبها مستواهم الجديد فاندفعوا للحصول على المال ولو من غير الطريق المشروع ، وفريق يرى ظروفاً أخرى اجتماعية وتربوية منها ضغوط الإغراء الجنسى ومؤثراته على الشباب فى الوقت الحاضر ، ومنها مظـــاهر التبرج التى جعلت النساء يكشفن أكثر مما يخفين والأشرطة السينمائية ولون معين من الصحف والمجلات وخاصة قصص المتعة ودعوة الانطلاق والتحلل والرضاء الجسدى .

« هذه الدوامة الهائلة التى تقدمها الحضارة الحديثة تفقد الشباب توازنه وتبلد تفكيره بما يعجزه عن العمل ويقعده عن الإنتاج ، وفى البلد أندية وحانات فيها من السكر والقمار والدعارة ما ينتج الجريمة لا محالة ، فتلك الأماكن مغارس للجرائم لا بد أن نعنى بها ولن ينفعنا سن القوانين والإكثار من الشرطة . وإن العلاج الحقيقى هو إصلاح الأنفس ومواجهة هذه الآراء الدخيلة وتمكين الأخلاق القويمة التى هى عماد كل إصلاح .

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

ذلك لأن مرض الأنفس هو المرض الدائم ، هو مرض الوطن ، فإذا عولج سهر الاستعمار لتكوين كياننا النفسى فى مجتمعنا العصرى على أساس يضمن له استمرار ضعفنا فقد رسم لمدارسنا المناهج والتقاليد التى اقتصر فيها على التعليم الشكلى دون التوجيه النفسى ، حرص الاستعمار على إيقاظ شهوات الناس وهذه آفة الأندية والحانات ودور المقـــامرة وأسواق الدعارة .

وقد كانت هذه المرافق كلها بما كان يسمى نظام الحماية الأجنبية أما



الصحافة فقد تطورت إلى صناعة تجارية تدفع الضرائب وتستلهم أهواء الجماهير وشهواتهم بما تقدمه لهم فنشأ مجتمع الملاهى والسينما الماجنة وتمجيد لاعبيها ، وقد قلدت السينما الصحافة فى استلهام أهواء الجماهير وقال إن على البلاد أن تبنى كيانها الروحى والفكرى والمادى »

وهكذا نجد أن المجتمع الاسلامى قد وقع تحت سيطرة النفوذ الأجنبى فانحرف عن طريقه الطبيعى وقد نشأت تلك التحديات الخطيرة فى مجال الشباب والمرأة والطفولة والأسرة وكان لهذا أثره الكبير فى الاخطار التى هى بمثابة الانحراف عن منهج الاسلام فى بناء المجتمع .

الفصل الثاني

هدم الأسرة المسلمة

ركزت الفلسفات المادية ومناهج العلوم الاجتماعية والدعوة الماركسية ومذاهب التحلل والإباحية الغربية المبثوثة من خلال القصة والمسرحية والروايه السينمائية والتي تستمد مفاهيمها من آراء فرويد وماركس وسارتر وغيره على هدم الأسرة بصفة عامة وحين تطرح هذه المفاهيم في أفق الفكر الاسلامي فإنما تكون بمثابة أخطر التحديات التي تواجه المجتمع الاسلامي .

ومنذ سنوات طويلة نجد محاولة هدم الأسرة الاسلامية عمل ضخم منظم لا يكشف عن هدفه ويتخفى وراء عبارات براقة لامعة كتحرير المرأة وحرية الجنس وعمل المرأة ، وخلق البدائل المختلفة كصديق الأسرة وسهرات أندية الليل وإيجاد البديل عن الزواج الطبيعي وحبوب منع الحمل وغيرها من وسائل تستهدف ضرب الأسرة في الصميم .

وقد كان لهذه العوامل أثرها في دخول (الأسرة المسلمة به مرحلة حرجة في محاولة لازالة قداستها وتعرية وجودها وتصويرها بصورة فردية حتى تستهين نفوس الرجال والنساء بها .

والواقع أن الأسرة بوصفها حصن المجتمع كله تتعرض لمحاذير وأخطاء كثيرة من أبرزها محاولة تجاهل الأسرة كأساس للبناء الاجتماعي كله في الكتلة الشرقية حتى لا تكون فاصلا بين الفرد والدولة ، وحتى لا ينـــال التعلق بها والارتباط بعواطفها من تعلق الفرد بالجماعة الكبرى وولائه لها ،

ولا ريب أن هذا الاتجاه من شأنه أن يزلزل كيان المجتمع كله ويعرضه للزوال ولا يحمى وجود الجماعة الكبرى .

(ثانيا) خطأ النظرية التى تحاول أن تقول بأن وظيفة الأسرة قاصرة على مجرد إشباع الاحتياجات الجنسية والعاطفية للزوجين ، ذلك لأن مهمـــة الأسرة تستهدف فى الأساس إنشاء وتربية واحتضان النشء ورعايته وإيصال القيم والمثل التى تحفظ للمجتمع استمراره وتطوره .

(ثالثا) محاولة جعل استغلال المرأة اقتصاديا من عوامل تعتبر علاقتها بالرجل وبالأسرة بما يصدها عن رعاية الطفل والبيت وتمهدهما والالقاء بهم إلى الخدم ودور الحضانة ولابد أن ذلك ستكون له آثاره العميقة فى المعاناة العاطفية لهؤلاء الأبناء نتيجة لنقص الحنان الفطرى الذى لا تقدمه إلا قلوب الأمهات .

(رابعا) خطر تعدد مراكز السلطة داخل الأسرة بين الوالدين مما يوقع الأبناء فى حيرة نفسية تشتت عواطفهم وتبدد أمنهم النفسى الذى يستمدونه من مكانة (الأب) باعتباره المصدر الأساسى للسلطة .

(خامساً) قصور الأسرة الجديدة عن رعاية كبار السن من الآباء والأهل والفقراء والبعداء .

(سادسا) صراع الأجيال داخل الأسرة مما يؤدى إلى اهتزاز القيم والمعايير السلوكية بما يفقدها دورها فى الضبط الاجتماعى وتوجيه الفكر والسلوك مما يعرض الأسرة للتفكك .

هذه المحاذير ترجع إلى تلك المحاولات التى قامت بها مدرسة العلوم الاجتماعية والماركسية لمحاولة هدم الأسرة ، بالاضافة إلى الدعوات المثارة إلى

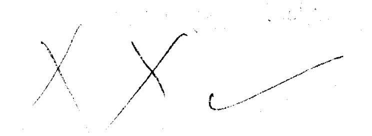
تبرير العلاقات غير الشرعية بين الرجل والمرأة ، وإعلاء شأن الجنس ، والدعوة الصارخة إلى إخراج المرأة من بيتها واستغلالها اقتصادياً مما أدى إلى سقوط الغيرة من أجل الزوجة وسقوط العطف من أجل الآباء والأهل

ولا ريب أن الدعوة إلى هدم نظام الأسرة هي أخطر التحديات التي واجهت المجتمع الغربي وكانت مصدر أزمته الاجتماعية القائمة اليوم ، وهي تهدد المجتمع الاسلامي تهديدا شديدا ، مما يتطلب العمل المتصل على حماية الأسرة المسلمة من تلك الأخطار الوافدة ، وذلك بالنظر إلى الركائز الحقيقية الفطرية التي قعدها لها الاسلام بحيث أصبحت الأسرة في المجتمع الاسلامي أكبر من كونها مجرد وسيلة لتحديد النسل وتربية الأبناء وإعدادهم للقيام بدورهم في الحياة الاجتماعية .

فالأسرة ـ كما يقول الدكتور محمود حسين في كتابه الأسرة ومشكلاتها ـ كجماعة وظيفية تزود أعضائها بكثير من الاشباعات الأساسية من بينها توفر مسالك الحب بين الزوجين وبين الآباء والأبناء وكذلك بين الأطفال أنفسهم .

ولقد كانت الأسرة المسلمة ولا تزال هي البؤرة الوحيدة لتشكيل الحياة العاطفية والجنسية والاجتماعية للمتزوجين ، ولا يأتي الخلل إلا من خرق هذا الجدار ومن نشوء علاقات جنسية خارج الأسرة ، ومن ورائها . ولا ريب أن شيوع ذلك سواء بالنسبة إلى حياة ما قبل الزواج أم بالنسبة إلى فترة الحياة الزوجية هو إضعاف للأسرة وإفساد لتكوينها وخرق لجدرانها .

ويقرر الباحثون أن الأسرة المسلمة تنطلق من نظام فكري كوني يقرره التصور الاسلامي في الخلق (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) ويقر به التصور الاسلامي إجتماعيا ونفسيا وعقليا على حد تعبير الأستاذ



محمد العربى الناصرى ومن هنا فإن محاولة هدم نظام الأسرة إنما هو بمثابة معارضة لحقيقة قائمة عميقة الجذور قوية الدعائم لاسبيل إلى مواجهتها بالحذف والإزالة عن طريق طرح مجموعة من الافتراضات على طريق امتداد لنظرية دارون وماركس . وفرويد . ودوركايم ذلك أن الأسرة تعتبر النظام الانسانى الأول فى تقدير علماء الاجتماع ومن وظائفها استمرار النوع والمحافظة عليه .

وقد صمدت الأسرة فى وجه مختلف الأحداث والتحديات يقول الدكتور عثمان خليل عثمان : أن للأسرة نصيب كبير من الفطرة آيته ذلك المزاج الدافع إليها من غرائز الجنس وحب البقاء وعواطف الأمومة والأبوة والبنوة والأخاء والرحم مع ما يفتعل من خلال هذه الوشائج المتعددة من مودة وحب ورحمة) وقد صمدت الأسرة الإسلامية فى وجه التيارات الغربية الوافدة التى تحاول اعتبار الزواج مجرد رابطة عقدية مدنية كسائر العقود المدنية وتحررها من السند الدينى والعقائدى التى تحميها من عواطف الزمن ومخاطر الانحلال

ومن أجل هذا كان على المجتمع الإسلامى أن يحمى نظام الأسره ويوفر لها أسباب الاستقرار ويساعدها على القيام بدورها وأداء وظيفتها

وقد فصل الإسلام أحكاما شاملة للزواج والأمومة تتناول الجانب الشخصى والمالى منذ بدأ الخطبة إلى عقد الزواج إلى واجبات الزوجين والأبناء والاقربين إلى النفقات والطلاق والميراث والوصية وما إلى ذلك وهى أحكام ملزمة ترتبط بالعقيدة وبالحلال والحرام .

ومن هنا يتبين فساد محاولات استقطاب ولاء الفرد للدولة عن طريق إبعاده عن الاسرة ؛ أو وضع الاسرة فى مواجهه المجتمع ، وفساد القول بين تعلق الفرد بالاسرة يضعف ولائه للجماعة الكبرى ، وقد سقطت نظرية أفلاطون هذه التى جددتها الماركسية سقوطا شديدا ولم تصدق حين زعم أفلاطون بأنه حق للأطفال منذ ولادتهم أن ترعاهم الدولة بدلا من الوالدين .

وقد تنبه كثير من الباحثين إلى هذه التحديات المحدقة بالاسرة المسلمة نتيجة لتقليد الغرب ولسريان ذلك الفكر المسموم الذى حملته دعوات المادية والشيوعية وكشفوا عن أهمية الاسرة من حيث أنها الحصن الذى يقوم المجتمع لبنائه ، وأنها هى القادرة على توفير الافراد المسلحين بالمعرفة والعادات وتقاليد المجتمع ووسائل التعامل والتفاعل فى حياته بالقدر الملائم لتوافقهم الاجتماعى والنفسى ومن هنا جاء ذلك الرفض الكامل للمفهوم الذى تقدمه النظرية المادية للأسرة ، على النحو الذى عرفته فلسفات المزوكية فى القديم والنازية والشيوعية فى التاريخ الحديث وبالرغم من كل هذه المحاولات فقد بقيت الاسرة وستبقى لانها صادرة عن الفطرة الكامنة فى الطبيعة البشرية ولولا ذلك لاستطاعت المحاولات المتكررة على مر التاريخ من أن يقضى عليها فقد نشأ من النظم السياسية على مر التاريخ ما حاول القضاء عليها وسوف تبقى صورة ما أصاب الأسرة الغربية من تفكك يهدد بالقضاء على المجتمع بأسره ، علامة حذره أمام الاسره المسلمة فقد جاءت اليوم أبحاث العلماء تنذر بالخطر تقول مجلة تايم (١٩٧٠/١٢/٢٨) .

إن الاسرة الامريكية غارقة فى شتى ضروب المشاكل الاجتماعية بما أصبح يهدد مستقبل الامة الامريكية بأسرها وإن نحو أربعة آلاف متخصص فى شئون الاسرة والطفل قد أصدروا توصياتهم بسرعة تلاقى أسباب التدهور الأسرة الامريكية وأن الاسرة لم يعد لها الآن وظيفة ولم تعد بالضرورة الوحدة الاساسية فى المجتمع وأن تحلل الاسرة ينتهى إلى تحلل المجتمع بأسره وأن هذا شبيه بما حدث فعلا فى أثينا فى القرن الذى أعقب الحرب اليولونيزيه وفى روما فى منتصف القرن الثانى بعد الميلاد . ويتساءل علماء الانثرولوجيا بناء على الواقع فى المجتمع الغربى هل تبقى الاسرة ، ويجيب ريتشرد فارسون أنه لم يعد للأسرة وظيفة .

هذه الصورة القائمة للأسرة فى الغرب من شأنها أن تضع أمام المسلمين علامات الحذر الشديد من الإنخداع وراء السموم التى تقدمها مفاهيم مدرسة المفهوم الاجتماعى (دوركايم) أو فرويد أو سارتر أو ماركس وكلها ترمى إلى هدم المجتمع عن طريق هدم الاسرة .

إن هدف التغريب والاستعمار والماركسية والصهيونية العالمية هى تعويض المجتمع بتحطيم الاسرة المسلمة ونشر الاباحية ، وأنه يتخذ لذلك عددا من الوسائل منها تعليم المرأة المسلمة فى مدارس الإرساليات وفرض الازياء الغربيه وأساليب الزينة ، والدعوة إلى الاختلاط وتقليب تيارات أدب اللذة والمجون وإخراج المرأة من المنزل إلى عمل لا يتفق مع طبيعتها وفطرتها واستغلالها اقتصاديا ونفسيا .

وقد استطاع أن يؤثر فى وظائف الأسرة ، فانجاب الأولاد أصبح مهددا بالدعوة إلى تحديد النسل ، ~~والوظيفة الجنسية التى تمنح المرء علاقة طبيعية~~ مشروعه مهددة بحرية الجنس والوظيفة الاخلاقية فى تربية الابناء القائمة على احترام الكبير وعمل الخير والعطف على الضعيف مهددة بالرفض المطلق وظاهرة التمرد على الوالدين ، وظاهرة الفهم المختلط بمعنى الحرية عند الفاشية

ولا ريب أن ظاهرة الحيرة والتمزق التى تواجهها الاسرة المسلمة اليوم إنما هى نتيجة الاخذ بسلبيات الحضارة المادية ومحاولة تقليد المجتمع الرأسمالى الذى يقوم فيه الزواج بغير عقود وحيث يوجد الرجل الثانى فى المخدع وصديق العاملة والإنحراف الجنسى أو تقليد المجتمع الماركسى من حيث إنكار الاخلاق فى العلاقة الجنسية أو تقبل فكرة البديل عن الاسرة .

وعلى المسلمين أن يلتمسوا منهجهم الاصيل فى الاسرة فقد حرصت الشريعة الإسلامية على نقاء الحياة الزوجية وسلامتها وحث على حق العشرة ودعا إلى الإبقاء على رابطة الاسرة وأجاز الطهر فى حالة طهر حتى يتأكد

الإنسان أنه طلق زوجته وهو فى حالة لا تمنعه من الاتصال بها وحتى تكون هناك إمكانية رجعة الزوجة فى فترة القدرة بدون مهر جديد ولا شهود .

وقد جاء نظام الزواج لاشتراك فردين فى حياة واحدة لغاية واحدة دون أن يقضى على فردية الاثنين ولا يطلب صهر أحدهما فى الآخر (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) فالمماثلة قائمة أما هذه الدرجة المميزة فليست إلا تلك القوامة (الرجال قوامون على النساء) وليست هذه القوامة سلطة أو سيادة وإنما هى توجيه وقيادة ولم يجعلها الإسلام فى جانب الرجل إلا أن الرجل بحكم تكوينه فى طبيعته ذو مسئولية فى الحياة الخارجية لا تستطيع المرأة بحكم طبيعتها أن تقوم بها .

الفصل الثالث

محاولة القضاء على وظيفة المرأة الأساسية

هناك محاولة استهدفت هدم الأسرة وتدمير المجتمع ووضع المرأة فى غير موضعها الطبيعى تلك هى القول بالمساواة بين الرجل والمرأة فى التركيب الجسمى والبيولوجى للادعاء بأنها يمكن أن تقوم بعمل الرجال وأن تتحلل من وظيفتها الأساسية ، هذه المحاولة من بين الخطط التى رسمتها القوى التلمودية الصهيونية لتدمير المجتمع الإنسانى وقد كان الإسلام قد كشف منذ أربعة عشر قرنا عن تلك الفوارق فى الطبيعة والتركيب بين الرجل والمرأة ، وأبان عن الوظيفة الطبيعية للرجل وللمرأة ، وقد تنبه إلى ذلك بعض العلماء المشتغلين بالطب والعلوم البيولوجية أمثال اليكس كاريل الذى أعلن « أن الاختلافات بين الرجل والمرأة ليست فى الشكل الخاص للاعضاء التناسلية وفى وجود الرحم والحمل ، بل هى ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك ، إن الاختلافات بينهما تنشأ من تكوين الأنسجه ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محدده يفرزها المبيض ، وقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا وأن يمنحا سلطات واحدة ومسئوليات متشابهة . والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل فكل خلية من خلاياها تحمل طابع جنسها والأمر صحيح بالنسبة لأعضائها ولجهازها العصبى . والنساء وحدهن — من بين الثدييات — هن اللاتى يصلن إلى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين كما أن النساء اللاتى لم يحملن لسن متزنات توازنا كاملا كالوالدات فالأمة لازمة لاكتمال نمو المرأة . إن على النساء أن ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن وأن لا يحاولن تقليد الذكور فإن دورهن فى تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال فيجب ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة » .

وهكذا كشف الغرب الحقيقة ولكنه عاجز عن الاستجابة لها ، فعلى المجتمع الإسلامى أن يكون قادراً على أن يحتاط دون السقوط فى نفس الهوة الخطيرة . وعليه أن يعرف أن هناك مؤامرة مدبرة حملت المرأة حملا إلى أوضاعها التى تعيش فيها الآن وكان من ورائها قوى تريد أن تستغلها إقتصاديا واجتماعيا وأنها لم تكن راغبة فى ذلك . وقد ساقت المرأة سوقا إلى المصانع والأسواق هذه الحملة تمثل الآن فى تلك الدعوة المسمومة المسعورة التى تحملها الصحف ويحملها عدد من كتاب التغريب تهلل لكل عمل يخرج المرأة عن الفطرة أو تؤدى إلى تدمير الأسرة ، تحت ذلك الاسم المثير (تحرير المرأة) .

إن الهدف من وراء هذه الظواهر البراقة هو خلخلة البناء الداخلى للاسرة وتقويض دعائمها ، وإخراج المرأة من رسالتها ومهمتها الطبيعية وإعدادها لمهمة أخرى ذات بريق أخاذ ولكنها لا تحقق إلا تدمير المجتمع .

وقد جرت المحاولة أساساً على تمييع التعليم وخلطه بين الذكور والأناث فلم يقم تعليم مستقل خاص للمرأة يوجه أساساً لتكوينها كأم وزوجة وصاحبة بيت ومسئولة عن الأسرة وحامية لنظامها فى المجتمع واقتصرت الأنظمة الوافدة على تخريج عدد من حاملى الشهادات . فكانت وجهة المرأة أن تعمل لتكون صاحبة مورد دون أن تبحث ما إذا كان ذلك مطابق لطبيعتها أم مناقضا لها ولذلك فإن من أكبر المحاذير بقاء التعليم على النحو الذى يجرى به الآن دون تقدير لتربية المرأة وتكوينها وإعدادها لمهمتها ويجب أن توضع الحقائق الخاصة بالفوارق بين الرجل والمرأة ، هذه الحقائق التى أثبتتها الدراسات العلمية والإحصائية والتجارب الاجاعية أمام المجتمع المسلم ليكون على بينة من أن هناك ثمة فروق واسعة فى استعداد جنسى المرأة والرجل حيال أمور الحياة وشئونها ، هذه الفوارق التى تكفل تحقيق كل منهما لرسالته . ولقد كشف الإسلام عن هذا المعنى وأقر كل من الرجل

والمرأة لمهمته الطبيعية التى أعد لها فجعل من مهمة الرجل كسب العيش ووسائله فى إدارة المصانع والمتاجر والمزارع وغيرهما مما ينحو منحاها وجعل مهمة المرأة إدارة المنزل وتهيئة لوازم الأسرة والحمل والوضع والرضاع وتربية الأولاد والحنو عليهم ، الرجل للكسب والكد وتدبير الحياة الخارجية وللمرأة المملكة المنزلية وتدبير حياة الأسرة وليس فى ذلك انتقاص لأحدهما وإنما هى القسمة العادلة بينهما ولهذا خلق الرجل قوى الجسم قوى العضلات قوى الفكر واسع الحيلة وخلقت المرأة لينة الجسم لينة الشعور عاطفة كلها

وإذا كان الإسلام قد انتقص من المرأة فجعل شهادتها بنصف شهادة الرجل فهو مجاراة لطبيعتها فالمرأة بعاطفتها لا بعقلها وتمتاز المرأة بعاطفتها ولا تمتاز بعقلها وهى مع ذلك سريعة النسيان لهذا لم يسو الإسلام بينها وبين الرجل فى الشهادة وعلل ذلك بقوله تعالى (أن تضل أحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) فهو اعتبرها إنسانا ولكنه لاحظ الفرق بينها وبين الرجل وجعل الميل إليها أمرا غريزيا لما يترتب عليه من عمار الكون والميل أساس النسل والدنيا لا تقوم لغيره وليس الميل مقصود لذاته وإنما هو وسيلة لغيره وقد نظم له لا النكاح) الكامل الصحيح وحـــد له الحدود وأمر المرأة أن تستتر وأن لا تبدى مواضع الزينة فلا يليق بها أن تلبس ما يحدد العورة ولا ما يصفها فضلا عما يكشفها . ويديها وقد أجمعت الأمة على ذلك . أما كشف الوجه واليدين فـإن أمنت الفتنة جاز لها ذلك وإلا فهو حرام أيضا ، وكما حرم الاسلام ذلك حرم الإسراف فى الزينة فالمرأة التى تلبس ثوبا رقيقا يصف جسمها والمرأة التى تغير من خلق الله ملعونة (لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله (النامصة : الناتفة لشعر الجبين) . (المتفاجة : التى تفعل الفلج فى أسنانها) .

كذلك يحرم عليها الخلوة مع ذى محرم لقوله ﷺ : ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ، ووقف الاسلام من هذه المسألة موقفا محدداً فحرم إبداء

الزينة والإسراف فيها وحرم الخلوة والاختلاط لأنه يؤدى إليها أما إذا باشرت المرأة حقوقها فى حشمة ووقار من غير خروج على الحد المشروع فلا مانع فى ذلك من غير خلاف ، أما الذى عليه الآن من غشيان الحفلات ودور السينما والتمثيل وشواطىء البحار وما إليها عارية متهتكة فهو أمر لا يعرفه الإسلام ولا يرضاه الدين فمهمة المرأة أن تكون زوجة صالحة ، وأما صالحة تلتزم تدبير بيتها ، تدبر شئون منزلها وتصلح من شأن زوجها وأولادها . أن رقى المرأة يعتبر نهضة الامة ولكن ليس أهميته كأهمية إصلاح الأخلاق وتربية النفوس فليس معناه الخلاعة والإباحة والتهتك ولكن معناه التهذيب الصحيح والتربية الفاضلة والعلم النافع) .

إن مسئولية المرأة التى تفرضها عليها طبيعتها ويحددها قانون الإسلام إنما هى حماية الأسرة والقيام بالواجبات الأخرى ومن هنا يكون من المسئولية الاجتماعية البالغة إعداد المرأة المسلمة ثقافيا وخلقيا وإجتماعيا بما يؤهلها لأن تكون (أما) صالحة لتحمل المسئولية التربوية المنوطة بها وأن يكون ذلك فى إطار كريم للزينة والزى وصيانة لحرمتها وحفاظا على تكريمها .

ولقد كان منطلق الشريعة الإسلامية هو حماية المرأة حماية تامه من أن تكون تحت ضغط الحاجة مهددة فى شرفها وعرضها ومن أجل ذلك أعطاها نصيبا واضحا فى الميراث وجعل لها حقا واضحا فى المعاش وملكية واضحة للمال بما لم تستطع أن تصل إليه المرأة الغربية حتى اليوم وما وصلت إلى القليل منه بعد نزول القرآن بأكثر من أربعة عشر قرنا ولقد كان الإسلام يقصد بذلك إلى حماية شخصية المرأة وكيانها بحيث تكون الظروف كلها صالحة لكى تكون عفيفة ظاهرة ، وبذلك حال دون تطلع بعض القوى المضلة إلى السيطرة على المرأة واستغلالها على نحو جنسى رخيص فأعلن سلامة المرأة فى سلامة كيانها وفى حماية عفتها لأن دمار نفسية المرأة من شأنه أن يهدم حياتها ويجعلها

خاضعه لأهواء الرجل ومطامعه ، وهذا ما استطاعت هذه القوى المضلة أن تحققه فى المجتمع الغربى حين أذلت المرأة وجعلتهـا أداة متعة وعرضتها للاستغلال الجسدي والاقتصادى وقد أحست المرأة الغربية بعدمرارة التجربة أنها تجرى ضد الفطرة ، وتتمنى عودتها إلى الأسرة والبيت .

وقد جعل الإسلام العفة هى قمة وجود المرأة ، والعفة أن تكون المرأة للزوج وحده ، دون غيره روحيا وجسديا وجعل أيما امرأةاستعرضت فمرت على قوم ليجدوا ريحها معصية ، كما أنكر تشبه الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وحرم عليها أن تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا دون محرم ودعاهامنذأن تبلغ المحيض أن لايرى منها إلا وجهها وكفيها واشترط لها البعد عن مظاهر الزينه ودعاها إلى ستر الجسم وإحاطة الثياب به فلا تصف ولا تشف وحرم الخلوة بالأجنبى مهما كانت الظروف .

وفضل الإسلام القول فى المساواة على نحو تختلف عن أهواء البشرية الذى تحاول به الدعوات الهدامة تحطيم الأسرة وتدمير المجتمع .

فالمساواة فى مفهوم الإسلام تقتضى توزيع الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء على سبيل التكافؤ أو المماثلة الواضحة فى قول الله تعالى :

(ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف)

وبذلك يرفض الإسلام مفهوم المساواة التى يقوم على تجاهل الفروق الواضحة بين الجنسين فى الخلق والتكوين والموهبة والاستعداد . حيث اختص كل جنس بمواهب خاصة وقدرات معينة لا يقدر عليها غيره .

وقد أكدت الأبحاث العلمية والتجارب الصحيحة فى مجال المجتمعات خطأ القول بالمساواة فى كل أمر يتم بين الجنسين فى القدرات والأعمال ، ذلك لأنه أمر لا دليل عليه فى تكوين الفطرة ولا فى تجارب الأمم بل قام الدليل على نقيضه فى جميع هذه الاعتبارات .

ولا ريب أن (الأزمة) التي تمر بها المجتمعات العصرية بالإضافة إلى الأخطاء وسوء التصرف ترجع إلى التجاهل لفردية رسالة كل من الرجل والمرأة والخلط بينهما وعدم تقييم الفوارق، من حيث أن كل جنس له وظيفه لا يصلح لها الجنس الآخر، وخاصة فى مسألة إنشاء الأسرة والطفل والأمومة والزوجة الحامية الراعية للنفس الإنسانية للرجل والخالقة لطمأنينتها هذا بالاضافة إلى أن الرجل قد تفوق فى الأعمال التى تخصص فيها النساء كالطبخ والأزياء.

وان التفرقة بين الرجل والمرأة هى تفرقة عضوية اقتضتها حكمة الله لضمان استدامة حياة البشر وتكاملها وليست تفرقة من حيث الجوهر والمعدن والعمل.

الفصل الرابع

محاذير تواجه رسالة الامومة

إن الفكرة المسمومة التى يحملها الفكر الغربى التلمودى عن المرأة يتجاهل وظيفة المرأة الحقيقية ، كزوجة وأم وكيف أعدت لها شريعة الله منهجا صحيحا يحمى هذه الرسالة ويحول دون أن تكون المرأة سلعة أو أداة جنس وهوى ومن ذلك تلك الضوابط الخاصة بالاختلاط ودورها فى بناء الطفل وفساد الوسائل البديلة كدور الحضانة وغيرها .

يقول الكسى كاريل : لقد ارتكب المجتمع العصرى غلطة جسيمة باستبداله تدريب الأسرة بالمدرسة استبدالا تاما ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى ينصرفن لأعمالهن الخاصة أو مطامعهن الاجتماعية أو مباذلهن وهواياتهن الادبية والفنيه ودور السينما . انهن مسئولات عن إضفاء وحدة الاسرة واجتماعاتها التى يتصل الطفل فيها بالكبار فيتعلم منهم أمورا كثيرة لان الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجى والعقلى والعاطفى طبقا للقوالب الموجودة فى محيطه إذ أنه لا يتعلم إلا قليلا من الاطفال الذين فى مثل سنه وعندما يكون مجرداً وحدة فى المدرسة فانه يظل غير مكتمل) .

كذلك فقد اكتشف المجتمع الغربى فساد النظام الذى يقوم عليه بالاختلاط ومدى أثره فى تدمير الاسرة حتى قال الفيلسوف برتراند رسل فى كتابه (الاخـــلاق والزواج) : (هناك شرط مهم فى دعم الحياة الزوجية ذلك هو خلو الحياة الاجتماعية من النظم التى تسمح بالمصادقة

والتخالط بين المتزوجين من الرجال والنساء سواء فى العمل أو فى المناسبات والحفلات وما شاكلها . أن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من رجال ونساء خارج دائرة الحياة الزوجية هى سبب شقاء الازواج وكثرة حوادث الطلاق وليس عسيرا أن تجمع أمثلة كثيرة عن البيوت التى انهارت بسبب اتصال الازواج والزوجات بغير شركائهم فى الحياة الزوجية) .

وقد نعت السيدة مريم جميلة (الاوربية التى اسلمت) على النسائيين أى دعاة تحرير المرأة المسلمة فى العالم الإسلامى فهمهم الخاطىء لمعنى التحرر على أنه الاباحية المطلقة للنساء فى الاختلاء بالرجال حيث شئن وأنى ذهبن ، بدون قيد ولا شرط ، وفى اختيار الازياء غير المحتشمة وفى توظيفهن خارج البيوت فى الاسواق والمسارح ودور السينما ، وفى مساهمتهن فى الحياه العامة مهما تمزقت أواصر الاسرة وانتهكت حرمات العفه والاباء .

وتقول ذلك عن تجربة مثيرة مرت وتمر بها المجتمعات الاوربية والامريكية والغربية المتحررة وتدعو باخلاص بعد اعتناقها الاسلام ومعرفتها أحكامه وأدابه إلى أن يعرف النساء المسلمات نعمة الله عليهن بهذا الدين الذى جاءت أحكامه وأدابه صائنة لحرماتهن راعية لكرامتهن محافظة على عفافهن وحياتهن من الانتهاك وضياع الاسرة) .

ولا ريب أن رؤية الاسلام صادقة وصحيحة لانها مستمدة من منهج ربانى لا يخطىء ، بينما تستمد النظرة الغربية منطلقاتها من الاهواء والمطامع وقد قرر الباحثون المسلمون أن المجتمع الاسلامى مجتمع فردى لا زوجى وأن الرجال لهم مجتمعاتهم وللنساء مجتمعاتهن ولقد أباح الاسلام للمرأة شهود العيد وحضور الجماعة والخروج فى القتال عند الضرورة الماسة ولكنه وقف عند هذا الحد واشترط له شروطا شديدة من البعد عن كل مظاهر الزينة

ومن ستر الجسم ومن إحاطة الثياب فلا تصف ولا تشف ومن عدم الخلوة بأجنبى مهما تكن الظروف .

ولا ريب أن الستر فى الملابس أدب من آداب الاسلام وإن تحريم الخلوة بالأجنبى حكم من أحكامه وغض الطرف واجب من واجباته والعكوف فى المنازل للمرأة حتى فى الصلاة شعيرة من شعائره والبعد عن الإغراء بالقول والاشارة وكل مظاهر الزينة وخاصة عند الزوجة هو حد من حدوده ، وقد حذر الاسلام من فتنة المرأة ، وهى أحب الفتن إلى نفس الرجل ودعا إلى أن تسلم المرأة من فتنة الرجل (قل للمؤمنين يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن ، أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بخمرهن ليعلم ما يبدين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) .

وهكذا كشف الاســـلام عن محاذير دعـــوة الاختلاط التى هى حلقة من حلقات المؤامرة الخطيرة الرامية إلى هدم الأسرة وتدمير المجتمع وقد تبين من النتائج التى كشفت عنها التجربة الغربية مدى الآثار السيئة التى ترتبت على الاختلاط والتى تربو ألف مرة على ماينتظر منه من فوائد

ومن أخطر نتائج الاختلاط التبرج والفساد ، فلا ريب أن الاختلاط من شأنه أن يؤدى إلى كل مايتصل بالزنا والفوضى الجنسية وتكشف المجتمعات الغربية ما كان من نتائج هذه الدعوة وفى مقدمتها

(١) — عزوف الرجال عن الزواج لأن المرأة سهلة المنال بلا تكاليف ولا مسئوليات .

(٢)- منع الحمل والإجهاض مما أدى إلى تناقص السكان نتيجة لزيادة الوفيات على المواليد

(٣)- ازدياد الأولاد غير الشرعيين ، ففى السويد يولد طفل شرعى بين كل عشرة أطفال ، وفى الدانمرك يولد طفل شرعى بين كل ثلاثة عشر طفلا ، وفى أمريكا يولد ٥٢ طفل غير شرعى فى كل ألف طفل

(٤)- كثرة الأمهات غير المتزوجات

(٥)- شيوع الأمراض السرية القاتلة كالسيلان والزهرى التى غدت من الأوبئة التى استفحل أمرها

(٦)- ظهور جيل من الخنافس وهو شباب رافض لكل القيم هادم لما بلته البشرية

وكل هذه نتائج طبيعية ومصير محتوم للتبرج والتحلل وقد أشارت الدكتورة عميدة كلية بنات جامعة الأزهر إلى أن الاختلاط الموجود فى الجامعات غير جامعه الأزهر مريب وذريعة لجلب المفسدة وأن عدم الاختلاط هو الضمان الحقيق للمحافظة على كرامة الفتاة ومنع الشبهات عنها والوسيلة الوحيدة لسد الطريق الذى يؤدى إلى الإنحراف ، وهذا أيضا يحافظ على سمعة وعادات وتقاليد الأزهر فالإسلام كريم له قوانين وتشريعات تحافظ بها على كرامة المرأة وحياء المرأة ويحول بينها وبين الفتنة والمفسدة ، وقالت نحن كجامعة أزهرية يهيمن عليها الدين الإسلامى رأينا أن نحافظ على أبنائنا بأن نجعل لهم جامعة خاصة تتوافر فيها كل الامكانيات العلمية والتعليمية وإتاحة الفرصة أمام الفتاة لدراسة جميع العلوم فيما عدا مجالات معينة لا يتصور أن تمارسها الفتاة ودعت إلى ضرورة عدم الاختلاط إلى الحياة العملية فهناك الكثير من الأعمال يجب

ألا تقوم الفتاة بممارستها ويجب كذلك أن تخصص لها وحدات خاصة من المواصلات وأن عدم الاختلاط ليس عقبة فى حياة الفتاة العاملة لأنها فى حياتها مع أسرتها وتحت إشرافها تختلط بالكثير من أقاربها وجيرانها وأيضا القيم والمثل التى تتعلمها من خلال العلوم الاسلامية تساعدها كثيراً على التكيف حسب المجتمع الذى تتواجد فيه والحرص على كرامته .

وقد علت القيم الاسلامية منذ وقت طويل إلى أن تتعلم المرأة ماهى فى حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التى خلقها الله لها وهى تدبير المنزل ورعاية الطفل

ولقد تبين للمرأة الغربية فساد الطريق الذى تسير فيه والذى ينتزعها من رسالتها ومهمتها فتقول الطبيبة سالى . سويزر . أن وجود الأم شيء حاسم بالنسبة للنمو الباكر للطفل ، أن من التضليل وعدم الانصاف القول بوجوب أن ترتفع المرأة الذكية عن غرائزها الأمومية وتعود إلى العمل وتتساءل : هل تستطيع المؤسسات أن تحل محل الأم بديلا ملائما ، كما أن حليب الأم لا يمكن أن يستخرج منه فكذلك الأم ، أن معنى تحرير المرأة فى نظرى هو أن تشعر المرأة بالثقة فى نفسها فى كونها امرأة فى كونها أما

وتتساءل الكاتبة الأجنبية : هل من الممكن الجمع بين الأمومة والعمل وتجيب بأنه ليس من السهل ذلك ، أن الأمومة تعانى من الامتهان وأن اختيار البقاء فى المنزل والعناية بالطفل قرار ليس من السهل اتخاذه فى هذه الأيام ، أن النساء اللواتى لايرغبن فى الاشراف على تربية أطفال من يرتكبن خطأ فادحا ، إذا اردت أن تقومى بالأمومة وأن تعملى فإن نجاحك سيتوقف على مدى استطاعتك تجاهل غرائز الأمومة ، لقد كنت برغم ثقافتى المهنية

غير مدركة إطلاقا لقوة هذه الغرائز وللرابطة بين الطفل والام حتى رجعت إلى البيت مع رضيعى الاول .

على النساء ألا يبقين خجولات بعد الآن من أن يفاخرن بكونهن نساء وأن يستمتعن بالارتياحات الخاصة بالنساء مثل الامومة وعندما تشعر النساء أنه ينبغى عليهن أن يجردن أنفسهن من خواصهن الانثوية المنفردات بها فانهن لا يحققن المساواة وإنما يفقدن الذاتية وإذا فكرت المرأة فى أن تكون شخصا ما فعليها أن لا تكون مثل الرجل .

ولقد كرم الاسلام الامومة فجعل زمام البيت بين المرأة ، فالمرأة راعية ومسئولة عن بيت زوجها والرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم ، وشخصية المرأة فى نظام الاجتماع الاسلامى لا تفنى فى شخصية الزوج فهى لا تفقد شيئا من حقوقها المكتسبة لفرد فى الهيئة الاجتماعية البشرية ، وإن الفوارق الطبيعية عن الرجل والمرأة قد أعدت لصلاحية مهمة كل منهما ولم تعقها عن نشاطها الاجتماعى .

ويخص النظام الاسلامى بشدة على معاملة الزوجة معاملة حسنة (فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان) و (عاشرهن بالمعروف) والرحمة بالمرأة واجبة حتى فى حالة الكراهة (وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) وخياركم خياركم لنسائكم ، وقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الرابطة بعبارة دقيقة (أن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا ، فاستوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان لايملكن لانفسهن شيئا)

لقد كرم الاسلام وحفظها من أن تكون سلعة لكل إنسان ولذلك فإن محاولة تقليدها للمرأة الغربية ليس فى حقيقته إلا محاولة تستهدف كرامتها وخلقها ودينها ، يقول بهذا الغربيات اللاتى اسلمن فتقول إحداهن : لقد

صدمة من المرأة الشرقية أنها تصورت أن التمدن والتحضر هو فى تقليد المرأة الغربية وقد نسيت أنها تستطيع أن تتقدم فى حدود تقاليدها ، أن الاباحية الغربية هى التى تهدم المجتمع فى أوربا وأمريكا وأن الاختلاطية فى المجتمعات هى التى حطمت الاسرة وزلزلت الاخلاق .

وحين نرى بعض الدول الاسلامية والعربية تفرض ذلك بقوة القانون كما حدث فى تركيا وايران وتونس تعرف إلى حد يمكن أن يكون الخطر الذى يواجه الاسرة المسلمة والامومة والمجتمع الاسلامى كله .

يقول جان بول رو فى كتابه الاسلام فى الغرب : أن التأثير الغربى الذى يظهر فى كل المجالات ويقلب رأسا على عقب المجتمع الاسلامى لا يبدو فى جلاء أفضل مما يبدو فى تحرير المرأة ، ويبدو ذلك فى تقليد أوربا فى المساواة المطلقة بين الجنسين فى الحقوق والواجبات ، وقال أن أوربا تريد من العلمانية بأن لا تطفو على السطح فحسب ، بل ترغب أن تنفذ إلى قلب الخلايا العائلية

ذلك أن النفوذ الغربى يعرف مدى مايكتسبه من السيطرة على المرأة وإخراجها من طوابقها الاسلامية ، ومن العجيب أن تدعى المرأة المسلمة إلى ذلك فى الوقت الذى يضطرم فيه المجتمع الغربى بالازمات التى حطمت الاسرة وهددت المجتمع حتى تقول السكاتبة الامريكية (جرمين حرير) فى فى كتابها « المرأة المستعبدة » أن عصرنا يمثل أقصى مراحل الظلم والطغيان والاستبداد التى عرفتها المرأة منذ وجودها على الارض . أنها تغامر بلا دليل ولا مرشد فى ظلمات المجهول) .

وهناك من يعرف مدى أهمية المرأة التى تحيا بمفهوم الاسلام فى بناء المجتمع حيث يقول جان بول شارنيه (أن جميع المعتقدات التى حارب من أجل محوها علماء الدين المصلحين قد صنعت فى الواقع من المرأة المسلمة حصنا فعالا للاسلام ولما كانت المرأة تضمن استمرار النوع فإنها من أقوى الحواجز التى تحمى الاسلام من التفريج) .

الفصل الخامس

أخطار فى وجه الطفل المسلم

إن هناك محاذير ضخمة ومخاطرة كبيرة تواجه الطفل فى العالم كله ، وقد واجهت هذه الأخطار الطفل فى الغرب وهى الآن تمتد إلى أفق المجتمع الإسلامى وتتلخص هذه المحاذير فى أمرين :فى أمر تكوينه وفى أمر ترتيبه . فالأم العصرية الآن قد تخلصت تماما من رضاعة الطفل وحماية طفولته ليس بالغذاء وحده ولكن بالحنان والوجدان والعطف الذى يصنع وجود الطفل وتحفظ كيانه النفسى من الوقوع فى الأزمات والتمزق .

وليس هناك تفرقة بين الأمرين : أمر التغذية وأمر العاطفة فان تولى الأم رضاعة طفلها من شأنه أن تحقق تلك الحضانة العاطفية وفى السنوات الأخيرة وجهت الهيئات الطبية العالمية تحذيرات شديدة من انقطاع الأم عن الرضاعة الطبيعية للاطفال وأنه ليس هناك بديل للبن الأم الغنى بالبروتين . وكان النذير يعلن هذا الخطر فى مواجهة المجتمع الإسلامى إذا توقفت سيدات قارة آسيا عن إرضاع أطفالهن فسوف يكون هناك حاجة ماسة إلى قطيع آخر من الماشية يبلغ ١١٤٠ مليون رأس لتعويض النقص فى الألبان .

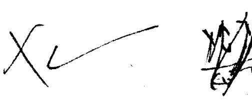
وفى مؤتمر الصيدلة الدولى الذى أقيم فى باريس ١٩٧٢ أعلن عن أهمية حليب الأم فى رضاعة الطفل بما لا بديل له لصحة الرضيع ، ومدى الفارق البعيد بينه وبين حليب البقر وأشار الدكتور هنرن ليسترادن أن لبن الأم قد زود بعشرات من المعطيات الصحية التى لا يمكن أن توجد فى حليب البقر . منها مادة كولوسترون وكريات حلويين وما يحتويه من نسب عالية من السكريات والحوامض مما لا يوجد فى حليب البقر .

وأن الأم التى تغذى طفلها بحليب البقر إنما تفرض عليه زيادة فى المواد البروتينية تفوق حاجته ثلاث مرات بينما تنقص حاجته من السكريات والأحماض التى لايحتاج إليها عجل البقرة وتتجه لذلك فان كل من الكبد والكليتين لدى الرضيع المعدى بحليب البقر يصاب بالتضخم من جراء المجهود اللازم لتحويل المواد البروتينية . وأن نقص المواد السكرية والحوامض الدسمة فى لبن البقر الذى يقدم للطفل من شأنه أن يوجد نقصا جوهريا فى خلايا الدماغ البشرى ، ومما يضاعف الخطر أن خلايا الدماغ تتكون مرة واحدة فى السنين الأولى من العمر ولا تتجدد . وأضاف الدكتور ليستراد حقائق جديدة لم تكن معروفة إلى وقت قريب وهى أن حليب الأم لا يشمل على عناصر غذائية فقط بل يشتمل أيضا على عناصر وقاية من الأمراض الجرثوميه تشبه اللقاحات ومعنى هذا أن خالق الطفل ـ لا الطبيعة كما يقول الطبيب ـ قد مكن الطفل الرضيع من الشهور الأولى من عمره من مقاومة بعض الأمراض الجرثومية .

ويتساءل الطبيب فى الأخير : كيف يمكن أن تحجم الأم عن ترضيع طفلها إذا تأملت فى هذه الفوائد التى لا تحصى فى حليب ثديها ثم فى هذه المساوىء والمخاطر التى لا تحصى فى حليب البقر .

وقد اندلعت فى السنوات الأخيرة فى الغرب حملة شعواء على الرضاعة الصناعية تحت عنوان مثير : نعم للثدى لا للحليب الصناعى .

وكانت الدكتورة باميلا ديفيز الباحثة بمعهد أبحاث الطفل بمدينة لندن قد انتهت من دراسة كل أنواع الألبان قد أعلنت تحذيرا للامهات من إرضاع أطفالهن لبن الأبقار وما فى مستواها وقالت أن هذه الألبان تحتوى على نسبة عالية من الدسم الذى يصلح لعجول الماشية وحدهابينما ضرره يلحق بالإنسان الرضيع لأنه يؤدى إلى الإفراط فى السمنة ويفتح الطريق فى جسم الطفل إلى أمراض القلب وأن الرضيع الذى يعتمد على اللبن الصناعى أكثر تعرضا



للاصابة بإكزيما الجلد أو الربو وأمراض الجهاز النفسى الأخرى . والأهم أنه يشب أنانيا جافا غليظ القلب قاسيا قليل التعاطف يفتقر إلى الارتباط الوجدانى على نطاق واسع .

ولقد كشفت الأبحاث والأحداث أخطاراً كثيرة فى مجتمع الطفولة نتيجة انصراف المرأة عن أداء واجبها فى رضاعة وحضانة طفلها وإسلامه للخادمات والجهات الأخرى بل إن اشتغال المرأة بأعمال لا تتفق مع طبيعتها قد كان بعيد الأثر فى اضطراب عملية الحمل والولادة إلى حد أن هناك نسبة كبيرة يولد فيها الطفل ميتا وأنها ترهق نفسها فى وقت يكون فيه جهازها العضلى أكثر حساسية وأكثر تأثرا مئات المرات بكل صغيرة وكبيرة وقد أشار علماء الدراسات البيولوجية إلى أن هذا يرجع إلى الفروق العامه فى التكوين الفسيولوجى بين الرجل والمرأة وتعارض قدراتهما فى تحمل الإرهاق ، وكذلك الفروق فى الوظائف الطبيعية والاجتماعيه لهما وما يخضع له كل منهما من عادات وقيم سائدة تجعل المرأة العاملة تنفرد بظروف متميزة فهى مطالبة بالإضافة إلى دورها فى مواقع العمل أن تقوم بأداء وظيفتها داخل الأسرة كأم وزوجة مسئولة عن البيت ومن شأن هذا الإضطراب إصابة الأم بمرض السكر أو نقص أكثر من اللازم فى الدم .

ولا ريب أن تقليد الأم العربية الإسلامية الأوربية والامريكية فى هذا المجال لها خطرها ومحاذيرها ولها نتائجها السيئة فى المجتمع الإسلامى نظراً لاختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والصحية وخاصة أن شروط الرضاعة الصناعية الصحيـــة يصعب توفرها فى البلاد النامية ، وأن أدوات الرضاعة كالزجاجة والصمام قد تتحول إلى مركز خطر للجراثيم ينتقل إلى الرضيع وتشير لوحة الأرقام المعبرة عن انتشار أمراض المعدة بين أطفال العالم الثالث .

وتتركز اليوم الحملة على الطفل بالتحكم فى ثقافته والقصص التى يقرأها والمعلومات التى تقدم إليه بهدف تدمير كيانه النفسى وإفساد عقليته منذ أول الشوط وتستهدف مخططات النفوذ الأجنبى وبروتوكولات صهيون التحكم فى الطفل قبل أن يصبح شابا وتشكيله تشكيلا يؤثر على فطرته ويحوله إلى الوجهة التى يريد توجيه إياها ، ولقد اجتاحت هذه الموجه عالمنا الإسلامى وأصبحت هناك ثقافات وكتب ودراسات وقصص تقدم للطفل ترمى إلى غسل دماغه وتدمير كيانه وتحطيم وجهته الخلقية والدينية ، وهناك محاولات لكتابة قصص للاطفال ومسرح للاطفال يقوم بها تغربيون من غير المسلمين أو من اتباع الدعوات الهدامة وتستهدف هذه الخطة صناعة هدف للطفل غير هدف أمته وعقيدته ، وذلك عن طريق تسليط الأسطورة والقصة الخيالية ومفاهيم العنف والجريمة عليه .

ولا ريب أن فترة الاختبار فى حياة الطفل تأتى بعد فترة التأسيس التى يقوم بها الوالدان والمدرسين على أساس إرساء الدعائم الأولية للشخصية فإذا تعرضت فترة التأسيس هذه لتلك التحديات الخطيرة فإن الطفل سينشأ فاسداً مضطرب الشخصية مزلزل الوجدان وسيكون عاملا من عوامل الخطر على مجتمعه .

والإسلام يدعو المسلمين إلى بناء شخصية الطفل بالإيمان والخلق والقدوه وإقامتها على العزيمة والإرادة وعلى اختيار الأقوى و الانسب وعلى الاخشيشان والتقشف وعدم الركون إلى الترف والبسائط وقطم النفس عن الشهوات وذلك كله حتى تكون الأجيال الجديدة قادرة على حمل أمانة مسئولية وطنها وأمتها ولا ريب أن ذكاء الطفل ينمو وتزداد قدرته على الكلام والفهم والادراك إذا نشأ بين أبويه ولم يترك للحاضن أو رياض الأطفال أو المربيات الأجنبيات ولا ريب أن الكثير مما يصيب الأطفال بالعصاب النفسى يرجع

إلى ضعف السلطة الأبوية لا العكس، ويقول الباحثون الذين أجروا تجارب واسعة على البيئات المختلفة أن منشأ الكثير من الاضطرابات النفسية لدى الأطفال إنما هو نتيجة الارتياب الذى أصاب الكثير من الآباء حول الطريقة المثلى فى التربية مما جعل الكثير من الأبناء ينشأون كنف أسرات يجهل الوالدان فيها كل شىء عن التربية، ولو كان لدى الآباء «الثقة» فى أنفسهم لكانوا أقدر على تربية أبنائهم فإن الشك الذى يخيم على عقول الآباء سرعان ما ينعكس على عقول الابناء فلا يلبث الاطفال أن يقعوا فريسة سهلة لوساوس القلق والشك والخوف والارتياب.

وأنه لابد من إعادة روح الثقة بالنفس إلى الآباء والامهات حول قدرتهم على تربية أبنائهم وما لم يحدث ذلك فسيظل عدد الاطفال المصابون باضطرابات نفسية تتزايد يوما بعد يوم.

وأنه لمن أخطر الظواهر فى المجتمع الغربى الحديث هى ضعف سلطة الآباء، وأهم سبب لذلك هو أن الآباء قد أصبحوا عاجزين عن تقديم نموذج سليم أو تكوين آراء أخلاقية بعيدة عن الرزيلة. ولا ريب أن هناك أزمة فساد النموذج الداخلى للاب وبذلك انهار أضخم ركن من أركان التربية وهو (القدوة) ولقد تبين للباحثين فساد نظرية التحرر المطلق الذى قالت بها المدارس المادية والتلمودية وفرضتها على المجتمع العربى كله، ونشأت فى ظله أجيال محطمة، وتبين اليوم أن حاجة الطفل إلى الشعور بالأمن لا تقل عن حاجته إلى الشعور بالحرية.

وقد أثبتت التجربة أن الابناء الذين ينشأون فى كنف أسرة ذات عقائد راسخة كانوا ما كانت يكسبون الكثير من وراء هذه البيئة المستقرة، قد يختلف الاب مع ابنه، حول بعض الامور والمسائل، ولكن ذلك لا ينقص مكانة أبيه فى نظره ولا بد أن يعترف له بالفضل ويظل مقدراً له ومحترما.

ومن هنا فإن الخطأ هو فى غيبة المفهوم العقائدى والأخلاقى فى الأسرة الذى هو صمام الأمن وعصمة الأمر كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاذا وجد هذا المفهوم واستقر بالتربية مع الطفل من اليوم الأول أمنت الأسرة وأمنت المجتمعات تلك العواطف التى تثيرها القصص والمسرحيات والأفلام حينما تصور الأب بصورة يراد بها السخرية به واحتقاره وانتقاص دوره الأصيل وما يجرى فى هذه القصص من محاولة تحريض الأبناء على التمرد على الآباء والقول بأن هذه الأجيال الجديدة بغير أساتذة أو بغير توجيه أو تلك الصيحات المريبة الظالمة التى تجرى على لسان الآباء بأنهم يتركون لأبنائهم حريه الوجهة التى يريدونها ولا يدرون أنهم بذلك يحتملون أكبر التبعة فى الأخطار التى يواجهها أبناؤهم وأن العلاقة بين الآباء والأبناء يجب أن تكون مليئه بالثقة وأن يكون الآباء على مستوى المسئولية والخلق حتى يستطيعوا أن يوجهوا الأبناء من ناحية وأن تجد آراؤهم ثقيلا وثقة لدى الابناء والواقع أن (القدوة المثلى) هى قدوة البيت فى الآباء والأمهات وأن قدوة المدرسة تأتى من بعد .

وأن الشارع والصحيفة والسينما والقصة (وأحيانا أساتذة المدرسة) يكونون فى صف محاولات الهدم والتدمير وحيث يفقد المثل الأعلى فى الأب والأم داخل الأسرة فلا أمل فى قدوة خارجة إلا نادراً وأن كل قدوة خارجة هى مكملة لقدوة الآباء .

ومن ناحية الطفل فقد ثبت عليما أن استهانة الأم بالرعاية والحضانة الحقيقية للطفل وتسليمها إياه إلى دور الحضانة والخادمات — إنما يعرضه للمعاناة العاطفية نتيجة نقص الحنان الفطرى الذى جبلت عليه قلوب الأمهات .

كذلك فان عناية الآباء والأمهات الزائدة وتسامحهم المفرط الذى يعودون

عليه الطفل هو مصدر متاعب خطيرة له فإنه يجعله يتوقع نفس المعاملة من الاخرين فلما لم يجد هذه المعاملة من الغير يصدم وتتولد لديه مشاكل نفسية وإجتماعية متعددة .

ومن الخطر أن يشكل الطفل على أساس الاحساس بأن العالم من حوله قد وجد لتلبية رغباته أو إشباع حاجاته أو حماية تصرفاته .

ولا ريب أن التسامح الزائد أو الاضطهاد المتصل فى حياة الطفل كلاهما خطر شديد الخطر ، وكذلك الترف والحرمان جميعا . ولذلك فإن الطفل فى حاجة إلى موازنة شديدة فى مطالع حياته تمكنه من أن يشق طريقه بإرادة خالصة وأخلاقية واضحة والاسلام يرفض تماما تلك المحاولات المسمومة التى تدعو إلى إطلاق حرية الطفل بغير رعاية وتسديد فى الخطوات الأولى ، ولقد تبين أن الأجيال الساخطة المتبرمة إنما نشأت على ذلك المفهوم الخاطىء الذى روح له فرويد وسارتر والدكتور سنوك وقد تبين للمجتمع الغربى اليوم فساد هذا الاتجاه وطالب المربون بعد قياس سليم للآثار الخطيرة للجريمة والجنس والفساد الخلقى المتفشى فى المجتمعات ، بالعودة إلى أسلوب الأصالة وإلى العودة إلى عقوبة الضرب وغيرها فى المدارس حتى ينشأ الشباب وهو يعرف أن هناك ما هو مقبول وجائز وما هو غير مقبول وغير جائز وأن ظاهرة العنف والجريمة قد جاءت نتيجة هذه الحرية الظالمة .

يقول الأستاذ عامر عبيد : قبل أيام نشرت صحيفة الديلى تلجراف البريطانية أن فتاة عمرها خمسة عشر عاما سرقت طفلة كانت قد تركتها أمها فى عربة صغيرة أمام مبنى بنك فى لندن وكان السبب الذى دفع تلك الفتاة إلى خطف الطفلة إنها قرأت كتابا فى المدرسة بعنوان (سام وأنا) وتعلمت منه كيف تسرق الأطفال وتحولت القراءة فى ساعة تسلية بريئة إلى واقعة حقيقية عندما وجدت الطفلة فى متناول يدها ومن مخططات بروتوكولات صهيون التى

اعتمدتها الصهيونية العالمية والحركة الماسونية قانونا لهما فى تنفيذ مآربهما أن يتم الاستيلاء بصفة مباشرة أو من وراء ظهر للتحكم فى الكلمة الصادرة حتى تكون ملائمة لتحقيق أهدافها .

ومن أجل هذا يتحتم النظر فى جميع المطبوعات التى تطرح فى الأسواق سواء أكانت صحفا أو مجلات أو كتب مسلسلات لا سيما تلك التى تخص الصغار .

أن هناك مطبوعات خطيرة مطروحة على الأرصفة منها سوبرمان وأرسين لوبين ، وشرلوك هولمز ، وغيرها من مطبوعات منمقة وقد تبين أن الأطفال يقبلون عليها ولا يعرفون الوجهة الخطيرة التى تحتوى عليها (القيم الاسلامية) ذلك أن هذه المجلات تستمد مادتها من مصادر أجنبية وأن اختيارها قد روعى فيه هدم القيم الاسلامية فى نفوس الاطفال . وأن هذه الاساطير الغربية المقدمة للطفل العربى والمسلم من شأنها أن تخلق فى أعماقه خوفا وإعجابا بالبطولة الغربية وبذلك يظل على جهل ببطولات أمته من ناحية وينشىء فى أعماقه حالة تبعية تحول بينه وبين فهم مقررات الامور من حيث إخطار الغزو الغربى التى يجب أن يعد منذ نعومة أظفاره لمواجهتها ومقاومتها .

كذلك فان من الاخطار الشديدة على الطفل العربى المسلم ذلك الادمان التلفزيونى الخطير حيث تقدم الإذاعة المرئية شرائح خطيرة من الجريمة والجنس وصور الصراع فى الاسرة والخلاف بين الاباء والامهات وأن هذه البرامج التى هى فى حد ذاتها خطيرة بالنسبة للشباب فإنها بعيدة الاثر فى فى تشكيل نفسيات وعقليات الاطفال . فهى تحول بينهم وبين تكوين آراء صحيحة لواقع المجتمعات وللاساليب الصحيحة لمواجهة المشكلات والقضايا ومن ثم فانه لابد من حماية الاطفال من هذه البرامج العامة .

الفصل السادس

فساد أسلوب العيش الغربى

كان المجتمع الاسلامى هدفا للقوى الأجنبية التى أصبحت قادرة على التأثير فيه عن طريق وسائل التقدم والحضارة التى أمكن توجيهها إلى دفع المجتمع نحو التسلية والترف ، وتوفير أسباب الإغراء المادى بهدف إخراج المسلمين من أخشيشان المجاهدة إلى رخاوة الحياة ، ومع أن الإسلام لا يحرم متاع الحياة ولكنه يفرض قدراً معيناً من الضوابط التى تحول دون تدمير الوجود الفردى والوجود الاجتماعى بحيث يصبح المسلم قادراً على مواجهة أحداث الحياة المتغيرة ومواجهة الغزو الخارجى .

كذلك فإن دفعات الحضارة المادية التى ساقها الاستعمار باسم التقدم والرفاهية إنما قامت على أساس مادى خالص ، وعلى أساس إعلاء شأن طائفة صغيرة من القادرين ، بينما أصبحت الطبقة الأكبر عاجزة عن الوصول إلى هذا القدر من المتاع ، بينما يقارب الاسلام بين الطبقات فى وسائل العيش ويجعل من المعنويات أساساً لكثير من التصرفات ، وقد استطاع هذا التأثير الأجنبى أن يعلى شأن المقاييس المادية فى التعامل وأن يوجد صراعاً عنيفا ، وتطلعا إلى الماديات ، على نحو يقضى على كثير من القيم المعنوية وبذلك يتأثر الاتجاه الاسلامى القائم على الجمع بين المادة والروح .

وهكذا نجد أن النفوذ الأجنبى الذى سيطر بالاحتلال العسكرى أو الاستعمار الذى استمر مسيطراً على المجتمعات الاسلامية قدر جيلين أو ثلاث حاول أن يطرح أسلوب العيش الغربى فى المجتمع الاسلامى باستعمال الوسائل الحديثة ليحتويه وليصهره ويضعه فى صيغة جديدة تخرجه عن طابعه الأصيل

ولذلك فإننا نجد أن أسلوب التعامل الغربى مع المجتمع الاسلامى كانت تستهدف نقل المجتمع إلى حالة جديدة من شأنها أن تمزق الأسرة وتقضى على رجولة الرجل وأنوثة المرأة وأن تدفع بالرجال والنساء جميعا إلى الخروج عن طريق السهرات الصاخبة والخمر وما يتصل به من اختلاط الرجال والنساء .

ولا ريب أن انفتاح هذا الطريق أمام الرجل المسلم من شأنه أن يدفعه إلى الطمع فى الحصول على موارد جديدة تمكنه من تحقيق هذه الأهواء ولذلك فهى تدفعه إلى التحلل من التماسك الخلقى وتفتح الباب أمام الرشوة والهدية والحصول على موارد محرمة لتحقيق هذه المتعة ويكون ذلك كله على حساب المجتمع .

كذلك فإن أسلوب العيش الغربى الذى فرض على المجتمع الاسلامى كان عاملا هاما فى دفع المسلمين إلى التفرنج والولع بالترف والزخرف والاوانى والتحف والموسيقى والتخفف من العبادات والانصراف عن عوامل الثقافة والاصالة وانتقال المجتمع إلى صورة من التحلل والرخارة . وهذا هدف أساسى فى ضرب المجتمع الاسلامى لأنه يجعله عاجزاً عن مواجهة النفوذ الاجنبى والغزو الخارجى ومقاومة السيطرة الاجنبية المتغلغلة . بل هو يدفعه إلى الاعجاب والارتماء فى أحضان هذه الاساليب المعارضة لمفاهيم الاسلام وروحه .

ومن شأن هذا أن يخلق نوعا من الاعجاب بالغاصب وتقليده والتعلم فى فى مدارسه والبعثة إلى بلاده وفهم الاسلام على أنه دين عبادى محض لاعلاقة له بالنظم الاجتماعية والسياسية .

ولا ريب يقوم هذا المجتمع كله فى ظل نظام اقتصادى ربوى رأسمالى أو ماركسى ، لا يهم . وإنما المهم هو التبعية لأسلوب العيش الغربى والاعتقاد بأن التنظيم السياسى والاقتصادى الغربى تنظيم مثالى .

ولما كان الفكر الغربى الليبرالى — والفكر الماركسى شطر منه واستجابة له التى حاولت السيطرة على المجتمع الاسلامى كان فكرا مسيحيا كنسيا له جذور يونانية وثنية ومفاهيم رومانية عبودية ، ولذلك فإنه يطرح من الوهلة الأولى محاولة فصل الدين عن المجتمع وإعلاء شأن العلمانية التى تقرر اتخاذ القانون الوضعى نظاما للمجتمع فى شئون القضاء والاقتصاد والسياسة والتربية والتعليم وتحجب الشريعة الاسلامية بكل معطياتها ، ومن ثم فقد فتح القانون الوضعى الباب واسعا أمام الخمر والزنا والربا وحطم الحصانة التى تقيمها الحدود الإسلامية لحماية المجتمع الاسلامى .

وفى مجتمع كهذا تصبح لأفلام هليود ولحلقات الجريمة والجنس فى السينما والتليفزيون والإذاعة والمجلات المصورة آثارها البعيدة فى تكوين الأجيال الجديدة وفى الشاب والطفل والفتاة العذراء على وجه الخصوص فإذا كانت المرأة عاملة تقضى وقتها كله فى العمل نهارا وفى النادى ليلا ، وكان الرجل لا يجد وقتا للبيت فإن الأجيال الجديدة لا تجد إجابة عن تساؤلاتها فى عهود المراهقة إلا من كتب رخيصة تباع على أسوار الحدائق أو عن طريق صحبة الشر وبذلك تفقد الأسرة مهمتها تماما .

وهكذا يتجه المجتمع الإسلامى إلى أن يكون صورة من الاحتواء الغربى على نمط مجتمع الاستهلاك الذى يقوم على تطلع يومى إلى الموديلات والأزياء والنماذج الجديدة والمتعددة سواء فى الملابس أو الأدوات أو الأفلام مما يدفع الانسان دفعا إلى الاستعباد لهذا التغيير الدائم ، فى سبيل بيع هذه البضائع ، ومن حولها دعاية خطيرة تملأ الصحف وواجهات التليفزيون، ومن هنا فلابد من وجود فلسفة تحول دون العقبات : عقبة الدين وعقبة الأخلاق وعقبة الضوابط ولابد من هدم هذه العقبات (فلا اقتحم العقبة) ولما كانت هذه المعاملات تقوم على أساس الربا فلابد من دعم الربا ولابد من الانتقال

إلى مراحل الترف والرفاهية والإنحلال ولابد من قيام مجتمع اللهو والفساد الذى هو أشبه بمخدر وهمى للذين لايستطيعون أن يحصلوا على المتاع .

كذلك فإن محاولة فرض أسلوب العيش الغربى قد زلزل مفهوما أصيلا من مفاهيم الاسلام وهو الارادة الفردية والمسئولية القائمة على الايمان بالحساب والجزاء الأخروى وذلك باستشراء نظرية مدرسة العلوم الاجتماعية التى قدمها دوركايم المفكر الغربى الليبرالى الذى يقيم أسس فكرة على المفاهيم الماركسية والنظرية المادية فهو ينكر فطرية الانسان وفطرية الدين وفطرية الأسرة ويرى أن القيم والعقائد الروحية والمعنوية التى قدمتها الأديان لا قيمة لها وأن الفرد لا قيمة له ولا معنى للتشبث بالحرية الفردية وإنما يرى أن القيم كلها للمجتمع الذى يخلق الأديان والعقائد ولذلك فهو يدعو إلى الاستهانة بالأخلاق ، ويرى أنها ليست من الثوابت وأنها متطورة لأنه لا يؤمن بأصلها الدينى الالهى ، وهذا كله يستهدف تدمير الضوابط ودفع البشرية إلى التحرر من القيم والحدود التى جاءت بها الأديان فتندفع إلى المطامع والأهواء والفساد فهو يدعو إلى هجران كل أساس إلهى ، بل أخلاق ميتا فيزيقى وبذلك يقيم مع نظريات فرويد فى التحليل النفسى وسارتر فى الحريه الفردية فكرة جبرية العلوم الاجتماعية والحتمية التاريخية ، ولا ريب أن حتمية الإنسان من شأنها أن تنفى المسئولية والجزاء .

وهكذا يطرح الفكر الغربى الوافد فى آفاق المجتمع الإسلامى مفهوما خطيرا يعارض الأصالة والفطرة ويعارض مفهوم الدين الخالص ، قوامه النظرة المادية الخالصة إلى الإنسان ومحاولة إخضاع الإنسان للقوالب العلمية التجريبية التى تخضع لها المادة أو ما تخضع له تجارب الحيوان ذلك أن الإنسان لا يمكن أن يخضع لمثل هذه المناهج ، والنظريات ، لأنه روح وجسد وعقل لذلك فإن هناك منهج خاص مستقل لدارسته .

وتمضى هذه النظريات إلى إنكار وجود عاطفة دينية فطرية لدى الإنسان أو أن الإنسان مزود بحد أدنى من الغيرة الجنسية والبر بالوالدين ومحبة الأبناء وغير ذلك من العواطف وكل هذا يرمى إلى هدم العقيدة والأسرة والعلاقات الشرعية بين الرجل والمرأة .

ومن أخطر ما تقول هذه المذاهب الإجتماعية أن الأخلاق ليست قيمة ذاتية ولا هى ثابتة على وضع معين فانما تأخذ صورتها من المجتمع الذى توجد فيه، وأن المجتمع هو الأصل فى كل الظواهر الإجتماعية وليس الإنسان ، ولا ريب أن طرح هذه المفاهيم واستمرار بثها عن طريق الصحافة والكتابة والإذاعة وتطعيمها القصص والمسرحيات والأفلام السينمائية من أخطر المحاولات التى ترمى إلى جعلها مسلمات فى نظر الشباب الغض وفى نظر الذين لم يحصلوا بعد على ثقافة إسلامية كاملة أو أصيلة .

والهدف هو نفى القداسة عن الدين والأخلاق والتشكيك فى قيمها ولهذا أثره الواضح فى المجتمع ، ذلك الأثر الهدام للمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى وهو ما قدمته فلسفات داروين ونيتشه وماركس وسارتر وفرويد ودوركايم وأشارت بروتوكولات صهيون إلى صناعته وضرورة بثه فى آفاق الأميين وهى حملة على الدين والخلق ودعم لمفاهيم التلمودية فى هدم المجتمعات وإفسادها مصاغة فى أساليب براقة من النظريات وفى اطواء حوار فنى للمسرحيات والقصص ، من شأنه أن يثير الشبهات حول حقائق الإسلام الأساسية وتدميرها ومنها فكرة الثبات التى تغلب هذه النظريات عليها فكرة التطور الدائم . وكذلك هدم فكرة الإرادة الانسانية بتغلب مفهوم القهر الخارجى الذى يقهر الفرد على غير رغبة منه ، وكذلك التفسير المادى ، والاقتصادى والجنسى للانسان والاستشهاد بعالم الحيوان فى دراسة الانسان وكل هذا يستهدف المجتمع الإسلامى لتدميره وللقضاء على الأسرة ونظام الزواج

الاسلامى وعلاقات الرجل والمرأة وعلاقات الآباء والأبناء كذلك فإن هذه الحصيلة المسمومة من الفكر الغربى الوافد تدمر الإنسان نفسه وتهدم كرامته بدعوتها إلى الانتخاب الطبيعى وإبادة الضعفاء وتحقيم الفقراء ، وقد عارض الاسلام ذلك كله فى نفس الوقت الذى وضع الانسان فى مكانه الحق ، تكريم الانسان المستخلف فى الأرض والنظر إليه من خلال طبيعته الأصلية الجامعة بين الروح والجسم بوصفه كيانا متكاملا وفى نفس الوقت معارضة استعلاء الانسان وتأليهه وعبادته ، ومعارضة وصفه بأنه حيوان تحكمه غرائزه ووضع الانسان فى حجمه الطبيعى وقدره الصحيح فقد الغى الاسلام الوساطة بين الله والانسان وفصل بين الألوهية والبشرية وأنكر سقوط التكاليف الشرعية والضوابط والحدود عن أى إنسان مهما بلغ قدره من الايمان .

ومخالفة مع مفاهيم الرأسمالية الليبرالية الغربية والماركسية الشيوعية الاشتراكية فإن الاسلام يعطى للانسان أهمية كبرى كفرد فى مجتمع ويقرر أن كل فرد فى المجتمع يستحق من الاحترام والطاعة بقدر ما يحمل من المسئولية ويتحلى به من صفات طيبة كالعقل والعلم والخلق ويؤكد الاسلام حاجة الانسان إلى التقدم المستمر ولذلك فانه يحرر طاقاته الخلاقة جميعا (فكرية وخلقية وعملية) دون أن يسمح لعائق الطبيعة أن يحول بينه وبين التقدم ويجعل تقدمه على أساس مواهبه وقدراته وحدها .

ويقرر الاسلام أن الانسان ثابت الجوهر متغير الصورة وأن الايمان بالله قوة دافعة تعطى الأمل وتحول دون اليأس وتبعث الثقة وتدعو إلى المعاودة فى حالة الاحقاق .

وقد أقام الاسلام حضارته ومجتمعه على أساس التكوين الفردى واعتبره أساس التقدم وقرر أن الرقابة لا تأتى من شخص على شخص ولا من هيئة على هيئة وإنما هى رقابة الانسان لربه .

وفى مجال تحقيق الرغبات الحسية فان الاسلام يدعو إلى تحقيقها عن الطريق المشروع بالزواج وتحريم الزنا فى الاسلام لا ينبعث عن كراهية الجنس بل عن احترام له وتنزيهه من العبث وارتفاع بالمرأة عن أن تكون أداة يلعب بها الرجل ، والخطيئة فى الاسلام ليست غولا يطارد الناس ولكنها التجربة التى يستطيع الانسان أن يرجع عنها ويتجه إلى الطريق الصحيح وقد فتح الله باب التوبة والمغفرة بحيث لا ينوء المسلم أبدا بالخطيئة .

وألغى الاسلام الفكرة القديمة التى كانت تقول بأن هناك صراعا بين الجسم والروح ، وأعلن أن الروح والجسم متكاملان . ولما كان الانسان مستخلفا فى الأرض فهو مسئول ومحاسب وقد ربط الاسلام بين العلم والعمل وقرر أن العلم إنما يطلب من أجل العمل به ، وكشف عن أن الطبيعة البشرية قائمة بقدرتين معدتين : قدرة على التحصيل وقدره على الممارسة العملية وقد علم الاسلام الانسان أنه مبنى على المجاهدة والكدح والمكابدة والسعى وأن الحياة معبر إلى الآخرة ، فى إطار المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى وأن الإلحاد طارىء على النفس البشرية وليس من طبيعتها ولا هو متأصل فيها وأن هناك مفاتيح عدة للخروج منه أهمها التفكر فى خلق السموات والأرض هذا الكون الفسيح الدقيق التركيب فى مواقيته وأموره بما ينبئ عن خالق عظيم يديره لحظة بعد لحظة ومن هنا تظهر حاجة الانسان إلى ربه وضرورة ارتباطه به ، ويتبين عجز الانسان عن مواجهة الحياة درن رشد الوحى والدين والتماس رضا الله تبارك وتعالى ودعائه وعفوه .

هذه المعانى كلها التى أحكم الاسلام غرسها فى أعماق المسلم تبدو معرضة لخطر شديد إزاء أسلوب العيش الغربى والفلسفة القائمة وراءه ، وهى فلسفة مادية ولا ريب أن الأيدلوجيات الرأسمالية تحاول صهر المسلم فى بوتقة غريبة عنه وكذلك تحاول الايدلوجيات الماركسية بينما يريد الاسلام أن

تكون صناعة الانسان صناعة إسلامية قائمة على التوحيد والرحمة والعدل وإسلام الوجه لله .

ويفرض النظام الرأسمالى على المجتمع نوعا مغايرا من السلوك ، يقوم على أساس الاستمتاع بالمتع المادية والحرية المطلقة فى العلاقات بين الجنسين مما أدى إلى تدمير الأسرة واستعلاء الأثرياء وإسرافهم فى الترف وحقد المحرومين واندفاعهم إلى الإنتقام من الأغنياء ، وانقسام المجتمع إلى شطرين فالنظام الأساسى يبدأ من أنانية الفرد تحت تأثير واقع المجتمع وينتهى إلى الصراع وضياع المجتمع ككل .

وفى النظام الماركسى يذهب المجتمع إلى سحق الفرد سحقا كاملا ، ويراه أشبه بترس فى آلة ، وفى النظام الماركسى المعبود هو المال أو الاقتصاد فالمال هو الخالق والمنشىء والإنسان فى تفكيره وسلوكه تابع للمال ولا يخرج عن تأثيره ومنه تتغلب المنفعة المادية فى التعامل والترابط والتوجيه .

أما فى نظام الاسلام فإن المجتمع الاسلامى يقوم على التوحيد والوحدة والتكامل والتضامن ، حيث يعلى من شأن القيم المعنوية دون أن ينسى المعطيات المادية وحيث يحفظ للفرد ذاتيته فانه يدفعه إلى العطاء الاجماعى الوافر فينقله حثيثا من الفرديه إلى الجماعية ومن الأنانية إلى الغيرية .

وقد كان من نتائج خضوع المجتمع الاسلامى لأسلوب العيش الغربى أن دخل مرحلة خطيرة من الضعف والتأزم فظهرت عوامل الازدراء بكياننا المعنوى الروحى والدينى وفقدان الثقة بالنفس والتقمص لشخصية الأجنبى وظهور الميوعة والتراخى والاتكالية وعدم القدرة على التضحية والنفاق والرياء وتعاطى الخمور والقمار والزنا والمبالغة وتزوير الحقيقة وعدم تقدير قيمة الوقت

واحتقار العمل اليدوى وعدم تحمل المسئولية والتعصب للون والجنس والاستخفاف بحياة الانسان والغش فى المعاملة وشهادة الزور .

هذا هو الخطر الذى يواجه المجتمع الاسلامى فى نهاية القرن الرابع عشر الهجرى ومطالع القرن الخامس عشر ، وهو خطر يخشى منه إستمرار أزمة الأمة الاسلامية فى عدم قدرتها على التخلص من النفوذ الأجنبى ومن الغزو الاستعمارى الصهيونى الماركسى وهو أمر يتطلب مزيدا من اليقظة والوعى والعمل على التحرر منه وكسر قيوده .

ومن عجب أن مستشرقا مثل لويس ماسنيون قد دعا المسلمين والعرب إلى هذه المقاومة حين قال : من حق العرب أن يقاتلوا أمام هذه الدعاية المذلة التى تقترح عليهم التنازل عن شرفهم وتراثهم والاستسلام أمام القوة الغربية ورءوس الأموال المصرفية التى تطلب إليهم الانسجام فى طريق عملهم مع هذه الحضارة الكاذبة: حضارة الإنسان الآلى التى لم تعد تؤمن بنفسها أو بالذات الالهية وتصبو إلى إخضاع العالم إلى نظامية ثقافية غربية بلهاء ، إن هذا الانتاج الصناعى المغشوش سيسقط سريعا وشيكا ، فليصمد العرب فالعالم فى حاجة إليهم » .

نعم : نحن محتاجون فى مواجهة هذه التحديات إلى المحافظة على الشخصية الاسلامية وصياغتها على النحو الذى رسمه الاسلام وقدمه القرآن والسنة الصحيحة وقوامه تحرير هذه الشخصية من التبعية والتقليد واحتفاظها بالتميز الواضح والقدرة على مقاومة فرض العادات والتقاليد الوافدة من الثقافات والبيئات المختلفة وقد أعلن الاسلام حربا لا هوادة فيها على تقليد المسلمين لغيرهم وأعلن أن من تشبه بقوم فهو منهم ، وفى هذا التهديد ما فيه ، ولقد قامت تعاليم الاسلام منذ أول يوم على أشد الحرص على تمييز الشخصية الاسلامية عن غيرها مما كان مدعاة لدهشة أعدائه حتى راح اليهود يقولون فى عصر النبى

(ما يريد محمد أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه) .

وقد كان من الضرورى أن يبقى هذا التحفظ ، ولقد حرص المسلمون على بقائه ولكنه سقط اليوم نتيجة نصح الضالين المضلين الذين تصدروا ثقافة هذه الأمة وحملوا لواء التغريب والتبعية تحت إسم التجديد والتحضر ولذلك فإن دعوتنا هى التحذير من التشبه بداء الأمم والتبعية ، حتى يظل المسلمون كالشامة البيضاء فى المجتمع العالمى الذاخر بفنون الأديان والعادات ولا ريب أنه من أشد أنواع التضليل الدعوى بقبول الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها ، وعلى المسلمين أن يقبلوا الأساليب والاطر والنماذج التطبيقية الحديثة والأدوات ولكن عليهم أن يملأوها بفكرهم ومفاهيمهم .

ولقد كان حقا علينا إذا كنا نسير على خطا محمد ونلتزم بتعاليم الإسلام أن نحافظ على ذلك التميز العميق وبين المسلمين وبين الناس ، إيمانا بأننا أمة شاهدة على العالمين حفيظة على أمانة الله ورسالته بين البشر لسنا تابعين ولسنا مبتدعين فالتقاليد العامة لا يجوز أن تنبع من منابع غير إسلامية فالأزياء والزيارات وأمور العلاقات بين الرجال والنساء وبين الآباء والأبناء وكل ما يتصل بحقوق الجوار لابد من تحرى وجهة الإسلام الصحيحة فيها والتمسك بها فى قوة والاعتصام بالعزائم منها لا بالرخص ورفض كل مجلوب ومستورد فى هذا المجال ومن ليس نابعا من الدين الحق ومن التقاليد الأصيلة ولابد أن يكون لنا واقع متميز قائم على منهج أصيل له مصدر ربانى والتزام أخلاقى . ولا بد من بناء الأجيال الجديدة على أساس التربية الإسلامية الجامعة بين الروح الأخلاق والجسم من أجل دعم الأسرة وتأكيد ذاتية الشخصية الإسلامية وبناء روح الأخلاق والعقيدة وسلامة السلوك الاجتماعى ولابد أن تكون لنا مفاهيم أصيلة فى شأن المرأة والأسرة والعادات والملابس والزينة ، تقوم على أساس الاستمساك بعفاف المرأة والبكارة والفصل بين مجتمعات الرجال ومجتمعات النساء ، ولابد أن يبدأ الإصلاح من نقطة الواقع الحى الموجود بتغيير الأعراف الدخيلة الوافدة والتماس الأعراف الفطرية الأصيلة التى تستمد وجودها من الوازع الداخلى

القوى العازل بين الحق والباطل والخير والشر والفضيلة والرذيلة ومسئولية الكتاب وأصحاب الأقلام كبيرة فليس على الكاتب أن يعكس قيم عصره فيكون مبرراً للواقع الفاسد والمضطرب وإنما عليه أن يحرر عصره من القيم الضالة وأن يهدى قومه بأمانة القلم التى استأمنه الله تبارك وتعالى عليها إلى الحق والخير وأن يعارض كل ما يدعو إلى إفساد الفطرة بالخمر أو الربا والزنا ولا بد أن يكون هناك إيمان لا يتزلزل بأنه إذا خير المسلمون بين معطيات الحضارة وبين فقدان الذاتية أن يفضلوا سلامة ذاتيتهم وتأكيدها ونقائها ولو ضحوا فى سبيل ذلك بمعطيات الحضارة وأنه لمن أشد أنواع الخطر للبشرية أن تعود بعد أربعة عشر قرنا من ضياء الإسلام الذى جاء للعالمين جميعا أن تعود بالإنسان إلى الرق وأن يعود البشر إلى الوثنية وأن يعود الفكر إلى الجبر وأن تنحرف الفطرة إلى إعلاء الجنس والطعام وتفقد الأصالة المستمدة من العبودية لله تبارك وتعالى وتحكيم كتابه والوقوف عند حدوده وضوابطه التى رسمها للمجتمعات ، وحتى لا تندحر البشرية بعودتها إلى فساد النظرة بقبولها الجبرية الاقتصادية أو الحتمية التاريخية وكلاهما باطل يستهدف إلغاء الارادة الإنسانية وتحميل المجتمعات فساد الأفراد بينما يقرر الاجتماع الاسلامى الأصيل مسئولية الفرد الذى يأتى يوم القيامة دون أحد من أهله أو جاره أو يقبل منه غير عمله الفردى الخاص فى مواجهة أمواج المجتمع ولا ريب فى فساد نظرية تغليب فكرة الجبر على حرية الارادة أو سقوط الفرائض والحدود عن أحد من البشر ، فإن ذلك ضلال كاذب يحاول أن يلغى المسئولية الفردية والجزاء الأخروى

وبالجملة فإن أخطر ما يطرح أسلوب العيش العربى فى المجتمع الإسلامى: فكرة (عبادة الحياة) ولقد استشرى هذا الخطر بين المسلمين نتيجه للمفاهيم الماركسية والمادية التى تدوولت فى العصر الأخير ، وهى من أخطر

محاولات الخروج عن الاطار الاسلامى ، فالمسلمون لا يؤمنون بانكباب الناس على الحياة وليس من مفهومهم هذا الاندفاع إلى هذه الغاية ، بل هم يقبلون على الحياة ويتداولونها دون أن تحرم عليهم زينتها على أن تكون العملية كلها فى إطار الايمـــان باقامة المجتمع الربانى وإعلاء شأن الخيرية والبذل .

ولا شك أنه لا عذر للمسلمين فى تبرير أوضاعهم المتردية بالقول بأن العصر أو التطور أو أى عامل من عوامل البيئة والزمن أو اقتراب المسافات كل هذا لا يكون مقبولا لأن يخضع الآثامه وفساده واضطرابه وليس على الإسلام أن يكون مبرراً لأوضاعهم ولو على سبيل الرخص الذى يحاوله بعض المترخصين الفتيا بها ، ولابد من أن يخضع المجتمع الإسلامى لحكم الله ولحدوده ، وعلى المسلمين أن يشكلوا أنفسهم فى هذا الاطار وأن يتخلصوا من كثير من الأساليب والوسائل والرغبات المذلة التى تخرجهم عن حدود الله ، ذلك أن قوانين الاسلام تفسح للمسلم عشرات الميادين فى الاستمتاع فى مجال الطعام والعلاقات بين الرجل والمرأة دون الخروج عن حدوده وضوابطه التى هى أساس من أسس حماية الشخصية الفردية وحمايه المجتمع نفسه من الانهيار والحيلولة دون عدوان أحد على حرية الآخر ، وليس فى استطاعة المسلمين التطلع إلى التمكن فى الأرض والسيادة وإقامة كيانهم إلا بالتماس منهجهم الأصيل ، ولا ريب أن أعظم روابط المجتمع ، هو التماثل العقلى والروحى والغاية واحدة ولن يتحقق ذلك بالتماس عقيدة الاسلام كاملة وتطبيق شريعته تطبيقا حاسما فإن ذلك وحده هو الذى يقيم الرابطة الوجدانية والعقلية والاجتماعية والتى يشترك فيها أفراد الأمة جميعا والتى تستقيم بها وجودهم ، هذا التماثل فى الأخلاق والعقائد والعادات هو هدف من أهداف الغزو الفكرى الاجتماعى الغربى لأنه يحقق الاستجابة الواحدة للأحداث والمواقف وهذه الرابطة هى أشد وثوقا من رابطة اللغه أو رابطة العصبية والجنس

ولا ريب أن هذا التماثل هو تماثل فى العموميات وفى الأفق الأكبر الجامع للطلبات العامة وليس فى الفروع والتفصيلات .

ولا بد من أجل تحقيق ذلك .

(أولا) أن نكشف عن الفوارق بين الأخلاق التى هى من أصل الدين الحق وبين التقاليد والعادات التى هى من صنع المجتمعات فإذا ما عزلنا عن جوهر ديننا تلك البدع والخرافات التى تضاف إليه كذبا وزوراً فاننا نكون قد قطعنا الطريق على التزييف والاضافة والحذف .

(ثانيا) أن نحقق التمييز الواضح بين شخصية الرجل وشخصية المرأة والحيلولة دون إمتزاجهما أو تحول إحداهما إلى الأخرى وعلى المرأة المسلمة أن تعرف ما هى الصفات الأصيلة التى تمثل رجولة الرجل والتى يكون بها الرجل أهلا للاقتران بها وكسب ثقتها وليس من بين هذه الأشياء أن يكون مائعا أو رخوا أو من أهل الانحلال .

الباب الثاني

التحديات في وجه المرأة

الفصل الأول

التحديات فى وجه المرأة المسلمة

لا ريب كان من أخطر التحديات فى وجه المرأة المسلمة تلك الدعوى التى استعلنت باسم تحرير المرأة فى أوائل هذا القرن الميلادى والتى حمل لواءهـــا كثيرون غرر بهم وظنوا أنهم يستهدفون حقا ضائعا بينما كانت حركة تحرير المرأة كلها من أولها لآخرها جزءا من مخطط الاحتواء الغربى والغزو الثقافى والاجتماعى الذى يستهدف إخراج المرأة من رسالتها وقيمها ودفعها إلى أمواج المحيط العاتية ، ذلك أن الاسلام فى الحقيقة هو الذى وضع ركائز تحرير المرأة الأصيلة ، أما هذه المحاولة فقد استهدفت الأسرة والأخلاق والقيم والعرض الاسلامى بإحداث ثغرات وخلق عقلية جديدة تفكر فى إطار المفهوم الغربى العارى من أساليب العفة والقيم والحصانة وقد تصاعدت هذه الموجة حتى خلقت مفاهيم خاطئة أشبه بالمسلمات أدارت رأس المرأة وأفسدت العلاقات الطبيعية والفطرية بين الرجل والمرأة والزوج والزوجة والآباء والأبناء فى عشرات المواضع فعدت هذه الحياة الاجتماعية متحللة ومضطربة وبعيدة كل البعد عن المفهوم الاسلامى الأصيل والحقيقة أن الجماعة لم يكونوا مخلصين لهذه الأمة أو صادقين فى التماس هدف أصيل .

وقد كان لهذا الانحراف الذى تم تحت أضواء الحضارة وبريق الحرية وصيحات التكريم الباطل للمرأة أثره البعيد فى تلك النتائج الخطيرة التى يواجهها المجتمع الاسلامى من آثار بعيدة المدى فى شأن الزواج الزائف والطلاق والجريمة والاختلاط وآثاره الخطيرة ، وقد جرى هذا كله فى الوقت الذى فرض النفوذ الأجنبى على بلاد المسلمين قوانين جنائية واجتماعية تبيح

الزنا والفساد وتحمى أساليبه وما تبع ذلك من فساد فى الزى والزينة وتحلل كان من شأنه وقوع تلك الأحداث العاتية والجرائم الخطيرة .

وقد جاءت تحديات المجتمعات المفتوحة ، التى نقلت مئات من المهاجرين الأثرياء إلى بلاد أخرى للزواج والتعامل التجارى وإقامة العلاقات الاجتماعية عاملا خطيرا فى مزيد من إفساد العلاقات وبروز ظاهرة البغاء الخفى ، وكذلك كانت حرية خروج الفتيات للعمل فى بلدان أخرى من العوامل الخطيرة لتعميق هذه الظاهرة الخطيرة فحين تشير الصحف .(الأخبار ١٩٧٢/١٠/١١) إلى أن ٤٢٧٥ عقد زواج مصريات بأجانب تم فى تسعة شهور عن طريق الزواج بالتوكيل وقد تبين أن أغلب هذه الزيجات فاسدة ومصيرها الفشل والطلاق والسبب هو أن العروس تقبل الزواج من شخص لم تره أو تقدم لها معلومات خلاف الواقع وبعد أن تقبل الزواج وتسافر إلى زوجها هناك تصدمها الحقيقة .

ومهما تجرى الحيطة فى مثل هذه الأمور فإن العلاج لا يشمل الظاهرة من أساسها الاجتماعى كذلك فإنه لا يحول دون الوقوع فى أيدى العصابات التى تتجر فى الرقيق الأبيض على النحو الذى صورته الصحف (٣ / ٥ / ٧٢) فى الاستعانة بسيدات لاستدراج الفاجرات من دور السينما إلى المقابر والاعتداء عليهن ، كذلك فإنه فى عامين اثنين كما يقول الأهرام ١٩٧٢/٨/١٢ تضاعف نسبة عقود الزواج التى تعطى للمرأة عصمتها فى يدها من ٢ فى المائة من مجموع الزيجات إلى ٥ فى المائة دفعة واحدة فما هى الأسباب التى جعلت أكثر من ١١ ألف زوجة تصر على الحصول على ورقة بجوار عقد الزواج تعطيها حق تطليق نفسها ، ويقول الباحثون الاجتماعيون أن إنهاء الرابطة الزوجية عن طريق المرأة لا يظهر إلا عندما تخلو الزيجة من شرط الكفاءة بين الطرفين كأن تكون المرأة من وسط اجتماعى أعلى من وسط زوجها أو تكون من الناحية

الاقتصادية أكثر مالا من زوجها أو من ناحية التعليم ، كذلك تشير الظاهرة أن الزوجات اللاتى يحتفظن بحق العصمة فى أيديهن أصبحن من كل الفئات والطبقات وظاهرة رابعة تلك إغراء الفتيات على السفر للعمل فى الخارج ثم تجرى محاولة الضغط والإرهاب لإرغامهن على الخطأ (الأهرام ١٢/٧/١٩٧٢) كل هذا وظواهر أخرى أشد سوءاً تكشف بوضوح ذلك خروج المجتمع الواضح عن الأسلوب الأصيل والطريق الصحيح إلى أساليب وافدة ، والتحرك من خلال المطامع والأهواء ، والرغبة فى الحصول على أكبر قدر من المال أو المتعة على غير النهج الصحيح الذى سنه الإسلام للجماعة أن تأخذ به ومصدر هذا كله هو خروج المرأة عن مكانها الحقيقى وحجمها الطبيعى ، مما يوجه إليها اللطمات ويصدمها فى كل حين ولو أنها استمسكت بكرامة الاسلام فى التعامل لما تعرضت لهذا الهوان .

(٢) وفى المجال الأوسع وهو مجال عمل المرأة ، تواجه المرأة عشرات التحديات والأزمات والمشاكل فقد عرضها إلى أن تفسد بيتها وتفسد زيها وتفسد أسلوب تعاملها مع الرجل وعرضها لمخاطر كثيرة ولو أن المرأة لم تأخذ بتلك المسلمات الكاذبة التى ظلت محاولات النسائيون دعاة تحرير المرأة تبثها سنوات وسنوات حتى صدقها الكثيرون ثم كشفت التجربة عن الارتطام بالحقائق فما يزال عمل المرأة فى حقيقة على حساب الأسرة والطفولة والبيت ، ذلك أن هذا الوقت الذى تقضيه المرأة فى المكتب أو المصنع أو المتجر لا يحقق من الأثر كفاء ما يفقده البيت والأسرة والطفل ، فضلا عن أن ما تحصل عليه من دخل مادى لا ينفق فى خدمة الأسرة ، بل فى سبيل تغطية مطالب يتعلق بالملبس والمواصلات ، ولا يوازى فى مجموعه تلك الخسارة التى يفقدها الأبناء فى حضانة المرضعات والحاضنات فتفقد أهم ما تعطى الأم ولا يعطى غيرها بديلا منه العاطفة ولبن الأم والوجدان ولقد خرجت المرأة المسلمة إلى العمل

فى العقود الأخيرة بعقد أن تفهم حقيقة مهمتها فى الحياة الاجتماعية أو طبيعة تركيبها البيلوجى أو دورها فى الأمة ذلك أن هذا كله لم تتعلمه مع الاسف لأن مناهج التعليم لا تقدم للفتاة ما يدلها على الطريق الصحيح أو يهديها إلى الحق .

وهكذا نجد أن المحاولة التى قام بها النسائيون دعاة تحرير المرأة فى العصر الحديث لم تكن فى الحقيقة إلا ضد هذه الأمة وضد قيامها وضد رصيدها المعنوى والمادى جميعها وعلى حساب الأسرة المسلمة وحساب المرأة نفسها فإنها محاولة مسمومة مضللة ، حاولت أن تقدم مجموعة خاطئة من المسلمات ثم مضت تركز هذه المفاهيم خلال تلك السنوات الطويلة من قنوات الصحافة والاذاعة والسينما والمسرح والقصة ، وهى فى مجموعها ترمى إلى خلق عقليه مضللة للمرأة تصورها بصوره القادرة على الحياة فى المجتمع ، خارج نطاق الزوجية والأسرة والأمومة من حيث هى قادرة ماديا على أن تجد موردها الذى تعيش به وأن هذا القدر يعطيها الحق فى أن تختار الطريق الذى ترضاه فى الحياة الاجتماعية وبما تخرج به عن الضوابط والحدود والاعراف التى رسمها الدين .

كذلك فإن اختبار موانع الحمل والاجهاض كانت عاملا هاما فى فتح الطريق أمامها إلى كل الرغبات والأهواء التى ساقها إليها الرجل ، ومن ثم أصبحت الفتـــاة قبل الزواج أو بعده قادرة على ممارسة كل رغباتها فى ظل موانع طبية مقررة تعيد دم البكارة الأحمر إلى مكانه أو تحول دون وقوع الحمل .

إن الخطأ كله جاء من الذين يتآمرون على المرأة عن طريق تماسكها بالقول بأنها مساوية للرجل وبأنها مستقله عن الرجل وأنها تصلح لأعمال الرجل والقول بأنها مهمة البيت هى مهمة الخادمات وكيف يسخرون ويهونون من مفهوم الأسرة والأمومة والزوجية ويسخرون منه .

إن محاولة تحرير المرأة كانت سبحا ضد النهر ومعارضة للفطرة ، أنه بمثابة انحراف للمرأة عن أداء رسالتها ، معوق لعملها الطبيعي الذى يتفق مع طبيعتها وتكوينها وهو خيانة كبرى : على الحياة الزوجية والبيت والأطفال والأسرة وقد تحرض المرأة للتمرد على رسالتها ومسئوليتها .

أن المفاهيم التى طرحتها حركة تحرير المرأة بالاضافة إلى ما قدمته مفاهيم الاستشراق والتبشير والتغريب كانت جميعها فى حاجة إلى مراجعة وكانت مختلفة مع الفطرة ومقررات العلم الحديث فقد أثبتت هذه المباحث والتحقيقات أشياء كثيرة جديرة بالنظر :

أولا : ليس الذكر كالأنثى :

أن المرأة تختلف عن الرجل فى كل شىء : فى الصورة والسمة والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم والجواهر البروتينية لخلاياه النسجية ومع بلوغها سن الشباب يعروها المحيض الذى تتأثر به أفعال كل أعضائها وجوارحها وتدل مشاهدات أساطين علمى الأحياء والتشريح على أن المرأة تطرأ عليها فى مدة حيضها . تقل فى جسمها قوة الحرارة فتنخفض حرارتها ، ويبطىء النبض وينقص ضغط الدم وتقل عدد خلاياه وتصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدد المفارية بالتغيير ويختل الهضم وتضعف قوة التنفس ويتبلد الحس وتتكاسل الأعضاء وتتخلف الفطنة وقوة تركيز الفكر .

وأشد على المرأة من مدة الحيض زمان الحمل ، حيث لا تستطيع المرأة خلال الحمل أن تحتمل مشقة الجهد البدنى أو العقلى ما تتحمله فى عامة الأحوال عما يختل به نظام جسمها كله ويستغرق بضعة أسابيع وبذلك تبقى المرأة مريضة أو شبه مريضة مدة سنة كاملة بعد قرار الحمل وتعود قوة عملها نصف فى عامة الأحوال .

ويرجع إختلاف المرأة عن الرجل إلى عوامل ثلاثة :

(أولا) إن خصائص الأنوثة ومواهبها كقانون الزوجية والأمومة وذكاء العاطفة ليست أسبابا للتكسب .

(ثانيا) أن حظها من العقل الذى لم تبلغ به مبلغ الرجل ، فصل على قدر ما تفهم به نفسها وواجبها ومكان وظائفها فى الحياة .

(ثالثا) ما يطرأ على قواها البدنية والنفسية والفكرية من ضعف بسبب عوارض الحيض والحمل والولادة .

ويتسع هذا المجال لقول واسع مضطرد فما من عمل زاولته المرأة من غير وظائفها الأصلية فى البيت وخارجه إلا وكان الرجل متفوقا عليه فيه ، وخاصة وفى أمرين من أهم الامور التى تتميز بهما المرأة : إعداد الطعام وصناعة التطريز .

هذا الاختلاف بين الرجل والمرأة ، وهذه التفرقة بين الرجولة والأنوثة التى قررها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا نجد بعض الباحثين فى علوم البيلوجيا يلتفت إليها الآن فيقول الدكتور الكسى كاريل : أن الاختلافات بين المرأة والرجل ليست فى الشكل الخاص للاعضاء التناسلية وفى وجود الرحم والحمل بل هى ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك ، إن الاختلافات بينهما تنشأ من تكوين الانسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماويه محددة يفرزها المبيض وقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الانوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحداً وأن يمنحا سلطات واحدة ومسئوليات متشابهة والحقيقة أن المرأة تختلف إختلافا كبيرا عن الرجل فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها والأمر صحيح بالنسبة لأعضائها ولجهازها العصبى أيضا ، والنساء وحدهن من الثدييات هن اللاتى يصلن إلى نموهن الكامل بعد حمل أو اثنين ، كما أن النساء اللاتى لم يحملن

لسن متوازنات توازنا كاملا كالوالدات فالأمومة لازمة لا كتمال نمو المرأة ولقد دعا الإسلام منذ ظهوره إلى تأكيد رجولة الرجل وأنوثة المرأة وخطر الخلط بينهما ، يقول الكس كاريل يجب أن يحدد الانسان مرة أخرى فيكون كل فرد إما ذكراً أو إما أنثى فلا يتقمص مطلقا صفات الجنس الآخر العقلية وميوله الجنسى وطموحه الذاتى .

قال القرآن منذ أربعة عشر قرنا (وليس الذكر كالأنثى) وقرر أن المرأة لها تكوين دقيق خاص (أو من ينشؤ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) .

ويقرر كاريل أن دور المرأة فى تقدم الحضارة أسمى من دور الرجل فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة .

ومع هذا الاختلاف فى « وظيفة المرأة » فإنه لا ينقصها شيئا فى نظر الاسلام من مساواتها فى الحقوق العامة باستثناء قيادتها للدولة ، والنصوص الشرعية لا تحول دون تمتعها بكافة الحقوق ولكن فى إطار الضوابط الإسلامية التى تحول أن تصبح المرأة سلعة فى الأسواق التجارية والسياسة والتى تحول دون أن تصبح مجالات العمل معارض للازياء وتجارة لأشياء نلمس آثارها فى أكثر البلاد .

يقول الأستاذ سالم بهنساوى : كانت قصة الحقوق العامة للمرأة وسيلة صهيونية لإفساد أوربا ومنها امتدت العدوى إلى العرب ، لقد بدأ التخطيط لها بعد الحروب الصليبية وظهرت بوادرها منذ ضعفت الخلافة العثمانية . المعركة بدأت إبان احتلال الغرب للبلاد العربية ممن سموا أنفسهم (أنصار المرأة) يجاهرون بأنهم يريدون التحرر من القيم الدينية وأنهم يسعون لتقليد الغرب فى كل شىء .

ما زال التخطيط سارياً فى هدوء لاستخدام المرأة كسلاح فعال فى هدم القيم الدينية وصبغ الأمة بالصبغة اللادينية تمهيداً للسيطرة الصهيونية وغيرها من الأهداف الاستعمارية وقد وجد الغرب أدواته فى تعميق الاتجاهات اليسارية والمادية لتخدم تهيئة البيئة الإسلامية فى شكلها العلمانى اللادينى ، وقد اتفقت الخطط للتعاون ضد روح الإسلام والتصارع من أجل تأكيد نفوذهم فى بلاد الإسلام .

قال مورو بيرجر فى محاضرة فى جامعة برنستون : أن نمو وضع النساء ومشاركتهن فى الشئون العامة هو أخطر قوى التغيير لا فى الأسرة العربية وحدها بل فى المجتمع العربى على العموم فإنه سمح للقوى التى حملت سلاحها الآن أن تبرز امكانياتها فما من شك أن مطامع النساء وحقوقهن سوف تحول المجتمع العربى تحويلا عميقا وبصورة أبدية) .

وهكذا تنكشف أهداف النفوذ الغربى (استعمارى ماركسى صهيونى) من خلال المؤامرة على المرأة المسلمة .

ثانيا : الأمومة

إن حضانة الأم لطفلها عمل ضخم بعيد المدى فى تكوين الطفل لا يمكن أن يساديه أى عمل آخر تقوم به المرأة أو يعوضه أى بديل آخر كالحاضنات أو الخادمات .

يقول الدكتور الكس كاريل فى كتابه (الانسان ذلك المجهول) :

لقد ارتكب المجتمع العصرى غلطة عظيمة باستبداله تدريب المرأة بالمدرسة استبدالا تاما ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى ينصرفن لأعمالهن أو مطامعهن الاجتماعية أو مباذلهن أو هواياتهن الأدبية أو الفنية

أو ارتياد دور السينما وهكذا يضيعن أوقاتهن فى الكسل . إنهم مسئولات عن إختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التى يتصل فيها الطفل بالكبار فيتعلم منهن أموراً كثيرة لأن الطفل يتشكل نشاطه الفسيولوجى والعقلى والعاطفى طبقاً للغرائب الموجودة فى محيطه إذ أنه لا يتعلم إلا قليلا من الأطفال الذين فى مثل سنه .

ويقول الدكتور دين دنيس عالم النفس الأمريكى : أن ذكاء الطفل ينمو وقدرته على الكلام تقوى إذا نشأ بين أبويه ولم يترك للمحاضن أو رياضة الأطفال أو المربيات الأجانب) .

وكل هذا يكشف عن أهمية بقاء الأم فى البيت لأداء واجبها نحو أسرتها وأن الأمومة هى مهمة المرأة الأساسية فى نظر الاسلام : رسالتها بالنسبة لزوجها وبيتها وطفلها وأن هذه المهمة الدقيقة الخطيرة تتطلب تفرغ المرأة تفرغا تاما لها .

وقد سجل القرآن الكريم هذه المهمة فى وضوح :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

(وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة) .

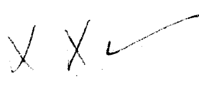
ولقد كان خليقا بالمرأة فى المجتمع الاسلامى العميق الجذور برسالة الاسلام أن محاولة إخراج المرأة عن رسالة الأمومة إنما يهدف لتدمير كرامتها وضرب الأسرة والطفولة فى أعز تعاملها وإن تمرد اليوم على أداء رسالتها التى فطرها الله عليها بالعمل بما لا يتناسب مع طبيعتها وتكوينها تحت أضواء خادعة وزخارف كاذبة تتمثل فى السهرات الضاحكة واقتحام مجتمعات الرجال وما يتعرض له من إغراء وغواية وخداع وغش يحطم عفافها ويقضى على كرامتها ، هذا

التمرد قد تبين من الأحداث أنه خوض ضد التيار وأنه لا يؤدى إلى الاستقرار والسكينة أو الطمأنينة النفسية التى تتطلع إليها المرأة وأن مسائل الزينة الفاضحة والملابس الكاشفة وهذا الركام من الزخارف المطروحة أمامها والتى تأكل موارد البيت أو مواردها الخاصة ماهو إلا انحراف حقيقى عن الفطرة وأنه طريق إلى أسلوب بعيد عن الكرامة التى يقدمها الاسلام للمرأة وأنه باب إلى التحلل الخلقى الجامع العنيف الذى يتحن به الشباب المراهق ، تعينه على ذلك القصة المكشوفة والصور العارية وما تقدم الصحف والكتب من نماذج الفساد تحت إسم الحضارة والتمدن وخاصة بعد أن حطمت المرأة آخر القيود والضوابط بأن سارت عارية الصدر والساقين والزراعين تحت أسماء المينى جب والميكرو جب .

وقد نعى كثيرون على المجتمع الاسلامى هذا الخضوع للموجة الغربيه الضالة : فتقول السيدة الغربية مريم جميلة التى أسلمت أنها تنعى على دعاة تحرير المرأة المسلمين فهمهم الخاطىء لمعنى التحرر على أنه الإباحية المطلقة للنساء فى الاختلاط بالرجال حيث شئن وإينما ذهبن بدون قيد أو شرط وفى اختيار الأزياء غير المحتشمة وفى توظيفهن خارج البيوت وفى الأسواق والمسارح ودور السينما وفى مساهمتهن فى الحياة العامة مهما تمزقت أواصر الأسرة وانتهكت حرمات العفة والاباء .

وتقول هذا فى ضوء التجربة المثيرة التى مرت وتمر بها المجتمعات الأوربية والأمريكية والغربية المتحررة وتدعو باخلاص بعد اعتناقها الاسلام ومعرفتها أحكامه وآدابه إلى أن يعرف النساء المسلمات نعمة الله عليهن بهذا الدين الذى جاءت أحكامه وآدابه صائنة لحرماتهن راعية لكرامتهن محافظة على عفافهن وحياتهن من الانتهاك وضياع الأسرة

فكل ما يقال عن أن المرأة لها مهمة أخرى غير الأمومة مبطلون



وهم غاشون لها وللمجتمع كله وتلك حقيقة كشفت عنها تجارب الباحثين لتؤكد صدق القرآن الكريم وإعجازه . وقد أكد البحث الاجتماعى الذى قامت به سهام محمود العراقى فى رسالة ماجستير فى جامعة طنطا أن عمل المرأة أدى إلى انخفاض المستوى الاخلاقى للابناء وأنه لا توجد مطلقا علاقة بين المستوى الاقتصادى والمستوى الأخلاقى للاسرة وأشارت إلى أن المناهج المطبقة حاليا لتدريس التربية الخلقية والدينية قاصرة عن تحقيق الهدف الذى يتيح للشاب أو الفتاة أكتساب السلوك الحميد وربط الدين بالحياة وخلصت إلى أن خروج المرأة إلى ميدان العمل أدى إلى انخفاض المستوى الأخلاقى للاولاد

ثالثا : ثبات طبيعة المرأة وقوامة الرجل :

ومن الحقائق التى أخفاها دعاة تدمير المرأة والأسرة عن الناس : حقيقة ثبات طبيعة المرأة ثباتا ، تاما خلال العصور وأن العصر الحديث لم يكن فيه من المتغيرات الاجتماعية والحضارية ما يحطم شيئا ما من مهمة المرأة أو رسالتها أو طبيعة حياتها ويذهب هؤلاء المبطلون ، إلى أن حرية المرأة وعملها فى العصر الحديث من شأنه إن يحطم قوامه الرجل كما يذهب إلى ذلك الدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه تجديد الفكر العربى ويقول الأستاذ محمد فايد هيكل فى هذا الشأن : هل التطور العصرى الذى يتحدث عنه زكى نجيب محمود هل شمل خصائص بنية المرأة وتكوينها الجسدى والنفسى وهما مرتبطان ومهما يكن من تأثير الثقافة والتطور الحضارى فلا يرى أن هذا التأثير يمتد إلى طبيعة تكوين المرأة وقوانين إفراز غددها فتعود هى والرجل سواء لاحق له فى القوامة عليها .

ألا ما أبدع إشارة القرآن الكريم إلى آية من آيات الخلق الكبرى وهى التفريق بين الذكر والأنثى حيث بين أن من أعظم دلائل قدرة الله أنه خلق الزوجين : الذكر والأنثى .

وهل مجرد مشاركة المرأة فى العمل مع الرجل مؤدية إلى إلغاء الفروق الطبيعية أو الجنسية وما يترتب عليها من اختلافات الحقوق والواجبات الاجتماعية . هذه الفروق أبديه ، أما القوانين والنظم فاعراض متغيرة . أن الدراسات النفسية الحديثة لتثبت بالتجربة اختلاف الأنماط والاستجابات السلوكية فى الذكور عنها فى الأناث إزاء المشكلات . فمنذ المراحل الأولى للنمو يتميز الفتيات بأنهن أميل إلى التقليد والتبعية ، أما الصبيان فيصطنعون سمة الاستقلال التى تناسب معهم ، وهذه التجارب إنما أجريت على فتيات وصبيان من أبناء الحضارة الغربية فكيف يقال أن الأوان قد آن لتلغى قوامة الرجل على المرأة إن لم يكن هذا مجرد انفعال لا صلة له بالعلم ولا بالتجريب .

ها هو العلم لا يزال يبحث عن الفوارق بين الجنسين ولكن البديهة الانسانية قد انتهت إلى وجه الصواب منذ أعماق التاريخ .

الفصل الثانى

عطاء الاسلام وعطاء الحضارة

إن المفاهيم التى قدمها كتاب التغريب (سلامه موسى ، طه حسين)
كانت كلها زائفة ومخالفة للحقيقة والفطرة والعلم والإسلام ، كانت إتماراً
بالمرأة والأسرة والمجتمع كله فى سبيل إخراج المرأة من رسالتها وأمانتها
وشارك فى هذا الشعراء (نزار قبانى . . .) الذين حطوا من كرامتها عندما جردوها
من ملابسها وألقوها عارية على السرير تحت الضوء وجعلوها أداة متعة . حتى
وصفه أحدهم بأنه تعيير الرجولة وتشويه للجمال ودليل عقدة نفسية . لقد كان
التصوير للمرأة مشوها وضالا ومثيرا للغرائز ودعوة إلى شر كثير وذلك فى
إطار ما يسمى بأدب الفراش وكانت قصص القصاصين هى ثالثة الاثانى
(إحسان عبد القدوس ، نجيب محفوظ . أمين يوسف غراب . . الخ)

لقد حاولت هذه الكتابات (نثرا وشعرا وقصة) أن تحرف الواقع وأن
تزيف الفطرة وأن تغالط فى الحقائق الأصيلة الثابتة .

ذلك أن أكرم ما أعطى الإسلام المرأة أن يكون اتصالها بالرجل كريما
فى إطار علاقة زوجية ، أى فى علاقة قد شهد أمرها بإعلان الزواج ، وقد
حرم العلاقة السرية التى تمتهن فيها المرأة فأباح تعدد الزوجات حتى يحمل فيها
الرجل مسئوليته نحو زوجته وولده مسئولية علنية كاملة ، ومن ذلك الابقاء
على كرامة الإسلام للمرأة كإنسان إن طلب إلى الرجل الزوج أن
يقدم لها مهراً وهو منحة وهدية كى يعبر عن طلبه إياها ورغبته
فى الزواج بها .

كذلك فالاسلام يعمل على الابقاء على أنوثة المرأة وحنانها وعاطفتها

كما يبقى على رجولة الرجل وإرادته ويحول دون أن تتحول المرأة إلى رجل أو يتحول الرجل إلى امرأة وحرم الإسلام على المرأة أن تكشف عن بدنها وأن تخلو بغيرها وأن تخالط سواها وحبب إليها الصلاة فى بيتها واعتبر النظرة سهما من سهام إبليس وأنكر عليها وأن تحمل قوسا تشبها فى ذلك بالرجل .

وحين اعطاها نصف نصيب الذكر من الميراث فقد قابله إعفاؤها من أعباء النفقة دون استثناء نفقتها الشخصية ونفقة أولادها حتى فى ثرائها وفقر الأب وشهادة الاثنين بدلا من شاهد رجل واحد منظور فيها إلى عاطفة المرأة التى هى جو أنوثتها .

ومن كرامة الإسلام للمرأة أن جعل الفاسق ليس كفأ للزواج من المرأة العفيفة .

وليست الحياة للمرأة فى تقدير الإسلام العوبة من الألاعيب بل مسئولية وتبعة الأم الرءوم والزوج الصالحة وإن الحياء الصادق والعفة الصحيحة والخضوع الجميل الذى هو مظهر الحب لا يتحقق إلا بتصون المرأة فلا تخالط الرجال إلا فى ضرورة ماسة وحرصها على دينها كأنا ما كان والصبر أقوى الصبر على مكاره البيت . فالمرأة للبيت ثم إنشاء البيت للاسرة ثم إنشاء الأسرة للمجتمع .

ومن هنا ينكشف فساد رأى علم الاجتماع الغربى الذى يرى أن الدين والزواج ليس من الفطرة وإنما هى أشياء تنبعث من الجماعة نفسها وأنها دائمة التطور والتغير والتشكل وأن كل مجتمع يصنع دينه ونظم زواجه ونظم أسرته ورأى الغرب كله منقوص ، لأنه تشكل على نحو متماوج فإن مؤتمر باكون عام ٥٨٢ كان يبحث عن المرأة : هى إنسان أم غير إنسان فى هذا الوقت

كان القرآن يتنزل بحرية المرأة الحقيقية وكرامتها الأصيلة وكان صلى الله عليه وسلم يعلن إنما النساء شقائق الرجال وأن الجنة تحت أقدام الأمهات فأوربا لم تكن تعرف مكانة المرأة ولم تكن شرائعها ترى فى المرأة إلا أنها ملعونة . وقد أشار معجم الفلسفة التونسى أن القرآن يختلف عن التوراة فى أنه لا يجعل ضعف المرأة عقابا إلهيا كما ورد فى سفر التكوين (٣ : ١٦) ومن الخلط أن ينسب إلى شارع عظيم كمحمد ، مثل تلك المعاملة المنكرة للنساء والحقيقة هى أن القرآن يقول : (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) .

ويقول سجريد هونكة : أن تغييرات احترام المرأة دخلت اللغات الأوربية على يد العرب وفى مايو ١٠٦٥ صدر فى فرنسا يجعل الولاية على مال المرأة المتزوجة للمرأة نفسها وقد كانت مشروطة بولاية الرجل الزوج ، وقد عدت فرنسا هذا انتصاراً كبيراً للمرأة لأنها حررت من التبعة فى مالها الخاص من زوجها ، وكان ذلك منذ أن قام الاسلام يجعل للرجل الزوج ولاية على زوجية فى إرثها العقدى وفى مذهبها الدينى وفى رأيها السياسى أو فى مالها الخاص .كان ذلك منذ أربعة عشر قرنا .

يقول أحد الغيورين : أما اليوم فإن المرأة المسلمة فقد أغرقت فى التبعية ، تطالب بالقيد فى الطلاق وربما تطالب كمثل أعلى لها أن تكون العلاقة الزوجية على نمط العلاقة فى الكنيسة الكاثوليكية لا طلاق ولا انفصال ، وفتح باب المرافقة والمصادقة ، وإنجاب الأبناء من صلات غير شرعية وكثرة الزنا وانتهاك الأعراض فى المجتمع التى يبدو أن ليس لها من سبب إلا تقييد الطلاق أو عدم شرعية الزواج ، أن هناك صلات غير شرعية كثيرة وعديدة بجـــانب صلة الرجل بزوجته ولكنها صلات خفية مستترة والاسلام لا يرى أن تكون هناك عـــلاقة جنسية خفية لأن نتائجها خطيرة

وفى مقدمتها المرض السرى الذى يأخذ بحياة الاثنين ، أو ولد غير شرعى يخرج ذليلا لا قيمة له فى حياة المجتمع .

ولتعرف المرأة المسلمة أن الغرب نفسه الذى يقدم لنا هذه الفتنة ، يعانى منها وأن هناك من العلماء الاجتماعيين من يعارضها فى مقال الكاتب الأمريكى نورمان ميلر عن المرأة فى مجلة هاربر الأمريكية (الأهرام ١٩٧١/٤/٤) هاجم بقسوة حركة تحرير المرأة فى أمريكا وأعلن أن المرأة يجب أن تظل سجينة جنسها أى أن تقتصر مهمتها على الأعمال المنزلية وشراء الطعام من السوق ورعاية أطفالها وطالب بإلغاء بيع أقراص منع الحمل وقال أن المسئولية الأولى للمرأة هى أن تبقى أطول وقت ممكن على الأرض لكى تعثر على أفضل شريك لحياتها وتنجب أطفالا لا يحسنون الجنس البشرى وعارض الذين يصرون على إثبات عدم الفوارق بين الجنسين .

وحين ينظر الأوربيون بروح التقدير والتمنى لنصوص الاسلام ، نعرض نحن عنها و تتطلع إلى القيود والأغلال التى تعيش فيها الغربيون ، فقول اندريه صرفيه فى كتابه الاسلام ونفسية المسلمين ما يلى :

يتحرى محمد الأسباب التى تجعل المرأة من حزبه ولا يتكلم عنها إلا بكل لطف ويجتهد فى أن يحسن أحوالها ، وكان النساء والأولاد قبله لا يرثون وعندما نهض محمد أعطى المرأة حق الارث وأوجب كل ما كان حسنا فى حقها ومن أراد التحقق من عناية محمد بالمرأة فليقرأ خطبة الوداع التى أوصى فيها بالنساء وقال دريسمان : إن اعطاء محمد المرأة حريتها هو السبب فى نهوض العرب وقيام مدنيتهم ولهذا لما عاد اتباعه فسلبوا المرأة هذه الحرية انحطوا واضمحلت مدنيتهم .

ويقول واصف غالى : كثير من رجال الأديان الأخرى وكان أحدهم (سان بونا فنتور) يقول لتلاميذه إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا انكم ترون

كائنا بشريا بل ولا كائنا وحشياً إنما الذى ترون هو الشيطان بذاته والذى تسمعونه هو صفير الثعبان . أما محمد فهو يعد بحق أكبر أنصار المرأة العمليين إن لم يكن أولهم فقد كان بهن رحيما وعليهن حليما وكان لين الجانب كثير العطف عليهن عظيم الاحترام والتكريم لهن ولم يكن ذلك خاصا بزوجاته بل ذلك كان شأنه مع جميع النساء على السواء .

وقد صور هذا المعنى (سيد أمير على) فقال ما هو مركز المرأة الشرعى حسب الدين حتى فى أول البلاد النصرانية تقدما ، إن المرأة المتزوجة لم تكن لها حقوق مستقلة عن زوجها إلى زمن قريب حتى فى انجلترا ، على أن الرسول الذى ظهر فى بلاد كانت توءد فيها البنت حية وفى عصر لم يعرف فى أى بلد آخر أى نظام وأى طائفة تخول المرأة أى حق سواء كانت فتاة عذراء أو زوجة أو أم ، هذا النبى أكسب المرأة حقوقا لم يعترف بها إلا بضغط شديد لدى الأمم المتمدنة فى القرن التاسع عشر وكفى محمد فخرا حتى لو لم يفعل أكثر من ذلك فى سبيل الانسانية بيد أن المرأة المسلمة يعتبرها المتفقهون فى الدين أحسن حالا من المرأة الأوربية .

ولقد لبث ملوك النصارى وزعماؤهم يرغمون المرأة على التزوج بمن يشاؤون من رعاياهم عدة قرون بعد ظهور الإسلام بينما كان الإسلام قد أعطى المرأة البالغ الحق فى أن تتزوج بإرادتها وان لا يتدخل الزوج فى ثروتها كما أنه لا يسوغ له أن يسىء معاملتها بالطرق الوحشية فهى متى كانت بالغة الرشد تتصرف فى جميع شئونها وثروتها كما تشاء بدون تداخل زوجها أو أبيها » .

وهكذا نعرف ماذا أعطى الاسلام للمرأة وماذا أعطتها الحضارة ، أعطاها الاسلام الكرامة والعفة والشخصية المستقلة واليوم تحاول الحضارة الغربية إخراجها من كل كرامة وفضل ، إنه التقليد والرغبة فى التبعية ودخول جحر الضب لأن أوربا دخلته ، وقد تبين اليوم للغرب فساد النظم الاجتماعية التى حاول بها أن يساوى بين الرجل والمرأة فى كل مجال ، وخطأ الفلسفات الوجودية التى تحرض الرجل والمرأة للانطلاق فى ميدان الغرائز والشهوات دون قيود أو حدود ، وما نراه من موجات انحلالية تشيع فى المجتمعات الغربية من طوائف الهيبز والخنافس .

لقد كان أعظم ما حرص عليه الاسلام : تأكيد رجولة الرجل وأنوثة الانثى ، والاحتفاظ برجولة الرجل فحرم عليه لبس الذهب والحرير والاحتفاظ بأنوثة الأنثى حرم عليها أن تخوض المجتمعات العامة ولا تعرض جسدها على الأنظار لقد حرص الإسلام على إبقاء المرأة على انوثتها وعاطفتها ، كما حرص على أن يبقى الرجل على رجولته وإرادته ، فلا تتحول المرأة إلى رجل أو يتحول الرجل إلى امرأة ، كما حرص بمساواتها بالرجل فى القيم الإنسانية المشتركة وفيما يتصل بموقفهما امام القانون وفى الحقوق العامة فلا تحرم حقها إلا إذا ثبت أنه يلحق ضرراً بالمجتمع غير أن الاسلام فرق بين الرجل والمرأة فى الأعباء الاقتصادية والميراث والقوامة على الأسرة والشهادة وحق الطلاق وقد جاء خطاب التكليف موجها إلى الرجل والمرأة معا ، وقد شاركت المرأة فى الحياة الاسلامية وأخذت مكانها وأدت دورها وعملت حيث حالت الظروف دون عمل الرجل .

وقد أحاطها الإسلام بالكرامة والعفاف ، سترا فى الملابس ، وتحريما للخلوة بالأجنبي وغض للطرف ، وعكوف فى المنزل حتى فى الصلاة ، وبعد عن الإذراء بالقول والاشارة وكل مظاهر الزينة وبخاصة عند الخروج كل ذلك

يراد به أن تسلم المرأة من فتنة المجتمع ويسلم المجتمع من فتنة المرأة ومن ذلك جعل النظرة سهما من سهام إبليس ، واشترط لها شروطا شديدة فى البعد عن مظاهر الزينة ومن ستر الجسم ومن إحاطة الثياب بها فلا تصف ولا تشف وهكذا جعل الإسلام صيانة المرأة هى المحور الذى تدور حوله أكثر الأحكام صيانة المرأة من جور العرف والمواصفات وتعلبانها فى المستقبل ، وحفظ مقامها الاجتماعى من الابتذال المحـــاط بالمجاملة والرياء على نحو ما نرى فى المجتمعات الغربية فهناك إحترام ظاهر ثم ابتذال غير رحيم .

أين هذا كله مما تريده اليهودية التلمودية التى أخرجت المرأة لتحقق هدفها كله باعتبارها عقدة هذا الهدف فى إقامة (امبراطورية الربا) معارضة فى ذلك مفاهيم الأديان : أخرجتها إلى الرقص والمسرح والسينما ثم عملت إلى إزالة الحـــاجز العازل والحد الفاصل بين الحرة والأمة ، وبين سيدة البيت وبين الراقصة .

واقامت نظام الأزياء والزينة وبدلت فيه وغيرت من أجل السيطرة على المرأة وإذلالها واستعبادها ، وتعريتها وتغطيتها . تغطية الصدور وكشف النحور وتعرية السيقان وتغطية الظهور ، وبذلك يتم سيطرتها على المرأة مما يؤدى إلى هدم الأسرة وتحطيم العلاقة بين الرجل والمرأة ، والقضاء على الأجيال الجديدة (من ناحيتين . من ناحية عجز المرأه عن تربية أبنائها ومن ناحية رفض التوجيه لها) وبذلك أدخلت سموم الفساد إلى مختلف مفاهيم المرأة وإلى عقليتها وإلى فكرها وقلبها ، وإثارة مشاعر العواطف والأهواء تحت إسم الحب والغرام فى القصة والأغنية وهذا هو الخطر الحقيقى الذى يواجه المجتمعات الإسلامية اليوم ، بعد أن توالى بث السموم والافكار الخاطئة لسنوات وسنوات عن طريق الصحافة والإذاعة والسينما والمسرح حتى باتت محاولة إخراجها منها أمراً عسيرا . لقد استهدف النفوذ الأجنبى خلق عقلية «زائفة» المرأة تصورها بصورة القادرة على الحياة فى المجتمع بغير سلطة الأب أو الأسرة أو الزوج

من حيث هى قادرة ماديا على أن تجد موردها الذى تعيش منه ، ومن هنا فإن هذا القدر يعطيها الحق فى أن تختار الطريق الذى ترضاه فى الحياة الاجتماعية كذلك فان اختيار موانع الحمل والإجهاض كفيلة بأن تفتح لها الطريق أمام كل الرغبات ومن ثم أصبحت الفتاة قبل الزواج أو بعده قادرة على ممارسة كل رغباتها فى ظل مناعة طبيعية مقررة تعيد دم البكارة الأحمر إلى مكانه أو تحول دون وقوع الحمل وفى هذا الاطلاق ما فيه من آثار ونتائج من شأنها أن تصرف الرجل عن الزواج أو تجعله يتردد فى تكوين الأسرة .

وكل المحاولة تهدف إلى تدمير كرامة المرأة وعفافها وهى مؤامرة على حساب الأسرة والبيت والأجيال القـــادمة ، لقد كانت النظريات التى قدمها ماركس وفرويد ودور كايم وليفى بريل من العوامل العـامة فى تشـكيل هذه المفاهيم :

إن كثيرا مما تنشره القصص والصحف هى من مؤامرات الصهيونية التلمودية ويديره الجبابرة العتاة ، وليس صحيحا إلا ما تقبله الفطرة ويصدق مع العلم والدين وواقع الحياة ، وكل هذه المحاولة لإخراج المرأة من طوابعها وفطرتها ومهمتها هو من عمليات الهدم الشديد الخطر ويجب أن تعود المرأة إلى مكانها الطبيعى وحجمها الحقيقى .

فإذا قيل لنا أن المرأة فى أمريكا قد أنفقت على صباغة الشعر ما يقرب من ٣٠٠ مليون دولار يضاف إلى ذلك ما ينفق لدى عشرات الآلاف من مصففى الشعر وفى شراء مستحضرات الشعر الأخرى ، قلنا أن المرأة فى حاجة إلى قارعة تكشف الحقائق أمام عينيها اللتين لا ترى ومن الخطأ أن تنساق المرأة المسلمة والمجتمع المسلم مغمض العينين وراء هذا السفه ونحن نقرأ الآن ما يكتبه المنصفون من كتاب الغرب حين يقولون أن واقع المرأة الغربية واقع مقلق ، مرتاب ، لأنه يتحرك بعنف ضد التيار وضد الفطرة وسلامة

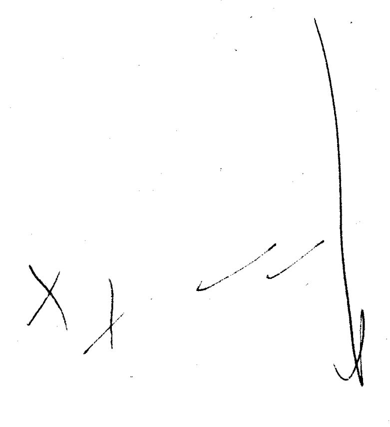
القصد ، وهو إعصار مدمر قد فرض خطره على الأسره الغربية وعلى الأمومة والطفولة جميعا ، أليس فى هذا عذر لنا عن التقليد وردع عن التبعية .

عابت الكاتبة الأمريكية (مارجريت ماركوس) فهم دعاة تحرير المرأة فى المجتمعات العربية والإسلامية الخاطىء لمعنى التحرر ، على أنه الإباحية المطلقة للنساء فى الاختلاط بالرجال فى الوظائف والأعمال والأسواق دون قيد ولا شرط فى ارتدائهن الأزياء غير المحتشمه وفى انصرافهن عن مسئولياتهن فى تربية الأولاد ورعاية الزوج اللتين هما أساس تكوين الأسرة السعيدة

وقد سجلت كتابات عدد من النساء الأوربيات التى اسلمن :

(استان ، رانيس ، انى بيزانت ، ايفلين كوبلاد) .

وكتبن عن الإسلام ومكانة المرأة المسلمة حيث تتمتع فى ظل الإسلام بكرامه شخصية وحقوق إنسانية لم تتحقق للنساء فى أوربا وأمريكا حتى الآن .



الفصل الثالث

تحديات الأسرة المسلمة

تستهدف مؤامرة الغزو الثقافى الاجتماعى : إسقاط الأسرة وهدمها بالقول بأن القيمة كلها للمجتمع الذى يخلق الأديان والعقائد والآداب والقيم الروحية ، وهو قول باطل فإن المجتمع التام لا ينبنى إلا من خلال وحدات الأسر التى تقوم على أساس سليم .

ومن أجل إسقاط الأسرة تطرح فى طريقة أشواك كثيرة : منها القوامة وتحديد النسل وتعدد الزوجات .

(أولا) القوامة أساس مكين فى الأسرة إذ لابد لكل تجمع من إشراف ورئاسة ومسئولية ودرجة القوامة التى أعطاها الإسلام للرجل هى ركن اساسى فى البناء يقتضيها نظام الجماعة بل أن الأبوة لها مكانتها الأصيلة . مكانة الربان فى السفينة وعنه تصدر التوجيهات ويلتزم بها الجميع بما فى ذلك الأم ، وقد عرفت المجتمعات الغربية ذلك التمزق الخطير حين دخلت الأم ميدان العمل وأخذت توجه الأسرة فأصبح فى الأسرة رأيين ووجهتين مما أحدث آثاراً بعيدة المدى فى نفسيات الأبناء والبنات حيث أخذت تذهب توجيهات الأب فى ناحية وتوجيهات الام فى ناحية أخرى بينما يقرر الإسلام وحدة الجهة الاساسية التى لها حق القوامة على المرأة والابناء جميعا وهى الاب الذى يستمد مسئوليته وتوجيهاته من مفاهيم الإسلام لا من أهوائه الخاصة بقصد المحافظة على الاسرة الاسلامية وقيامها فى دائرة أحكام الإسلام وقوانينه والحيلولة دون انحرافها عن الطريق المستقيم أو سقوطها فى مجال الانحلال والتقليد .

(٣) ولا تزال الأسره هى أصلح نظام لبناء الأجيال تضمن للمجتمع نموه واستمراره عن طريق إنجاب الأطفال كما إنها تواصل مهمتها نحو هؤلاء الأعضاء الجدد فتتولى تغذيتهم فى مرحلة طفولتهم المبكرة وتنشئهم خلال الطفولة المتأخرة لتقديمهم إلى المجتمع ليحتلوا أماكنهم فيه (فالأسرة هى التى تكون الطفل وتصوغه وتحدد ميوله وتسد حاجاته وهى بذلك تعمل أولا على تكامل شخصيته والأسرة وحدة اقتصادية متضامنة يقوم فيها الأب بإعالة زوجته وأبنائه وتقوم الأم بأعمال المنزل .

كذلك فالاسرة هى المكان الطبيعى لنشأة العقائد الدينية واستمرارها ، وتعتبر الاسرة المدرسة الاولى التى يتعلم فيها الطفل لغته القومية وهى المسئولة عن التنشئة والتوجيه والأسرة بالنسبة للطفل مدرسته الأولى التى يتلقى فيها مبادىء التربية الاجتماعية والسلوك وآداب المحافظة على الحقوق

وينظم (الزواج) العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ويضعها فى إطارها الشرعى السليم وبذلك يقضى على العلاقات الممنوعة والمحرمة ، والعلاقات الزوجية فى الإسلام ليست علاقة فردية أو بيولوجية أو جنسية وإنما هى علاقة ضخمة واسعة متعددة الجوانب أساسها خلقى واجتماعى والزواج هو الاطار لهذه العلاقة ووضعها فى صورتها الصحيحة .

وينظم الاسلام هذه العلاقة على أساس حقوق وواجبات بالنسبة للرجل والمرأة والأبناء ويشترط فى هذه الرابطة لكى تكون زواجا صحيحا أن تتم تبعا لمواصفات صحيحة وضع الاسلام صورتها الارقى والاكمل بالنسبة لكل ما عرفته البشرية من قبل من نظم ومواصفات .

فنى الإسلام يقوم على أساس علانية الزواج وأداء المهر من الرجل ، كما حدد الإسلام عدد الزوجات وبذلك نقل البشرية إلى صورة أرقى مما كانت عليه وشجب كل الصور والأساليب التى سبقته من شيوعة مطلقة ، ومن اتصال جنسى بغير قيد ولا شرط ومن تعدد مطلق ، ومن أساليب فى الطلاق تحتبس بها المرأة سنوات طويلة . ولا يقر الاسلام اتصال الرجل بالمرأة إلا إذا تم فى الحدود التى رسمها الإسلام وتوافرت فيها جميع الشروط .

ومن هنا يتجلى مدى خطورة رسالة الاسرة وأهميتها لبناء المجتمع كله .

فى الاسرة تتشكل الاجيال على القدوة المثلى القدوة الخلقية التى يقدمها الآباء والامهات لاولادهم ، وتبدو أهمية الام فى تكوين الطفولة الاولى حيث تتطلب تربية الاجيال عاطفة أمومية معتدلة حكيمة ، ليست مفرطة ولا قاصرة ، وإن الرضاب الشهى ، الممزوج بالحنان أساس فى حماية الاطفال فى مقتبل حياتهم من الانحراف والجريمة والتمزق النفسى الذى نجده اليوم عند أغلب الاجيال التى لم ترضعها الام ولم تحطها بحنان كاف .

فالابوان فى الحق هما اللذان يغرسان اللبنة الاولى فى التربية الدينية فى نفوس النشء ويضعان الحجر الاساسى فى بناء الاخلاق .

(ثانيا) أما تحديد النسل فتلك مؤامرة خطيرة : المرأة ضحية لها وكذلك المجتمع كله ، فانه يهدف إلى إضعاف الوجود الاسلامى وتحطيم النمو البشرى الإسلامى الذى يتعاظم اليوم ، حرصا على موقفهم وسيطرتهم على موارد البشرية فى نفس الوقت الذى يتضاعف فيه هجرة اليهود وغيرهم بينما توجه سهام تلك الدعوة إلى المسلمين وحدهم .

ولقد روج لفكرة تحديد النسل وتنظيمه قوى معادية للمسلمين والعرب

يهدفون بها إلى الكيد لهم وتعطيل وظيفة النسل وهدم لهذه القوة البشرية النامية التى تستطيع أن تبنى وتجاهد وتواجه قوى النفوذ الأجنبى التى تستهدف السيطرة .

وتحديد النسل على هذا النحو هو نوع من القتل أو الوأد الخفى ولا يجوز الإقدام عليه ولا يحل لمسلم أو مسلمة اجتراؤه .

(ثالثا) أما تعدد الزوجات فقد شرعه الله تبارك وتعالى لمصلحة راجحة قد تكون هى مصلحة الزوجة نفسها أو مصلحة الزوج أو مصلحة الأبناء أو مصلحة الأمة ، والواقع أن تعدد الزوجات تشريع طوارىء فإن هذا التعدد ليس بواجب ولا مندوب ولكنه مباح مشروط بالعدل بين الزوجات وعدم الخوف من الحيف فإن خاف ألا يعدل منع التعدد .

ولقد عجز الغاء التعدد بالقانون وفشل ووجد التعدد الخفى ، ذلك لأنه كان محاولة ضد طبيعة الانسان وطبيعة العلاقات الزوجية والاسلام لم يدع إلى التعدد وإنما نظمه على أنه رهن بالحياة الاجتماعية وظروف البيئة فقد كان التعدد لأكثر من عشر نسوة فحده إلى اربع وكان التعدد نزوة ولا حقوق للمرأة او الأولاد فيه فرفعه إلى المستوى اللائق بالانسان واوجب على طرفيه عدة التزامات ومن الطبيعى ان يلجأ المجتمع إلى التعدد لأسباب منها ما يكون إلى الزوجة كعجز او نشوز او استعلاء ، منها ما يكون سببه حفظ التوازن والعدل الاجتماعى للزيادة المطردة فى عدد النساء

لقد اباح الله تبارك وتعالى « التعدد » ثم اشترط فيه العدل ولكنه حكم بأنه غير مستطاع .

ونحن نسأل اى الوضعين خير للمرأة والمجتمع وايهما اجدر بكرامة

المرأة وأليق بانسانيتها تحريم تعدد الزوجات أو اباحة السفاح لكل صورة وتأييد ظاهرة الخلائل .

(رابعا) أما الطلاق فهو أبغض الحلال إلى الله . شرع لحكمة عالية تتعذر العشرة الزوجية أو المضرة الحاصلة لأحد الزوجين فهو تيسير للعسر (وأن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) مع ضمان الحقوق المترتبة على الفراق .

إن دعامة الأسرة هى المرأة : وسلامة دعم الأسرة تقوم على فهم مهمة المرأة الحقيقية ووظيفتها الاساسية : إن وظيفة المرأة الأساسية هى العناية بالأسرة وإنشاء الجيل الصالح ، ولها أن تلى من الأعمال ما يناسبها ويحفظ كرامتها كالتعليم والتربية والتطبيب وخصوصا للنساء والتمريض والتجارة والعقود وكل ما يليق بها . ولكن ليس لها أن تلى من الأعمال ما لا يناسب خلقها كالولايات العامة من رئاسة الدولة والوزارة والقيادة للجيوش والاداره العامة لما يعرض لها من موانع تحول بينها وبين اتقان عملها وقد يسبق الاحتلال بنظام الدولة . والهدف كله هو المحافظة على سعادة الاسرة واستقرارها والبعد عن كل انحلال وريبة وفى سبيل ذلك يجب الفصل بين الذكور والإناث فى التعليم بكل مراحله ووضع برامج خاصة مناسبة لكل منهم كما يجب منع الاختلاط بين الرجال والنساء فى النوادى والمجتمعات والمكاتب والادارات والمصانع وورش العمال ، كذلك فانه من أجل حماية الأسرة من كل ما يهددها من الاخطار يجب الضرب على أيدى المفسدين الذين يتاجرون بالجنس ويسترقون النساء باستغلالهن فى دور اللهو والفساد أو دور التمثيل والاستعراض وعلى وسائل الاعلام من صحافة وإذاعه وتلفزه وأن تكف

وأن تكف عن إذاعة ونشر ما يسيء إلى الأسرة ويهدد الأخلاق بالانحلال ويغرى بالفساد وفى مجال المجتمع يتحتم منع ما يخل بالمروءه ويحرض على الفساد من الملابس المغرية التى تشف أو تصف أو تقتصر على ستر ما يجب ستره كما يجب منع التبرج الجاهلى ومراقبة الشواطيء والأماكن العامة والضرب على أيدى كل العابثين والعابثات فى النوادى والشوارع والمجتمعات فى النوادى والشوارع والمجتمعات .

(٤)

(عمل المرأة)

لا يقر الإسلام عمل المرأة إلا فى حدود ضيقة ، هى الاعالة لنفسها أو لأهلها ، ويشترط أنواعا معينة من العمل وهو وضع مختلف تماما عن ظاهرة تشغيل النساء القائمة حاليا وأن يكون ذلك فى وظائف معاونة للزوج فى نشاطه الزراعى أو الاشتغال بالتجاره أو ممارسة الحرف الحقيقية التى تصلح للدار ، وتعليم الأطفال ، وتعليم البنات، وخدمة النساء فى شئونهن الخاصة ولا يفرض الإسلام التكليف الشاق لكسب المعاش على المرأة ، أو مشاركة الرجال فى وجوه من النشاط لا تتفق مع الفطرة ولا مع الاستعداد الطبيعى للمرأة : ذلك أن الإسلام يقدر مدى احتمال المرأة لأنواع من الأعمال اليسيره لا الاعمال الشاقة التى لا تتفق مع طبيعة أجهزتها الحيوية .

يقول الدكتور عيسى عبده : أن التسوية المزعومة بين الجنسين فى تشغيل كل منهما من قبيل الاسراف فى جرأة الإنسان على التنظيم الذى أراده الخالق للاسره وما بين أفرادها من تفاوت للتخصص الوظيفى فاحتمال المرأة للاعمال الشاقة محدود وأجهزتها الحيوية مهيأة لغير الشقاء فى سبيل العيش .

كذلك فانه فى أثناء غياب المرأة عن دارها يحرم الاطفال من الرعاية

والتربية فى السنوات الاولى وقبل الالتحاق برياضة الاطفال كما يحرم الناشئين من الفتيان والفتيات من توجيه الام التى تعود إلى دارها بجهدة من العمل والنتيجة هبوط مستوى الاجيال . ولا ريب أن الجيل الضائع مصدره انحراف النساء عن خصائصهن إلى خصائص الرجال مما أدى إلى تخنث الشبان وتشبههم بالفتيات فى المخبر والمظهر ونتسائل هل يستحق صافى دخل المرأة هذه التضحيات ، وهل عاد تشغيل النساء بزيادة فى الدخل القومى بما يوازى الاثر الذى أصاب الاسرة .

ولما كانت وظيفة المرأة الاساسية هى العناية بالاسرة وإنشاء الجيل الصالح فإن من حقها ألا تلى من الاعمال إلا ما يناسبها ويحافظ على كرامتها .

(التعليم) حق ثابت للمرأة وهو شيء يختلف عن كسب المعاش وعن الاختلاط فإن المرأة تستطيع أن تحصل على التعليم دون أن تتعرض للاختلاط وتستطيع أن تطبق جميع حقوقها المدنية والشخصيه دون أن تتعرض لاخطار الفساد . والعلم الذى تتلقاه المرأة يجب أن يكون وسيلة لإعدادها لمهمتها الحقيقية ، ورسالتها الاساسية ، ويجب الفصل بين الذكور والإناث فى التعليم بكل مراحله ، وأن تكون البرامج مناسبة لكل من الجنسين . كذلك من الضرورى أن تكون هناك مجتمعات الرجال ومجتمعات النساء وأن يحال بين النساء وبين النوادى العامة.

وقد يسخر من هذا دعاة التغريب لأن هذا الاختلاط هو الهدف الاكبر من دعوتهم ومن سمومهم ولكن حماية الاسرة من كل ما يهددها من أخطار يحتاج إلى هذه الضوابط مع الضرب على أيـــدى الذين يتاجرون بالجنس ويسترقون النساء باستغلالهن فى دور اللهو والفساد أو دور التمثيل والاستعراض .

(٥) إن مكان « الاب » على رأس الاسرة وبوصفه قائداً حقيقيا وموجها لكل أفرادها ، إنما هو مسئولية ضخمة يجب على الآباء تقديرها والقيام عليها منذ اللحظة الاولى لبناء عش الزوجية ، وأن يكون البناء الاساسى للزوجة أولا لتكون على الطريق الصحيح الذى رسمه الاسلام بما يؤدى إلى اقتدار الزوجين على بناء الجيل الجديد .

ومن هنا فإن مسئولية الاب فى بناء نفسه وإيمانه وثقافته وقدرته على التوجيه بالغة الخطورة والاهمية ، حتى يصبح على مستوى المسئولية وموضع تقدير أبنائه ، وأن يكون قدوة صحيحة أصيلة للنموذج الطيب الكريم . وحيث يكون الآباء على هذا القدر من الكفاية والتقدير للمسئولية تكون طاعة الابناء لآبائهم فطاعة الابناء لآبائهم فى المعروف واجب أكيد فى مفهوم الإسلام ونصيحة الآباء لابنائهم حتم . وعلى الآباء أن يشرفوا على تربية ابنائهم تربية صحيحة بأنفسهم ، وان يوجهوا ابناءهم بالصلاة لسبع ويضربوهم عليها لعشر وان يفرقوا بينهم فى المضاجع ، وان تقصير الآباء فى تربية أبنائهم معصية ، وعصيان الابناء لآبائهم بدعوى الحرية عقوق وفساد وتمرد على تعاليم الاسلام والاحتجاج بالحرية الشخصية انحراف عن قواعد الدين والاخلاق والسلوك الاسلامى وسوء فهم لمعنى الحرية .

وقد دعا الاسلام إلى تحصين الاطفال ضد الاخطار ومعاونتهم على اكتشاف انفسهم وتكوين إرادتهم على مواجهة صدمات الحياه ومن استغل فى المستقبل . وقد تبين ان نجاح عدد كبير من العظماء يرجع إلى هذا التكوين الاساسى فى محيط الاسره وإلى اهمية « القدوة » ، ولا ريب ان الشاب الذى ينشأ فى وسط اسره متحابة يكون اسعد حظا من الذى ينشأ فى بيت تسوده روح الكراهية وان ما اكثر القدرات التى ضاعت نتيجة لخلافات الوالدين

ولا شك ان الاب المؤمن الفاهم لدوره ومسئوليته هو اقدر بطبيعة الحال على معرفة إبنه واكتشاف ميوله ومواهبه ومن ثم يكون اكثر إدراكا وتفهما لنفسية ابنه فتراه يقف بجانبه ويشجعه ويرشده إلى الطريق السوى ومن شأن الاب المؤمن برسالته على النحو الذى قدمها الإسلام ان يعطى الابن الثقة والحب والمثل الاعلى .

ومن هنا كانت محاولة القوى المعادية للاسلام والتى تستهدف هـــدم المجتمع الاسلامى ، ضرب موقع « الأب » والحملة عليه عن طريق القصة المسرحية ووصفه بأنه عدو لأبنائه ، وذلك فى إطار الدعوة المسمومة إلى أن يتحرر الأبناء من توجيهات الآباء ، خصوصا فيما يتعلق بمستقبلهم .

ولا ريب أن موقف الأبناء يرجع إلى مدى قدرة الآباء على فهم أبنائهم ومعاملتهم على النحو الذى يحول بينهم وبين الانطواء أو الاندفاع على السواء . فإذا كان الآباء على غير مستوى المسئولية فإن ذلك من شأنه أن يجد الاستجابة إشاحة بالوجه أو انطواءاً عن المجاهرة بالرأى .

وإن من أخطر التحديات العصرية : نتيجة عمل المرأة وخروجها هو تعدد مراكز السلطة داخل الأسرة بين والدين لكل منهما وجهته وهدفه ومفاهيمه مما يوقع الأولاد فى حيرة نفسية وتشتت عواطفهم وتبدد أمنهم النفسى الذى كانوا يستمدونه من (الاب) باعتباره المصدر الأساسى للسلطة وفى هذا الاطار نجد أهمية دور الأب فى الأسرة ونجد تلك المحاولة المسمومة خلال المسرحيات والقصص لاحتقاره وتوجيه السهام الساخرة إليه رغبة فى هدم هذا الركن الأساسى .

ولا ريب أن الاب هو الذى يضع أسرته فى المجتمع ويحدد موقف أفرادها من النسيج الاجتماعى ، وفى مفهوم الاسلام يبقى دور الأب سليما دون أن تهزه الرياح التى تقذفها السموم ، لأنه يعتمد على ثبات القيم والمعايير

السلوكية ويؤكدها بما لا يفقدها دورها فى الضبط الاجتماعى وتوجيه الفكر والسلوك . ولا ريب أن تعدد الأجيال فى داخل الأسرة لا يحدث صراعا شبيهاً بالذى نراه فى المجتمعات الغربية إلا فى الأسر التى فقدت عنصر الدين والأخلاق .

(٦) إن هناك محاولة خطيرة تهدف إلى هدم الأسرة يتزعمها دوركايم وليفى بريل ومدرسة العلوم الاجتماعية ـ الفكر النفسى التحليلى الفرويدى وما يتصل بها من شرائح الفكر المادى وتحمل هذه المؤامرة دعوة كريهة حاقدة لا تقبلها الفطرة وتعرض عليها طبيعة الروح الاسلامى والنفسية المسلمة ، تلك هى الدعوة إلى علاقة غير شرعية ، وإعلاء شأن الجنس والدعوة الصارخة إلى الحب الاباحى .

هذه المفاهيم مرفوضة تماما فى أفق المجتمع الاسلامى ، وإن كانت تجد قبولا فى المجتمع الغربى الذى سقطت فيه الغيرة من أجل الزوجة كما سقط العطف على الآباء العجائز والفقراء ، وسقطت فيه الأسرة كلية ، وبالرغم من أن الغرب قد واجه ضربات متعددة نتيجة هذا الانحراف والتحلل حتى قال بيتان غداة احتلال الألمان فرنسا فى الحرب العالمية : إن هجران حياه الأسرة والانطلاق وراء الشهوات وإنكار ولاده وتربية الأطفال ، هو الذى أدى إلى هذا المصير .

ولقد نقلت قوى النفوذ الأجنبى إلى أفق المجتمع الاسلامى . مخطط الهدم المدروس لكل مقومات الأمة وجعلها نهبا مباحا لكل طامع من المتربصين ، ويكفينا أن نرى عالما كبيرا مثل برتراند راسل يدعو قومه إلى التحرر من هذه الانحرافات التى تهدم الأسره فيقول : هناك شرط مهم يساعد على دعم الحياة الزوجية ذلك هو خلو الحياة الاجتماعية من النظم التى

تسمح بالمصادقة والمخالطة بين المتزوجين من الرجال والنساء سواء فى العمل أو فى المناسبات والحفلات .

إن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من رجال ونساء خارج دائرة الحياة الزوجية هي سبب شقاء الأزواج وكثرة حوادث الطلاق وليس عسيرا ان نجمع أمثلة كثيرة عن البيوت التى انهارت بسبب اتصال الأزواج والزوجات بغير شركائهم فى الحياة الزوجية .

كذلك فإن تلك الدعوى التى حملت لواءها سيمون دى بوفوار فى كتابها الجنس الثانى بأن تناضل المرأة ضد الرجل وما اسماه البير كامو النقمة على الرجال واتهام الرجل بأنه يعبث بمقدرات المرأة ويسعى إلى حماية وجوده بانتقاص حق المرأة . هذه الدعوى لا محل لها فى المجتمع الاسلامى الذى قدم المرأة حريتها متعانقة تماماً مع كرامتها عن طريق اسلوب خلقى رائع .

(٧)

لابد أن تكون الأسرة هى البؤرة الوحيدة لتشكيل الحياة العاطفية الجنسية والاجتماعية للمتزوجين والخلل يأتى من خرق هذا الجدار ومن تشوه علاقات جنسية خارج الأسرة ومن ورائها وشيوع ذلك سواء بالنسبة إلى حياة ماقبل الزواج أم بالنسبة إلى فترة الحياة الزوجية هو إضعاف للاسرة وافساد لتكوينها وخرق لجدرانها .

ولابد من تقدير مكانة الرجل فى الأسرة : زوجا وأبا وأهمية ثلاث عناصر هامة فى مجال الأسرة : (التوجيه ـ الرقابة ـ الخبرة) .

وعلى المرأة أن تلتزم بثلاث أمور رئيسية : أن تطيع زوجها فى الفراش وألا توطىء فراشه من يكرهه وأن تحفظ غيبته ، وأن الزوجية ليست تلبية الحاجات الجنسية وحدها بل أن تتحرك فى إطار المفاهيم الروحية

والنفسية والاجتماعية والاقتصادية التى تشكلها علاقة الرجل والمرأة ، حيث لا يستريح الإسلام لخروج المرأة للعمل فى غير الأعمال الضرورية التى تقتضيها حاجة المجتمع من ناحية أو حاجة امرأة بعينها من ناحية أخرى وتتلخص حاجة المرأة إلى العمل فى حالة عدم وجود عائل أو عدم كفاية مايعولها ويعول عائلها . إيمانا بأن المرأة بتكوينها الجسدى والفكرى والوجدانى ليست مهيأة إلا لوظيفة معين هى الأمومة ما عدا الضرورة الملحة وليس خلاف بأن المحاضن لا تستطيع أن تؤدى مهمة الأم بحال ، فهى لا تستطيع أن تقدم له العنصر الأساسى لتكوين شخصيته وهو الحب والأمومة والرحمة والحنان فالطفل يحتاج إلى أم كاملة لا يشركه . فيها أحد

(٨) لو لم تكن الأسرة صادرة عن الفطرة الكامنة فى الطبيعة البشرية لاستطاعت المحاولات المتكررة على مر التاريخ أن يقضى عليها فقد نشأ من النظم السياسية على مر السنين ما حاول القضاء عليها من استقطاب ولاء الفرد للدولة ولم يكن للاسرة دور فى جمهورية إفلاطون وقد حاولت كثير من الفلسفات والنظم السياسية أن تجتذب الولاء من نطاق الأسرة كالمزدكية فى القديم والفازية والشيوعية فى التاريخ الحديث ، وقد أجمع علماء الاجتماع على أن الأسرة هى قاعدة النظم الاجتماعية قاطبة والمعتقد أن المحاولة المعاصرة لهدم الأسرة فى الغرب هى محاولة مؤقتة لا يلبث أن تنهزم كما انهزمت محاولات افلاطون وقد حققت حتى الآن نتائج خطيرة . وقد جاءت المؤامرة نتيجة مفاهيم الفكر المادى الوثنى الذى تشكل فى صورة الجماعية التى تستهدف تذويب الفرد والأسرة تحت اسم الولاء للجماعة الكبرى .

فقد كان لعوامل كثيرة أثرها الخطير فى تقويض الأسرة فى الغرب منها كثرة المواليد غير الشرعيين وزيوع الحياة خارج عش الزوجية ووجوب

منع الحمل ، وتقول مجلة تايم (١٩٧٠) أن الأسرة الأمريكية غارقة في شتى ضروب المشاكل الاجتماعية بما أصبح يهدد مستقبل الأمة الأمريكية بأسرها . وقد درس نحو أربعة آلاف متخصص في شئون الأسرة والطفولة أسباب التدهور السريع الذى تنحدر إليه الأسرة الأمريكية فقالوا : أن الأسرة لم تعد لها الآن وظيفة ولم تعد بالضرورة الوحدة الأساسية في المجتمع وأن تحلل الأسرة سيفضى إلى تحلل المجتمع بأسره وأن هذا شبيه تماما بما حدث فعلا في أثينا في القرن الذى أعقب الحرب البولونيزية وفي روما في منتصف القرن الثانى بعد الميلاد ، وتتساءل (مرجيت ميد) هل تبقى الأسرة ويجيب ريتشرد فارسون أنه لم يعد للاسرة وظيفة .

(٩) تواجه الأسرة محاذير وأخطاء كثيرة في المجتمعات الغربية علينا أن نتنبه لها :

أولا — محاولة تجاهل الأسرة كخلية اجتماعية في الكتلة الشرقية حتى لا تكون فاصلا بين الفرد والدولة ، وحتى لا ينال التعلق بها والارتباط بعواطفها من تعلق الفرد بالجماعة الكبرى وولائه لها . ولا ريب أن هذا الاتجاه من شأنه أن يزلزل كيان المجتمع نفسه ولا يحمى وجود الجماعة الكبرى

~~ثانيا — خطأ نظرية التى تحاول~~ أن تقول بأن وظيفة الأسرة قاصرة على مجرد إشباع الاحتياجات الجنسية والعاطفية للزوجين ، ذلك لأن مهمة الأسرة إنما تستهدف في الأساس إنشاء وتربية واحتضان النشء ورعايته وإيصال القيم والمثل التى تحفظ للمجتمع استمراره وتطوره .

ثالثا — محاولة جعل استقلال المرأة اقتصاديا من عوامل تغيير علاقتها بالرجل وبالأسرة ، بما يصدها عن رعاية الطفل والبيت وتعدهما ولإلقاء بهم إلى الخدم ودور الحضانة ولابد ان ذلك سيكون له آثاره العميقة في المعاناة العاطفية لهؤلاء نتيجة نقص الحنان الفطرى الذى لا تقدمه إلا قلوب الأمهات .

رابعا — خطر تعدد مراكز السلطة داخل الأسرة بين الوالدين مما يوقع الأبناء فى حيرة نفسية ويشتت عواطفهم ويبدد أمنهم النفسى الذى كانوا يستمدونه من (الأب) باعتباره المصدر الأساسى للسلطة .

خامسا — قصور الأسر الجديدة عن رعاية كبار السن من الآباء والاهل ، والفقراء والبعداء .

سادسا — صراع الاجيال داخل الاسرة ، مما يؤدى إلى اهتزاز القيم والمعايير السلوكية بما يفقدها دورها فى الضبط الاجتماعى وتوجيه الفكر والسلوك مما يعرض الاسرة للتفكك .

الفصل الرابع

اللباس والزينة

لم تجد الدعوات الهدامة التى عملت على إخراج المرأة من مهمتها ورسالتها ميدانا أكثر أهمية وتأثيرا من ميدان اللباس والزينة فعارضت بوسائلها وأدواتها ومؤسساتها الخطيرة أسلوب ستر العورة والثياب الواسعة والغطاء فدعت إلى العرى والكشف وإبراز المفاتن معارضة فى ذلك الغاية الحقيقية وهى الحماية والكرامة ، ولقد حملت دعوة العرى فلسفة خبيثة تبرر بهـا هدفها وتستهدف التحلل الكامل من ضوابط المجتمعات وترمى إلى تقليد المرأة لملابس الرجل فتلبس مثل زيه وتتساوى فى تقليده وتسريحة شعره فتقص شعرها إلى درجة أدنى منه ، وتلبس القصير وتكشف عن فخذيها وتعرى أجزاء من جسمها .

لقد بدأت هذه الدعوات فى المجتمعات الغربية التى لم يكن لها من عقائدها مناهج حياة تنظم بها مجتمعاتها .

وقامت مؤسسات كبرى للازياء تستهدف ضرب كل القيم الاخلاقية وتدفع المرأة دفعاً إلى العرى والى حرية الاعلان عن جسدها ، وانتقلت هذه الرياح المسمومة الى المجتمع الاسلامى دون أن تجد من يدفعها أو يكشف عن خطرها .

لقد دعا الاسلام الى حسن اللبس والتجمل على أساس أن اللباس مهمة أساسيه هى ستر العورة وحسن لقاء الناس ، وحض على الثوب الأبيض والثوب الواسع مع الاحتفاظ بالفصل بين أزياء الرجال وأزياء النساء

كراهية أن يختلط الجنسان أو يتشبه الرجال بالنساء ودعا الى الطهارة والتواضع فلا يجر المسلم ثوبه خيلاء ، ولا يرخى شعره ولا يمشى مشية التبختر وأن لا تتشبه المرأة بالرجل فى لباسها و مشيتها .

ان ملابس المرأة هى مسئولية الرجل وان ملابس الفتاة هى مسئولية الآباء . وعلى الاباء والأمهات حماية ابنائهم من اعاصير السموم العاصفة التى تجتاح المجتمعات الاسلامية . ولكن كيف لهذا الجيل من الآباء أن يقدم الهدى ، كيف يقدم الهدى من ليس مهتديا ، ولابد من رعاية الآباء لمن يلون أمرهم وحمايتهم بين ما يقرأون ويسمعون ليفاصلوا بين الخير والشر والحلال والحرام .

لابد من توجيه مستنير ازاء هذا الاعصار المدمر من اغراءات الموضات والأزياء وتسريحات الشعر وأصناف العطور المستعارة والرموش والأظافر الصناعية ، ولنعلم أن لكل دين خلقا ، وأن خلق الاسلام الحياء واننا يجب أن نقف وقفة امام الأغنية والكلمة الجارحة والمسميات الكاذبة المطروحة فى المسرحيات والأفلام ونعلم ان هذا من الدعائم الأساسيه لحماية الأسرة والجماعة كلها . وقد اصبح التبرج امراً هيناً فى نظر الناس وهو جد عظيم فى مقاييس الدين وحدود لله وضوابط المجتمع .

ان اجزاءاً من الجسم حرم الله كشفها ليحفظ الشخصية ويرفع الخلق وقد فطن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعديد من الأحكام فى سبيل منع تفشى الأزياء المترفة الباذخة بين ظهرانى اتباعه واستنبط منها فقهاء الشريعة الاسلامية نظاما ضم التعاليم والنصوص الخاصة بالأزياء ، يقول صاحب ملتقى الأبحر ان الملابس تستعمل فى ستر العورة وفى اتقاء غائلة الحر ولة البرد ، ولا يحرم التزيين الا اذا كانت الغاية منه اظهار نعمة الله وآلائه التى من بها علينا ولكن يحرم ابداء الزينة اذا كان الباعث على ابدائها متعة

الزهو والخيلاء والكبرياء ومن ذلك كان ارتداء الحرير ولبس الذهب حلال على النساء حرام على الرجال . وقد كانت ملابس الرسول صلى الله عليه وسلم غاية فى البساطة والنظافة وقد دعا الاسلام إلى حسن البزة وحسن الهيئة وجعل لباس التقوى خير منها .

وعلى المرأة ألا تكشف عن زينتها ومفاتنها أمام الغرباء إلا ما يظهر منها بطبيعة الحال ، وكل ما عدا الوجه والكفين فى المرأة عورة ، إذا أمنت الفتنة ، وشرط ألا تكون فى حالة تثير الفتنة كأن تكون بارزة الجمال أو تظهر أمام فساق يغلب على الظن أن يتأملونها بشهوة (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) .

وقد جعل الاسلام عفة الفتاة حقيقة كامنة فى ذاتها وليست غطاء يلقى ويسدل على جسمها ، وفرض الحجاب هو فى ذاته حفاظ على عفة الشباب الذى يقع نظره عليها لا حفظا على عفتها هى من العين التى قد تراها .

ولكل إنسان أن يتخذ الزى الذى لا يكون بمثابة اعتداء على حرمة الآخرين .

ولما كانت مسئولية كل مسلم هى المحافظة على أخلاق المجتمع كله فقد وضع الاسلام ضوابط للزى أن لا يكون كاشفا للعورة أو لجزء منها وعورة المرأة الحرة جميع بدنها وعلى ذلك فإن أى لباس ينكشف معه شعر المرأة أو ساعدها أو ساقها يعتبر لباسا ممنوعا محرما لما فيه من دعوة ضمنية إلى الرذيلة والتحلل الخلقى الذى لا يستطيع الآخرون معه الحفاظ على أخلاقهم وأخلاق أسرهم وأبناء مجتمعهم ، ذلك أن الحياة العامة ملك مشترك بين الجميع . ولا يستطيع أى إنسان أن يمنع الاخرين من ولوجها ، وعلى جميع

المسلمين أن يكفوا عن أى عمل يلحق الأذى بالآخرين وألا يكون اللباس شفافا يشف عما تحته ، والثوب الشفاف لا يعد ساترا ، وأن لا يكون ضيقا كالسروال الضيق الذى يشكل حجم الفخذ ، والمعطف الضيق الأكمام الذى يشكل حجم الساعدين أو يشكل حجم الصدر والخصر للمرأة ، لابد فى هذا كله نوع من الإغراء والايذاء وأن يكون اللباس نوعا من الخيلاء ولا زيا خاصا لغير المسلمين .

ويريد الإسلام أن يكون لباس المسلمين شيئاً يميزهم عن غيرهم حتى لا تضيع شخصيتهم فى شخصية غيرهم ولا يلاقوا صعوبة فى التعارف بينهم وتبقى الحياة الاجتماعية مستحكمة قوية غير أن الاسلام ما حدد لهذا الغرض هيئة خاصة وإنما جعل العرف العام هو القاضى فى هذا الشأن .

ولقد ندد الاسلام بتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال . واعتبره انحرافا عن الفطرة ودليلا على عقلية فاسدة وإبى أن يجيزه الإسلام لأتباعه أما تشبه أمة من الأمم بأمة غيرها فهذا ينافى الفطرة والعقل ولا يتولد إلا حين تصاب أمة بالضعف والهزيمة وداء الانحطاط وفقدان الحياء .

وقد جاءت هذه الضوابط كلها لحماية الذاتية الاسلامية بدعائمها الخلقية حتى لا تنهار ولا تنصهر ولا تنقرض .

(٧)

لا ريب أن هذا الإنحراف الذى أصاب المجتمع الإسلامى فى مجال الزينة واللباس كان بعيد الأثر فى إضعاف الأسرة ، وإصابتها بالوهن ، لأنه زلزل كثيرا من الضوابط التى تحمى وجودها وكيانها ولا ريب أن وراء مؤامرة الأزياء والزينة قوى كبرى تعمل على السيطرة الاقتصادية وهدم

المجتمعات . وتقليد الغانيات ، هذه القوى التى تملك بيوت الأزياء وتخترع كل يوم زيا جديدا تلبسه أجمل الفاتنات ، من شأن هذه المؤامرة أن تفسد حياة الأسرة وتزلزل ميزانية البيت وقد فرضت نفوذها على موارد المجتمعات فكان لها خطرها الشديد ، وأية الخطر فى هذا أن الزينة واللباس انتقلت من المنفعة والضرورة إلى الزخرف والهوى وأن عملية الكشف والعرى قد حلت بديلا من الستر والتغطية تحت تأثير رغبات الظهور وعبادة الجمال والأجساد وقد جرى كل هذا تحت تأثير فلسفة العرى التى أشاعتها التلمودية اليهودية لاغراء الفتيات والرجال على الكشف والعرى والإباحة ومن ثم كان إغفال الحشمة، وبروز الأزياء والأخلاق وذلك وهم خطير فإن للملابس علاقتها بالشخصية والخلق وهى علاقةجذرية أساسية لا سبيل إلى انكارها فإن الملابس هى التى تعطى الشخصية طابعها ، وملابس البيت فى الإسلام غير ملابس الشارع وملابس الرجال غير ملابس النساء ولابدمن وضوح الفوارق بينهما وملابس الشجاعة تعطى الشجاعة وملابس الخنوثة تعطى الرخاوة ، وملابس الممثلين والجوكى تفقد الإنسان طابع الإيمان برجولته ووقاره .

ولقد كانت قصة « المودة » خدعة كبرى تكشفت لكل من حاول الاتصال بها .

يقول صلاح حمدى (الجمهورية - ١٢ / ٢ / ١٩٦٩) أنه ذهب إلى باريس ليدرس خطوط المودة (الموضة) وعاد منها بعد ستة شهور ليقول بأعلى صوته : ليس هناك فى بلاد الموضة ما يسمى موضة . لقد خدعونا باسم الموضة وضحكوا علينا لترويج بضاعتهم ولكنهم أبدا لا يستعملونها فى بلادهم والدليل أنى لم أجد فى باريس ولا فى أوربا كلها فتاة أو سيدة تلبس (المينى جب) أو (الميكرو جب) أو تلبس الفساتين الضيقة التى يستجير منها الجسد . لم أر هناك أثراً لما يغرق الأسواق على شكل بضائع مستوردة .

وتعلمت أن الموضة قبل كل شيء كما يؤكدها مصمموا الأزياء هي كل ما يتلاءم من ملابس وتسريحات مع ظروف كل بلد الإجتماعية والمناخية وأيضا مع تقاليدها وتاريخها .

وقال : أن المرأة المصرية مع الأسف خيالية أكثر من اللازم وليست لها شخصية فهي تجرى وراء الموضة بدون وعى ، فهي تلبس (الثوت) رغم قصر قامتها وسمنة ساقيها وتلبس الميني رغم البروز والمنحنيات الطبيعية في جسمها لقد تركت حضارتنا الأصيلة لتجرى وراء كل ما يرد من الخارج سواء في اختيارها للالوان التي تلائم بشرتها أو نوع النموذج المناسب لقوامها أو لنوع القماش الموجود في السوق .

والسبب أن المرأة حين تختار موديلا معينا تنسى نقطتين هامتين :

الأولى : أن الصورة في أي كتالوج يلعب بها خداع التصوير دوراً كبيرا

الثاني : أن الموديل له نسب معينة لا تتفق مع مقاييس المرأة المصرية .

وهكذا نجد أن المرأة المسلمة مخدوعة أشد الخداع إزاء هذه التيارات الخطيرة التي تريد اجتياحها وتدمير مقومات خلقها وشخصيتها .

(٣)

ومن أخطار الزى والزينة تلك المحاولات الخطيرة لتغيير طبيعة المرأة وتغيير المرأة لشعرها ولحواجبها وتربية أظافرها ، ولقد استشرت ظاهرة الحواجب المندهشة وكشف علماء الطب عن آثارها النفسية الخطيرة على المرأة وقد أشار الإسلام قبل أربعة عشر قرنا إلى خطر هذا التغيير وآثاره .

يقول الدكتور وهبه أحمد حسن (كلية طب جامعة الاسكندرية) أن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة ثم استخدام أقلام الحواجب وغيرها

من ماكياجات الجلد لها تأثيرها الضار فهى كلها مصنوعة من مركبات معادن ثقيلة مثل الرصاص والزئبق تذاب فى مركبات دهنية مثل زيت الكاكاو كما أن كل المواد الملونة تدخل فيها بعض المشتقات البترولية وكلها أكسيدات مختلفة تضر بالجلد وأن امتصاص المسام الجلدية لهذه المواد يحدث التهابات وحساسية، أما لو استمر إستخدام هذه الماكياجات فإن تأثيرا ضاراً على الأنسجة المكونة للدم والكبد والكلى فهذه المواد الداخلة فى تركيب الماكياجات له خاصية الترسيب المتكامل فلا يتخلص منها الجسم بسرعة ، إن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة ينشط الحلمات الجلدية فتتكاثر خلايا الجلد وفى حالة توقف الإزالة ينمو شعر الحواجب بكثافة ملحوظة وإن كنا نلاحظ أن الحواجب الطبيعية تلائم الشعر والجبهة واستدارة الوجه ..

ولا ريب أنه فى غيبة القيم الأساسية التى جاء بها الإسلام فإن الأمور تضطرب أشد الاضطراب حيث يحفظ الإسلام للمرأة كرامتها وأنوثتها ويبقى عفتها وجمالها فى نفس الوقت .

(٤)

ومن تحديات الزى والزينة تلك المحاولة التى سقط فى تبعيتها عدد كبير من الشباب المسلم تلك هى سوالف الخنافس وهى تقليد ردىء ومتابعة بلهاء لصورة عرفت على مدى التاريخ بأنها يهودية الهوية ، وقد كان أول من فرضت عليه سوالف الخنافس جماعة اليهود الأسرى المطرودين إلى بابل فقد أراد بختنصر ملك بابل عام ٥٨٧ قبل الميلاد أن يجعل لهم علامة فارقة يعرفهم بها الناس فأمرهم أن يطيلوا سوالفهم وألزمهم بهذا التقليد وبدأ حاخامات يهود يكتبون التلمود فسجلوا فيه عادة إطالة السوالف وجعلوها شعيرة من شعائرهم الدينية وأخذ بهذه العادة من ذلك التاريخ من تفرقوا شرقا وغربا بعد اضمحلال الدولة البابلية حملوا معهم هذه العادة وأصبحت جزءاً من تقاليدهم ثم ظهر

بعد نكسة ١٩٦٧ توا ممثل يهودي اسمه (دافيد) فى رواية من روايات السينما التى تشرف عليها الصهيونية فى هوليود وهو بسوالف طويلة لأنه كان يمثل دور يهودى متدين وبدأ التقليد. وقد أعلن كثير من الباحثين والعلماء أن شعور الرجال المرسلة تناقض روح اليقظة والتأهب، وأن محاولة تقليد هذا النموذج من شأنه أن يبث روح الهزيمة فى الأمم المجاهدة

وتمتلىء الصحف مع الأسف بتلك الصيحات الهستيرية التى يعلنها بعض الداعين إلى هذه الظاهرة من مصففى شعر الرجال على نحو يؤكد أن وراء هذه المحاولات مؤامرة تستهدف رجولة الشباب وخلقه، وخاصة حينما نسمع أن هناك ما يسمى مؤتمر أكاديمية مصففى الشعر فى باريس حيث تدرس خطوط الموضة فى تسريحات الشعر وصباغته.

ولقد كان من أخطر الأحداث التى مرت بالمجتمع الإسلامى ظاهرة التحشم وظهور الوشاح الأبيض على رؤوس الطالبات الجامعيات ومقاومة الأزياء العارية، وظهور الدعوة إلى زى إسلامى لائق بالمرأة المسلمة، كما دعيت الموظفات والعاملات فى مختلف المصالح والوزارات إلى ارتداء زى محتشم وتكون جيل جديد فعلا فى ضوء هذه المفاهيم مازال يواجه التحديات من كل مكان.

وتقول الدكتورة نور الصباح وهى أحدث الداعيات لهذا الزى أن مثلها الأعلى زوجات الرسول ولذلك فهى ترتدى الحجاب وتؤدى الصلاة والحجاب فى نظرها لا يمنع من الاختلاط فى حدود معينة فى الجامعة والعمل والمؤتمرات العلمية وهى تؤمن بطاعة المرأة لزوجها فى كل شىء إلا فى ارتكاب المعصية وإذا حدث أى نوع من الخلاف فإن عليهما أن يحتكما إلى كتاب الله.

ومن العجب أن هذه الظاهرة الأصيلة الداعية إلى العودة إلى الفطرة قد وجدت من يحمل فيها حملة شعواء على النحو الذى قامت به أمينة السعيد فى مجلة حواء (١٨ نوفمبر ١٩٧٢) حيث هاجمت هذه الثياب البيضاء الكريمة ووصفتها بأنها أكفان الموتى. كما وجدت هجوما من أساتذة الجامعات فى المدرجات ومع ذلك فقد صمدت الفتاة المسلمة صموداً قويا أمام هذه الخصومات الموجهة إليها واستطاعت أن تؤكد وجودها.

وقد كان من أكبر مغالطات خصوم الزى الاسلامى دعواهم الباطلة بأن الثوب ليس ضامنا للفضيلة والوقار ولكنا نقول أنه ثمرة الايمان فإن المرأة التى عرفت ربها ودينها لا تقبل أن تبرز من جسدها ما حرم الله.

وما تزال هذه الظاهرة الكريمة فى حاجة إلى تعميق وإلى رعاية حتى تصل إلى غايتها.

(٥)

وتصور السيدة عائشة عو الانجليزية التى أسلمت أخيراً مفهومها للازياء فتكشف عن فهم صحيح جدير بأن يوضع تحت نظر المرأة المسلمة تقول:

تستطيع المرأة المسلمة أن تلبس ما يحلو لها أمام زوجها والعائلة وفى وسط صديقاتها ولكن عندما تخرج خارج البيت أو عندما يتواجد داخل البيت رجال آخرون غير زوجها وأقرب الأقرباء فى الأسرة فالمنتظر منها يلبس رداء يغطى كل أجزاء جسمها ولا يظهر شكلها. ما أعظمه من تباين مع الأزياء الغربية التى تركز عامدة فى كل عام على كشف مفاتن جديدة فى جسم المرأة للنظرات العامة، لقد رأينا فى السنوات القليله الماضية ظهور واختفاء أنواع عديدة من الملابس الفاضحة التى تحمل أسماء مختلفة: الميني (أى القصير إلى الحد الأدنى) والميكرو أى المجهرى والويت لوك أى النظرة التى يندى لها الجبين

والهوت بانتس أى الروال الساخن والتوبلس أى الصدر العارى والسيرو أى الشفاف أو انظر خلاله ، إلى ما تحته أو الشفاف ولا هدف لها سوى إبراز أو الكشف عن الأجزاء العورات فى جسم المرأة ويمكن للمرء أن يلحظ موجزا نزعة مماثلة فى ملابس الرجال التى أصبحت ضيقة لدرجة بدت معها وكأنها جلد الرجل نفسه وبالرغم من أن مصمموا أزياء الرجال قد وصلوا فيما يبدو إلى وقفة مؤقتة إلى أن يتحرر الرجال بما فيه الكفاية لأن يقبلوا سراويل ضيقة تظهر عوراتهم لدى النساء .

إن هدف الرداء الغربى أن يكشف أو يعرى جسم الإنسان فى حين أن هدف الرداء الإسلامى إخفاء أو تغطية الجسم على الأقل فى العلن .

[يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين] .

وعلى ذلك فقد فرض على المرأة المسلمة أن تلبس عندما تخرج خارج المنزل رداء يغطيها من الرأس حتى القدمين ولا يظهر شكلها ، أو بمقتضى أقوال بعض العلماء فإن اليدين والرأس فقط ما يلزم تغطيته فى حين قال علماء آخرون بضرورة تغطية الوجه أيضا ، ومن ثم أصبح هناك رأيان فى الموضوع على أن فرض السلوك المحتشم لا يقع على النساء فقط إن وصايا القرآن الكريم موجهة للرجال والنساء على حد سواء ، إن أحد الأجراءات التى تهدف إلى تقوية دعائم الأسرة والتعليل حتى الحد الأدنى من الاختلاط بين الجنسين حجب النساء .

ولا يوافق الأسلوب الإسلامى للحياة على أن يتخذ الشاب له صديقة وأن تتخذ الفتاة لها صديقا كذلك لا يقر حفلات السمر التى يختلط فيها الجنسان والرقص بين الرجال والنساء وتعاطى المسكرات والمخدرات وغير

ذلك من مظاهر الأسلوب الغربى للحياة المعروف بأنه يهيىء الأوضاع التى تنشأ فيها العلاقات المرذولة قبل الزواج وأثناء قيامه . وأن التسلية الاجتماعية فى الاسلام يتم عادة أما داخل نطاق أفراد الأسرة وأقرب الأصدقاء إليها أو بين جماعات منفصلة من الرجال وأخرى من النساء لا اختلاط بين الجنسين فيها .

لا يعتبر الجنس خارج الزواج فى الشريعة الاسلامية إثما فحسب ولكن أيضا جريمة يدخل مرتكبيها تحت طائلة القانون كجريمة السرقة أو القتل أو غيرهما .

الباب الثاني

التحديات في وجه الشباب

الفصل الأول

التحديات فى وجه الشباب المسلم

إن شبابنا المسلم يسأل عن الطريق الصحيح ، وهو فى شوق إلى الخير والأصالة والضوء الكاشف حين يرى تشعب الطرق واختلاف الدعوات التى توجه إليه ، ومنها ما يدعوه إلى الإنطلاق الكامل ومنها ما يدعوه إلى الإنطواء التام . أما الإسلام فإنه يدعوه إلى تحرر أصيل معتدل محض بالضوابط التى تحفظ كيانه ووجوده ومجتمعه وعلاقاته بالآباء والأمهات والأخوات والزوجات ،وهو يفتح له الطريق للاستجابة إلى الرغبات المادية والأشواق الروحية فى نفس الوقت: ذلك التكامل الجامع بين النفس والبدن ، والروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة ومفتاح الأمر كله أن يعرف الشباب المسلم مهمته فى الحياة التى خلق من أجلها الإنسان ويعرف أمانته ومسئوليته وجزاءه الدنيوى والأخروى . أن الهدف الأساسى هو أن يكون الشباب المسلم المؤمن بالله عاملا نافعا فى بناء المجتمع الربانى الذى يحل ما أحل الله ويحرم ما حرم وأن يكون مقتنعا تماما أن هذه الحياة مسئولية وتبعة وليست لعبة أو منطلق رغبات وأهواء وان الدين الحق الذى أنزله الحق تبارك وتعالى هو ضوء هداية للانسان حتى لا ينطلق مع رغباته وأهوائه وليدله على جوهر طبيعته البشرية ومهمته فى الحياة والوجهة الصحيحة لهذه الحياة فإذا تعرفنا إلى هذا كله وجدنا أننا لا ننطلق فى الحياة من أجل الدنيا نفسها وانما لتكون الحياة الدنيا محصلة خير : تصلح به أمر العيش وأصل المجتمع الذاخر وتهيء لصاحبها القدوة

لأن يكون قوياً على اقتحام المرحلة التالية لهذه الحياة : وهى الحياة الأخرى الكبرى : الحياة فى دار الخلود وليس يعنى هذا أن تنصرف عن هذه الحياة ، ولكن معناه أن نعمل فيها بروح البناء والإيمان وتقدير المسئولية مع الحق الكامل فى التماس كل معطياتها بما يحقق نوازع النفس عن الطريق السليم الذى رسمه الإسلام لحماية الإنسان من تدمير نفسه بالإنطلاق المندفع ، أو بالانصراف المطلق . فقد أشار القرآن الكريم الى أن هذا الذى أحله الله للانسان لا يجوز الإنصراف عنه كذلك فإن هذا الذى حرمه الله لا يجوز اقترافه . وقد أباح الله تبارك وتعالى كل شيء إلا أشياء قليلة جدا لا تنقص الإنسان شيئا إذ تجاوزها ، وكل ما أحله ، جعل له أسلوبا قائما على الإعتدال الكرامة والخلق ، حتى تكون العلائق بين الإنسان والإنسان والمجتمع طيبة كريمة بعيدة عن الصراع والخصومة والاحقاد ، وهى من طريق آخر تعمل على حماية هذا الكيان البشرى الضعيف من أن يتحطم على صخرة الاهواء والشهوات كما تقيه أن يقع فريسة الاضطراب والتمزق والإحساس بالغربة أو الغثيان .

إذن فهى حرية مضبوطة ، لها إطارها الواسع ، وحركتها الطليقة إلى حدود وضوابط تحمى الفرد من الخطر وتحمى المجتمع نفسه من أن يأخذ أحد ما ليس له وما هو من حق الآخرين ثم إقامة علاقة سليمة بين مختلف أجزاء المجتمع

تلك هى أهداف الإسلام فى رعاية الشباب : إعطائه أسلوبا فى الحياة ليس عشوائيا ولا تحكمه الأهواء ، ثم إعطائه مفاتيح الفهم الواسع لحياته

وللمجتمع وللكون وللحياة ولهذا الكون كله منذ بدأه خالقه الى يوم تقوم القيامة وتبدأ الحياة الأخرى يحاسب كل إنسان فيها بما قدم فى هذه الحياة ويجزى بالجزاء الذى يستأهله نعيما أو عذابا.

ومن هنا فإن تلك التيارات التى تهب على الشباب — يجب أن تواجه بحرص ويقظة وأن ننظر اليها نظرتنا الى أى شىء غريب وافد، لا هى من منطلقات مجتمعنا، ولا هى مرتبطة بظروفنا، ولا صادرة من عقائدنا ولا من فكرنا ولا من تاريخنا ولا من قيمنا ولكل أمة تاريخها وعقائدها وأسلوب حياتها الذى شكلته قرون طويلة، وتحديات مختلفة، ولكل أمة محاولاتها فى معالجة مشكلاتها وتحدياتها وقد إختار الغرب هذه الأيدلوجيات والنظريات فى معالجة ظروفه، فهل حققت نتائج صحيحة وهل أسعدت شبابه وهل ردت اليه الايمان وهل كشفت أمامه طريق الخير، وهى من صنع يده، الواقع: أنها لم تفعل، ودليلنا أن قضية الشباب مع تحديات الحضارة والمجتمع ما تزال قائمة وهى تزداد كل يوم سوءاً، إذن فالطريقة التى حاول الغرب أن يعالج بها قضاياه لم تحقق له شيئا، فكيف تصلح لنا هذه الطرائق وهى لم تنجح فى بيئتها، من ناحية وتختلف مع ظروفنا وعقائدنا من ناحية أخرى.

ليعرف شبابنا أن هناك قوى غاصبة من وراء نقل القضايا من بيئة الى أخرى، من وراء ذلك قوى تريد تدمير الأمم وتحول دون نهضة هذه الامة المسلمة بالذات وأنى لأرجو من شبابنا أن يقرأ بروتوكولات صهيون وغيرها من كتابات كشفت عن هذه المخططات، وفضحت هذه المحاولة

الخطيرة التي ترمى إلى تدمير الشباب لأنه هو صاحب السيطرة على أمته ومجتمعه في الجيل القادم ، وإذا دمر هذا الشباب استسلمت هذه الأمة للنفوذ الأجنبي الذي يحاول أن يلتهمها .

علينا أن نعرف هذه الحقائق ؛ حقيقة الخطر الذي يكمن من وراء التيارات الوافدة ، وسلامة الطريق الذي يرسمه الدين الحق لإضاءة الساحة أمام النفوس المؤمنة وليس هناك من حماية إلا المعرفة والتعرف على هذه الأخطار والحذر منها ولكن : كل ما يفد إلينا خطر ، فإن هناك أشياء كثيرة نافعة وصالحة لكي ننمى وجودنا ولكن على أساتذتنا أن يقدموا لنا ما يترجم ويدلونا على الخير فيه والشر ، ولا يترك هكذا دون مقدمات واضحة صريحة عما يأخذ منه مما يتناسب معنا وما ندع ، أما الفتاة المسلمة فإنها تستطيع إذا فهمت رسالتها الحقة ، التي تتفق مع طبيعتها وفطرتها وما أعدت له أن توفق في حياتها ، عليها وعلينا جميعا أن لا تكسر أحكام ديننا في سبيل إرضاء متطلبات العصر ، ولكن علينا أن نوائم بين متطلبات العصر وبين ضوابط المجتمعات الربانيه الجامعة للافراد والجماعات من خطر الانهيار والتدمير . ولتعلم فتاتنا المسلمة أن تعليمها من أجل رسالتها ومن أجل الغاية الكبرى وهي بناء البيت ورعاية الزوج وتنشئة الأجيال ، وأن هذه الغاية مقدمة على كل غاية ولا يجوز التضحية بها لأى غرض بل يجب التضحية بكل غرض في سبيل حماية هذه الغاية الكبرى .

وعليها أن تعرف كيف تختار رفيق الحياة فيمن يتقدم عليها أو يعرض مودته وصداقته . وليس الغنى والثراء ، وليس الوجاهة وطلاقة اللسان

وليس أسلوب البراعة والفكاهة وعبارات التنكيت هى « مفتاح » الشخصية الكريمة وإنما مفتاحها الأصالة والجدية والإيمان وتقدير مسئولية الزواج والأسرة وتقدير الأنثى كفتاة وزوجة ومعرفة هذه المسئولية لا تأتى إلا عن طريق رجل مؤمن بالله عارف بحدوده ، وعن طريق فتاة مؤمنة بالله عارفه بحق ربها عليها ، أما أساليب البراعات والاستعراضات فهى لاتؤدى إلا إلى ذلك الخطر الذى يقع من بعد كما نقرأ فى الصحف ، أن عملية الاستكشاف والتعرف والترابط يجب أن تتم تحت مظلة الأسرة والاهل الذين يعرفون أكثر . والذين جربوا ، وأن يتم ذلك باسم الله وفى حدود ما أحل الله ، وإلا يكون عن طريق زيارة البيوت الخاصة أو الجلوس فى الأندية العامة إلا بعد العقد الشرعى ، أما هذه الفترة الأولى فلا بد أن تكون فى حماية كاملة ، حتى ما إنتهت إلى الفشل لا تخلف أثاراً سيئة .

وعلى الآباء المؤمنين إذا وجدوا الشباب الصالح أن يعينوه ويخففوا عنه ولا يطلبوا منه مهرا ثقيلا وأن يعينو الأبناء فى إنشاء عش الزوجية بأخف التكاليف ما أمكن ذلك رغبة فى إقامة هذه الحياة التى تساعد كلاهما على الاستقرار والنجاح ، وأن آباء كثيرين من المؤمنين بالله قد قاموا بهذا العمل وسارعوا إلى إنشاء الاسرة الصغيرة فى أحضان الاسرة الكبيرة حتى قبل أن يتم الابناء تعلمهم وذلك حماية لهم وحفظاً وتمكينا ما دام قد ثبت صلاح التعارف ونجحت التجربة الاولى التى تحت مظلة الاسرة فى سلامة الدوافع ارتفاعا الى الزواج الشريف .

(٢) إن أزمة الشباب الحقيقية هى عجز الوسائل الاساسية فى الاسرة أولا وفى المدرسة من بناء روحه ومعنوياته على النحو الذى تبنى مادياته وجسمه . فقد ضعفت رسالة البناء الكامل للشباب (روحا

وجسما وعقلا) وانتصرت فى بعض الظروف والبيئات على الجسم والعقل أحدهما أو كليهما أما تربية الروح والنفس والمعنويات التى هى الأساس وكل ما سواها تابع لها فقد تخلفت كثيرا وعجزت الأجيال عن تدبرها تحت ضغط التيارات المادية والمذاهب الوافدة التى حجبت كثيرا من الحقائق والغايات التى رسمها الإسلام .

إن أزمة الشباب الحقيقية هى : أن التغريب والغزو الفكرى قد خلق جوا من التناقض والازدواج ولذلك طرح أمام الشباب صورتان وقدوتان ومنهجان وتقييمان وأعطى المنهج القاصر منهما : الضوء الأخضر واللمعان الخاطف بينما حجب المنهج الأصيل ثمة ولم يحسن المثقفون والمربون التعرف عليه ولأمر كان المنهج اللامع هو المنهج الذى يدعو إلى التحرر والانطلاق وتحطيم القيود والذى تحتقر الضوابط وتسخر من الاديان والاخلاق بينما المنهج الاصيل يقبع فى الاركان ولا يجد طريقة إلى الظهور .

أن قوى كثيرة وأضواء ساطعة تحيط بالمنهج القاصر وتدخل به كل بيت عن طريق القصه الجنسه والمجلة الكاشفه والكلمه الجريئه ولكننا نضع أمام الشباب الحقائق كاملة بكل أمانه وندعه يحكم بفطرته ويلتمس الطريق الصحيح .

« وإن تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله »

لقد حرص الإسلام على بناء الشباب وإعداده وجعل قاعدة الإيمان بالله هى مصدر الضوء الكاشف الذى ينير الطريق ويزيل العقبات ويعين على فهم

المعضلات وحل المشكلات فالشباب حين يبدأ فى الاستيعاب يجد فى القرآن الكريم مفتاح الطريق فإذا تجاهل هذا المفتاح عجز عن أن يصل إلى الحقيقه ، فإذا حاول أن يلتمس الفهم من تلك الكتب المنشورة عن الحب والجنس والقصه والكلمة الساخرة والكلمة المكشوفة فإنه يكون قد دخل إلى طريق مظلم لا يهدى أبدا وليس فى هذا حجر على القراءة والفهم ، ولكن محاولة لتصحيح الطريق وتعرف على نقطة البدأ ذلك أنه ليس فى الإسلام حجر على القراءة والفهم، ذلك أنه ليس هناك فى الإسلام مصادرة على فكر ما، ولكن علينا قبل أن نقرأ ونلتمس فيما نقرأ الدليل ، أن كل ما نعرف أن كل ما يسبق الفكر الربانى فهو لغو لا يهدى ولا يؤدى ، فإذا عرفنا الطريق من الوجه السليمة ومن النقطه الاولى كان لنا بعد ذلك منطلق صحيح محصن يهدى ولا يضل .

إن علينا أساسا أن نواجه قضايا شبابنا وتحديات مجتمعنا بمفاتيح اسلاميه أصيلة مستمدة من فكرنا وتراثنا وبيئتنا ، وأن نتجنب تماما تلك المحاولات التى تريد أن تقدم لنا حلولا غير أصيلة ، أو تنقل لنا تلك الاساليب والمواقف التى تعالج بها مشاكل الشباب فى العالم الغربى ، فإن المنطلقات لا شك مختلفة ومن ثم فإن المعالجات لا بد أن تكون مختلفة ، وبكلمه واحدة فإن تحديات الشباب المسلم ترجع إلى قصور الناحية الوجدانية والروحيه وأن الطريق الصحيح هو التماس مفهوم الاصالة الإسلامية فى حل قضايا الشباب

وليس من ريب فى أن الدين وغرسه منذ الطفولة فى النشىء هو الدرع

الاكبر ضد الانحراف وضد الفساد ، وهو الحائل الحقيقى دون وقوع الأبناء فريسة التطرف والفساد والانحراف . وأن كل محاولة لحل مشاكل الشباب لا تعتمد بناء الأخلاق وروح الدين فى نفس الشباب هى محاولة فاشلة لن تحقق شيئا ولن تستطيع البحوث العلمية أو السيكولوجية تحقيق أى تقدم إيجابى فى شأنها ولا ريب أن محاولة « تعمية » شباب الإسلام عن الطريق الصحيح وتزييف فكره ودفعه إلى طرق متشعبة مضطربة هى غاية من غايات المخططات التلمودية والشيوعية والغربية التى تحاول احتواء الشباب إيمانا بأنها بذلك تحطم مستقبل البلاد الإسلامية بإفساد الأجيال الحديثه ومن هنا تلك المحاولات التى ترمى إلى بث الشبهات التى تقول بأن جيل الشباب : جيل بلا قيم ، وبلا إيمان ، وأنه جيل يبحث عن نفسه فى الجنس والرقص والمجون والمخدرات وأنه جيل بلا هوية كما صوره على هذا النحو نعمان عاشور فى قصته (الجيل الطالع) .

والواقع أن هذه ليست صور الشباب ولكنها هى الغاية التى يراد من الشباب بعد تجريده من الأسلحة الأخلاقية الدينية والروحية أن يصل إليها .

وأن محاولة تجريد الشباب وإفساده تجرى عن طريق تقديم الطعام المسموم اليه : أفلام الجنس والصور العارية والقصة الأباحية والأغنية المكشوفة والنكتة القبيحه . بل أن فتاوى المضلين من الكتاب المشهورين هى أقوى التحديات والأخطار ، فإنك حين تسأل فلانا تجد الإجابة ماركسية وحين تستفتى فلانا تجد الإجابة وجودية وحين تعرض مشكلتك على فلان تجد الإجابة مادية أو أباحية وأنت فى كل هذا بعيدا عن الإجابة الصحيحة : الإجابة الصادقة التى يقدمها لك الإسلام .

ولا ريب أن الشباب المسلم فى حاجة الى معرفة كيفية التعامل مع هذه

التيارات الخطيرة ومواجهة هـذه التحديات : والسبيل هو التعرف إلى الإسلام بمعطياته فى مجال العقيدة والأخلاق ومؤمنا بأنها هى القاعدة الأساسية التى يعتصم بها المسلم لمواجهة كل ما يقابلة فى خضم المجتمعات وفى ضوء الإسلام يتعرف إلى مختلف المذاهب والأيدلوجيات الإجتماعية والأخلاقية والنفسية ومن ثم يعرف أن بناء الشخصية الإنسانية يجب أن يتم خارج هذه المؤثرات المضطربة ، وهذا الأسلوب وحدة هو الذى يمكنه نقدها وتبين أخطارها والتعرف إلى جوانب فسادها .

والوقع أن اتهام أجيال الشباب بأنها أجيال ضائعة ممزقة قول يجانب الصواب ، وهو ترديد لكلمات وافدة وما أعتقد أن بلادنا تخضع لمثل هذه المذاهب والنظريات التى تتعارض مع طابعنا وروحنا وذوقنا وتراثنا الذى كونته عوامل مختلفة قوامها : التوحيد والحرية والعدل والارتباط الأكيد بين القلب والعقل وبين الدين والمجتمع وبين المادة والروح .

أن العامل الأقوى الذى يمكننا دائما خارج دائرة هذه اللعبة التغريبية : هو أن يعمق إيماننا بأن نظرتنا إلى الحياة متكاملة وأن طبيعتنا وسطى لا تنحرف ولا تجمد فنحن لا نقحاز إلى جانب دون جانب، ولا ننحاز لجانب المادة الذى يقضى على جانب الروح والمعنويات ، ، اننا نوازن بين الجانبين ونزاوج بينهما فى تكامل وموائمة . أن جانب الإيمان بالغيب والتصديق بالوحى قائم على جانب التقديرات العقلية والمادية . ومن هنا فان نظرتنا بعيدة عن التمزق والضياع واليأس ، أن السر فى الأزمات النفسية للشباب العالمى هو ذلك الانحسار المادى بكل مفاهيمه واستجاباته ، أما نحن فاننا لا نعرف تلك التجزئة ولا نستغرق فى فكر ليست له مفاهيمنا وقيمنا ، عندما نعود الى أصالة فكرنا وطابع روحنا نسقط هذه النظرة .

أننا لكى لا نكون أجيالا ممزقة ضائعة ، يجب أن نتصل بجذورنا

ولا تنفصل عنها ، أن لنا جذوراً أساسية يجب أن نستمد منها كما أن للغرب جذوره التى يستمد منها وجذورنا ترتبط بالأديان والأخلاق وهى ليست منفصلة عن المجتمع أو المادة . هذا هو مفهوم الأزمة ومفهوم الخطر .

وقد كشف التاريخ فى موجاته المتوالية وحركاته المتصلة أن مصدر الخطر على المجتمع الإسلامى إنما يجىء من التخلف عن مفهوم الإسلام أو الإنفصال عنه كنظرة متكاملة للكون والإنسان والمجتمع : نظرة قوامها التوحيد ومنهما العدل والرحمة والأخوة الإنسانية فإذا انحرف المجتمع الإسلامى عن هذا المفهوم كان ذلك عاملا فى تعريضه للغزو الخارجى أو التمزق الداخلى وإذا ما عاد مرة أخرى إلى مفهومه الإسلامى الأصيل استعاد قوته وحيويته القادرة على مواجهة كل محاولات السيطرة . .

(٣)

(٢) لا ريب أن المفاهيم التى طرحتها الفلسفات المادية والوجودية عن حرية الإنسان وإطلاق قيوده من الضوابط الأخلاقية والاجتماعية وإباحة الطلاقة هى أخطر ما أصاب الأجيال الشابة بالقلق والاضطراب وهى مفاهيم ليست فى الحقيقة أصيلة ولا تتفق مع الفطرة الإنسانية أو القيم الأخلاقية أو الضوابط التى قررها الدين الحق. وهى غش للنفس الإنسانية ودفع لها إلى الفساد والانحراف.

يجب أن يعرف الشباب المسلم أن الحرية الفردية لها ضوابط وقيود وأنها تنتهى حين تبدأ حرية الآخرين. وأنه ليس من حق الإنسان — أى إنسان — أن يأخذ ما يملك الآخر سواء أكان عرضا أو مالا أو متاعا، إلا بحقه.

ولا ريب أن الشباب يتطلع إلى الجنس الآخر ويجد من اضطراب بعض الأنظمة التى تدعوا إلى تأخير تحقيق علاقته عن الطريق الشرعى، ما يدعوه إلى التماس الطريق الخاطىء، أن هناك عوامل كثيرة تؤدى إلى الاثارة: كالصور العارية والقصص المكشوف والأغنية الجارحة، بل لعل فى بعض الأوضاع الواقعية فى الحياة الاجتماعية ما يثير أيضاً، ولكن الشباب المسلم يستطيع أن يواجه ذلك بالإيمان بالله والاعتصام بالله من الانحراف وذلك بالاستعفاف والاعلاء والتسامى. وأن يحفظ عرض من يتخلطن به فى الدراسة أو العمل حفظاً لعرض بعض أهله. وعلى الشباب فى هذه المرحلة أن يستعين بالرياضة والمجاهدة والصوم حتى ينقذ شبابه من أن تدمره الانحرافات التى ترجع إلى اعتناق نظرية الوجودية أو الحرية التى لا تعرف ضوابط العرض والشرف والكرامة.

والمفهوم الاسلامى يقوم على تبريد العاطفة واعلاء الرغبات حتى يتحقق فى إطارها الصحيح، وأن الغريزة أداة طيعة متقلبة لكل ما تتوجه إليه النفس من خوف الله والايمان به أو الانحراف عن ذلك وليس صحيحا ما تطرحه النظرية التربوية الغربية التى تقول : بالتنفيس عن الغريزة ذلك لأن الانسان إنما يصدر فى تصرفاته عن حقيقة عقيدته ودرجة إيمانه ، والمسلم مطالب بتقديم الغريزة وتهذيب الفطرة .

ويردد الباحثون الغربيون مفاهيم زائفة حول المراهقة .

المفهوم الأصيل المراهقة أنها إنتقال جسدى وعاطفى وعقلى واجتماعى من الطفولة إلى الشباب : أى الى الرجولة أو الأنوثة ، وليس هو فى الحقيقة انتقال مفاجىء ، ولكنه انتقال طبيعى ، وتطور متدرج فى النمو فإذا فهمت هذه المرحلة فهما اسلاميا صحيحا مرت بسلام فهى أولا : دلالة على أن الشباب أصبح فى مرحلة المسئولية وتكوين الشخصية القادرة على أن تؤدى دورها فى العمل والتأثير والتغيير فى المجتمع . والشباب فى هذه المرحلة اذا اعتصموا بالايمان بالله استطاعوا أن يكونوا مثلا طيبا للأخوة والمحبة والصداقة والوفاء ، شريطة أن يتقربن الى الله بالعمل الصالح وأن يثقفوا أنفسهم ثقافة أصيلة وأن يتعرفوا على حقائق الحياة والمجتمع فى ضوء الإسلام وتنمية مواهبهم وهواياتهم وشغل أوقات فراغهم بما يبنى شخصيتهم ويملاها قوة وثباتا ، أما هذا الجيشان الوجدانى فى أبان المراهقة فانه يمكن اعلائه والتسامى به الى خدمة الناس ومحبة الآخرين والتماس هدى الله فى هذا المجال والاستعانة به .

وخير وسائل الأعلاء والإنسجام مع المجتمع والانتقال من الأنانية الى الغيرية من الأخذ الى العطاء ، ومن الشر الى الخير .

ولذلك فإن على الشباب المسلم أن يدرب نفسه على خلق أهداف بديلة فى

مجال الأعمال الصالحة وأن يكون قادرا على التنازل عن بعض الرغبات ما دامت وسائلها المادية لم تتحقق بعد ، والتقبل بالأمر الواقع مع العمل الحثيث لتغييره ، وإذا لم يكن ما يريد الانسان فليرد (ما يكون) ، وأن يركز نظره على الجوانب الايمانية دون الجوانب السلبية ، والخروج من دائرة نفسه المغلقة إلى دائرة المجتمع وأن ينسى نفسه فى سبيل مساعدة غيره وأن يحرص على أن لا يواصل العمل فى سبيله الوصول إلى شيء ليس من حقه.

وعلى الشباب المسلم أن يؤمن بأنه حر فى اختياره حرية كاملة مع جزائه على قدر مسئوليته عن كل فعل يفعله على قدر مكانة هذا الفعل من الخير أو الشر وأن الله تبارك وتعالى يهيء للانسان الوسائل الى الغايات الشريفة ، ويخفف عنه تحدياتها فإذا قصد الشباب الى طريق الخير والعفاف فإنه سيجد نفسه قادرة على تحقيق هذه الغاية إذا ما عزم على ذلك واستعصم بالله وخاف العقاب من الاندفاع فى الطريق الآخر .

وقد جاءت التوجيهات فى سبيل التماس طريق العفاف بالابتعاد من الافراط فى التعدى أو الانطلاق فى الميل الجنسى فإذ بعـــد عن الافراط احتفظ بقدرته على المقاومة .

وقد أشار كثير من الباحثين إلى تجربة (التوازن) بين القيم المادية والقيم الروحية ، اذ أنه هو أصدق الحلول أمام أزمات الشباب فهو يسد الطريق أمام حدوث انحرافات من شأنها ان تحد من فعالية احدى هاتين القيمتين فهو تقرر بأن الإنسان ما دام نسيجاً وحده من مجموعة من العناصر المادية الأخرى ، وأن هذا النسيج متداخل فى طبيعة الإنسان لا فواصل بينه فإن الإسلام يجب أن يتعامل مع مبادىء تنسجم وهذه الطبيعة . وبهذا يشعر المسلم الإنسان بأنه فى جميع فعالياته الإنسانية : مادية كانت أو روحية أم مشتركة تشعر بأنه متوحد مع ذاته من جهة ومع مصيره من جهة أخرى

لأنه إنما يقوم بفعالية تلك داخل الأطر العقائديه التى جاء بها الإسلام والتى بالإضافه إلى تحقيقها الحد الأعلى من السعادة الإنسانية فى الأرض فأنها تمده دائما بالنعيم والخلود فى الحياة الأبديه وهكذا يبتعد الإنسان المسلم بالضرورة عن الشعور بالازدواج أو التمزق فيتوحد مع ذاته ومع مصيرة المرتبط أساساً بفعالياته جميعا : ماديها وروحيها .

وفى الإسلام لا يرتبط مصير الإنسان بقيمة واحدة من القيم دون الأخرى ، بل أنها جميعا تتناسق وتنسجم لتشكل أخيرا مصيره ، وهذا هو الأساس العميق فى الاسلام الذى يحفظ وحدة الذات والانسانيه من التمزق والازدواج فالإنسان المسلم فى جميع فعالياته يسهم فى تشكيل مصيره : عندما يسجد لله وعندما يستقرىء الطبيعة وعندما يحلل فكريا وعندما يصارع بإرادته قوى الشر والانحراف وعندما يتحقق بالقيم الأخلاقيه الكبرى : كالحريه والإيمان والمسئوليه . ولا ريب أن التوازن بين القيم الروحيه والماديه يعطى للانسان مجالا واسعاً تتفتح فيه قابلياته وفى شتى الاتجاهات لأنه فى أية فعالية يقوم بها لا يتعدى علائم تلك المخططات من جهه ومن جهة أخرى يجد نفسه مشدوداً إلى مصير واحد يستقطب القيم الطبيعية والروحيه والانسانية ويتجه اليه بالكلية دونما شعور بالتمزق أو الضياع .

واحتفال القرآن الكريم بكثير من وجوه الحياة — لا بالأمور الروحيه وحدها — يؤكد أنه وحدة كاملة من روح وجسد ، كما يؤكد الاسلام ، فإنه ليس هناك وجه من وجوه حياته يمكن أن يكون من التفاهه بحيث لا يقع داخل نطاق الدين .

ولقد عرف الغرب ذلك الصراع لأنه انفصل عن الدين فأصبح يفسر التاريخ والحياة تفسيرا عقلياً فردياً أو تفسيرا مادياً جماعيا وجاءت

موجات تفسير الانسان والحياة على أساس الغريزة (فرويد) أو لقمة العيش (ماركس) كل هذا دفع الإنسان إلى نظرة فيها تحقيق للغايات المادية وتمجيد الغريزة وترف في وسائل المتعة واللهو والتسلية . ولا ريب أن الأزمة هنا جاءت من العجز عن التوازن أو التكامل أو التوحد مع ذاته ومصيره . ولقد أكد وليم جيمس بعد دراسة لهذه الأوضاع في الغرب بان الخوف والبلبلة النفسية والتمزق ليست إلا وليدة شيء واحد لا ثاني له: هو انكار الفرد على غريزته الدينيه حقها ووظيفتها وتجاهله لأهميتها وللدور الذى تلعبه فى السلوك الإنسانى ونفوره من انمائها ورعايتها ،

أن التمزق يصدر عن العناية بشيء وتجاهل شيء آخر ، بينما الشيئين شجرة واحدة فى التكوين الانسانى فكيف تغذى فرع منها وتعطش فرعاً أن كل الطرق مفتوحة إلى تغذية الغريزة وأن عوامل كاملة قائمة لها من مراقص وصحف ومسرحيات وعرى وكشف وأندية وعلب ليلية وهى متخمة يفقد فيها الانسان قدراته وقواه وعاقبته وماله بينما هو يغضى اغضاءاً تاماً عن حق الغريزة الدينية : حق الروح وأشواق النفس ومطامح الوجدان ولما كان الانسان حفنة من تراب ونفخة روح فأنه لا بد أن يتوازن وإلا عاش حياة الصراع والتمزق .

ولا ريب أن مركبات الخوف والقلق والتمزق . وكل ما يتصل بالنفس البشرية من أخطار وتحديات لا تجد له طريقاً إلا بأحياء غريزة الدين . والاحتفال لها والاعتصام بها بل أن علماء النفس الغربيين فيما عدا (فرويد ومعروفة هويته واتجاهه ومن وراءه) يؤكدون اليوم هذه الحقيقه ويقول يونج : أن الدين هو منهاج الشفاء للنفس وأن الأمراض العصبية ترجع الى للضاغطات النفسية وأن العقيدة المشكوك بها والتى تدخل ضمن النقاش تضيع قدرتها على الشفاء وأن الانسان الذى لا يعتقد أن هناك إلها يعلم الآلام

ويساعد عند الشدائد ويرحم ، والإيمان بأنه هو الذى يعطى معنى الحياة ، من كان فاقدا لذلك مهما كان جباراً عنيداً فهو فى الحقيقة ضعيف مدمر .

ويصل عشرات من الباحثين إلى أن الأزمة النفسية الحالية هى من القضايا الهامة فى القرن العشرين وأنه لإبعاد الشك واستبداله باليقين فأنه يجب البحث عن الدين الصحيح الذى لا يقبل الشك والذى ينطبق على الفطرة السليمة ونؤمن نحن المسلمين بأن هذا الدين هو الإسلام وأنه هو بلسم لهذه الجراح وعلاج كل النفوس .

فالله تبارك وتعالى وحده هو السناد والملاذ الذى يلجأ إليه الإنسان فى الأوقات النفسية فيجد فى كنفه الرحمة والأساة .

ويقول يونج فى كتابه (الدين وعلم النفس) أن الإنسان يصبح مريضاً عصبياً عندما يفقد ثقته بنفسه والثقة بالنفس تكون ثقة غير مستقرة إذا لم تقترن بالإيمان بالله والثقة به والتوكل عليه . وأن القلق النفسى أكثر خطراً من الوباء والزلازل وأن الحيرة اليائسة والتضارب هى التى تزلزل كيان الإنسان فيقع فريسة الأمراض النفسية ، وأن الطمأنينة هى حفظ صحة النفس وأن عالم النفس يتطلب التوازن الذى يزيل العناصر الهدامة فى النفس ذلك أن الخداع والغش يسبب قلقاً نفسياً عظيما فى قرارة النفس لا يمكن محو ما ارتكبه الإنسان من أخطاء .

ولكن الإسلام يقرر أن المخطىء يستطيع أن يفتح صفحة جديدة وأن يطوى هذه الصفحة دون أن يصبه منها أثراً فيما بعد سواء من ناحية تبكيت النفس أو الجزاء الأخروى إذا ما صمم أن لا يقارف هذه المعصية مرة أخرى وهو ما يسمى فى الإسلام التوبة إلى الله وتطهير النفس من الإثم والفاحشة وأن فكرة التخفيف من عمل الفساد أو الاعتدال فيه هى نظرية ضالة مضلة

ولا يقرها الدين ولا يقرها البحث العلمى الصحيح ، لأن التخفيف ما هى إلا محاولة لحماية الجسم من الأخطار ولكن عملية التوبة الكاملة هى انقطاع وإغلاق لهذا الباب نهائياً والاتجاه إلى التسامى والأعلاء بالعواطف والنفس فى إطار منهج الله تبارك وتعالى والتماس فضله .

وأن تطهير النفس وحماية الجسد هو الأساس الحقيقى لبناء العقل والروح وبدونه يكون البناء ناقصا ومنهاراً .

وهناك ممنوعات رئيسية لا سبيل إلى تجاوزها ولا إيجاد تأويل النصوص لتبريرها واباحتها وهى الزنا والميسر والربا والسكر بالخمور والمخدرات وهذه الأمور التى حرمها الإسلام وهى مرزولة أساساً عند كل العقول السليمة والنفوس الكريمة مستقبحة والدليل على ذلك على أنها لا تمارس الا فى الخفاء ، وهى ممنوعة لأنها تهدم الشخصية الانسانية وتورد مقترفها مورد الاضطراب والهلاك .

ولنعلم أن هذه الغرائز التى تعيش فى أعماق الانسان إنما هى قوة سلاح بها الفرد لخيره وخير المجتمع وهى التى تحميه من أخطار الفناء ولكن استعمالها يجب أن يتم تحت رقابة العقل ووقاية الضمير ، فلا تتحول غريزة البحث عن الطعام شرها ، وغريزة الانسان فسقا وعدوانا وغريزة الادخار طمعاً وشحاً وغريزة الظهور والسيطرة خيلاء وكبراً وغريزة الغضب والمقاتلة جنونا وسفكا للدماء وغريزة حب الاستطلاع بحثا دنيئا عن عيوب الناس والمعروف أنه من حق كل إنسان أن يكون حراً فهو حق طبيعى ولكن لكل حق ضوابط وضوابط الحرية أن لا تكون عدوانا على حق الآخرين فإذا اصطدمت الحرية بالحق أو بالخير سواء كان خير الفرد أو خير الأسرة أو خير المجتمع فإن الحرية الفردية يجب أن تتأقلم وتتقيد فى حدود الحق والخير .

والواقع أنه ليست هناك حرية مطلقة فإن الحرية هى فهم الضروريات والتحكم فى الأسباب .

ولقد اعترف الاسلام بالشهوات والرغبات على أنها أمراً واقعاً بالنسبة للبشر ، ولكنه عمد إلى تهذيب مداخل هذه الشهوات ومخارجها فوقف بها عند الحد الذى لا يؤذى الفرد كفرد أو المجتمع كمجتمع وأباح قسطاً معقولا من المتاع فى إطار الشرعية والأخلاقيه .

وأنه ليس للفرد فى الواقع حقوقاً مستمدة من ذاته وإنما هى مستمدة من شرعة الله تبارك وتعالى الذى أنشأ هذا الحق ومنحه الفرد أو الجماعة وأنه لا اعتبار الحق لم يقره الشرع عن طريق النصوص أو القواعد العامة أى عن طريق مصادر الشريعة .

ويرى الباحثون أن الحرية فى مفهومها الصحيح ليست إلا مظهراً لانسانية الفرد وشخصيته وكيانه المستقل فى الجماعة الأمر الذى ينفى كونه آلة اجتماعية مسخرة أو اعتباره مجرد عنصر تكوينى واستقلال الفرد ليس تاماً لابد أن الفرد مرتبط بالجماعة ارتباط تكامل وفى دائرة البر والخير شراك تعاون .

ولا ريب أن حرية الانسان شرطاً أساسى لتنشيط مواهبه وتنمية ملكاته وهى ليست مطلقة بل هى مقيدة بما يحقق الغاية التى شرعت من أجلها

ومن حق الشباب المسلم أن نطالعه على هذه الحقائق ونقدمها له ، فإذا اتبعنا وجهة التغريبين فى حجبها عنه فأننا نكون مقصرين فى آداء حق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وما أعتقد ان الشباب يرحب بأن نحجب عنه وجهات النظر المختلفة حول قضية الحرية والتصرف فى العلاقات الاجتماعية أو أن نخدعه بعبارات براقة كتلك التى يطلقها توفيق الحكيم

أو إحسان عبد القدوس أو زكى نجيب محمود فى دعوتهم المسمومة إلى تقديم أبعاد المسائل إلى الشباب بما يطلقون عليه الترشيد أو التوجيه ذلك لأننا وقد عجزت أجهزة المدرسة والبيت — فى الأغلب — عن توجيه واطلاع، على الحقائق أو تقديم النموذج الكريم له والقدوة، التى يستطاع اليها فى محيط الأسرة عن طريق (الأب) وفى المدرسة عن طريق (المعلم) فإن الثقافة الاسلامية لا تستطيع أن تقصر عن أداء هذه الفريضة الضائعة ، داعية الشباب المسلم المثقف إلى تكوين نفسه فى إطار الاسلام وعلى هدى القرآن وفى ضوء هذه الحقائق التى قدمها الباحثون فى الشرق والغرب ، وأننا حين ندفع شبابنا المسلم إلى الترشيد انما نحرص على أن لا يذل أو يدمر — ومن حقهم هم أن يصنعوا ما يشاءون بشبابهم أو أتباعهم — وأننا نحاول أن ندفعه الى الوجهة الصحيحة مبكراً قبل أن تلتقفه هذه المغريات المضلة أو النذوات المذلة . وليس فى هذا الترشيد ما يفرض وصاية أو يلزم أحداً بأسلوب معين وانما هى محاولة لاضاءة الطريق أمامه ليشكل الوضع الخارجى والداخلى فى اطار العصر وفى ضوء الاسلام .

ولنذكر دوماً أن بروتوكولات صهيون تقول :

« أن الشباب قد انتابه الخبال لانغماسه المبكر فى الفسق الذى دفعه اليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتى يعملن فى بيوت الأثرياء والموظفين والنساء اللاتى يعملن فى أماكن اللهو وفساد المجتمع المزعومات اللواتى يقلدنهن فى العشق والترف »

الفصل الثاني

الجريمة والجنس

لا ريب أن من أخطر التحديات التي تواجه الشباب المسلم المعاصر : الجريمة والجنس فإنهما فرسا رهان الأفلام السينمائية والقصص والمسرحيات ، وهما عاملان خطران تستهدف القوى العالمية المسيطرة على وسائل الثقافة والتسلية والصحافة أن تتخذهما وسيلة لدفع الأجيال الشابة عن الأصالة والقوة والارادة المؤمنة وقد طرحت هذه السموم في أفق الإسلام عن طريق أدواتها وأجهزتها المبثوثة في كل مكان : وقد أشار الدكتور أحمد محمد خليفة أستاذ علم الإجرام في كلية الحقوق الى هذه الظاهرة فقال : أن ضغط الاغراء الجنسي ومؤثراته على الشباب في الوقت الحاضر ومنها مظاهر التبرج التي جعلت النساء يكشفن أكثر مما يخفين والأشرطة السينمائية ولون معين من الصحف والمجلات وقصص المتعة ودعوة الانطلاق والتحلل والرضاء الجسدي : هذه الدوامة الهائلة التي تقدمها الحضارة الحديثه . تفقد الشباب توازنه وتبلد تفكيره مما يعجزه عن العمل ويقعده عن الانتاج . وفي البلد أندية وحانات فيها من السكر والقمار والدعارة فتلك الأماكن مغارس للجرائم .

ويقول الدكتور خليفة أن مرض الأنفس هو المرض الدائم ، هو مرض الوطن فإذا عولج سهر الاستعمار لتكوين كياننا النفسي في مجتمعنا العصري على أساس يضمن له استمرار ضعفنا وقد رسم لمدارسنا المناهج والتقاليد التي اقتصر فيها على التعليم الشكلي دون التوجيه النفسي وذلك حرص الاستعمار على ايقاظ شهوات الناس . وقد أصبحت الصحافة صناعة

تجارية تستلهم أهواء الجماهير وشهواتهم بما تقدمه لهم فنشأ مجتمع الملاهى والسينما الماجنة وتمجيد لاعبيها وقد قلدت السينما الصحافة فى استلهام أهواء الجماهير وقد تبين أن عدداً كبيرا من الشباب قد قام باقتراف عدد من الجرائم تحت تأثير الأفلام السينمائية فى الجريمة والرعب وقد صاحب ذلك نظريات زائفة نشرها بعض الباحثين والمفكرين الغربيين وهى تحاول أن تصور المجرم لا على أنه مجرم مسئول بل على أنه مريض أورد نسبه الجريمة إلى الوراثة أو الوسط من تلك المحاولات التى ترمى إلى تبرير الفساد ومعارضة مفهوم الدين فى شأن الجريمة والمجرم .

وقد استشرت فى السنوات الأخيرة حوادث خطف البنات : نتيجة إدمان الشباب على مشاهدة هذه الأفلام ، يقول دكتور عاطف وصفى أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة أنه تحت تأثير عوامل مختلفة يتأثر بها نمط معين من الشخصية تتسم بالتهور والجرأة وحب المغامرة يتصور الشباب أن خطف فتاة والإعتداء عليها ليس جريمة ويقول أن ذلك جاء تحت تأثير إستمرار ظاهرة أفلام الجريمة والجنس حتى خيل للشباب « شرعية » هذه الظاهرة فى المجتمع ، ومع فقدان روح الفهم للدين والأخلاق والضوابط بين الجنسين والقيم الإجتماعية الأساسية .

ولقد كشف كثير من الباحثين الإجتماعيين عن مدى خطر أفلام العنف (الكاراتيه والوسترن) وإنها تدفع النشىء الشباب إلى تقمص الروح الشريرة فيصبحوا مقلدين لذلك وتلك من الذين يشاهدونهم على الشاشة الفضية أو البلورية .

ولا ريب أن أفلام الجنس والإباحة والمخدرات والسرقات هى دعوة مباشرة أو غير مباشرة للاباحة والفساد .

والمعروف أن الهدف من وراء تلك الأفلام إفساد خلق الشباب وصرفه عن مساره الطبيعي بنشر الرزيلة والدعارة ولا ريب أن هناك مفهوماً للجريمة في الإسلام يختلف عن مفهومها في الفكر الغربي فالإسلام لا يقر نظرية لمبروزوا التي تقول بأن الإجرام صفات وراثية أو أنه خلل في الغدد وأنه من أجل ذلك لا مسئولية على المجرم . ولقد تبين أن ما نسميه غرائز إنما هي ميول لدنة يمكن توجيهها إلى أي ناحية وأن تسعة وتسعين في المائة مما نسميه غرائز إنما هي إتجاهات اجتماعية قد غرسها فينا المجتمع برجوع انعكاسية .

فالمجرم في الحقيقة إنما يرتكب جريمته بعادات ذهنية وعاطفية واجتماعية وليس بعزيزة موروثه ولاريب أن وازع الدين وحدود الله من شأنها أن تقيم المعوج في تصرفات الإنسان وتحول بينه وبين الجريمة خشية عقوبتها وآثارها على شخصيته في المجتمع .

وكذلك الأمر بالنسبة إلى الجنس فإن إطلاق الأفلام المكشوفة وتكرارها وتعددها إنما يوحي إلى النفس التي ترى ذلك كله متطلقاً ومسموحاً به إلى الاعتقاد بشرعية هذه الأوضاع وإنها طبيعية وليست محظورة وهذا هو الخطر .

وقد استشرى مفهوم الجنس والإباحة الجنسية في المجتمعات الأوربية والقصص والمسرحيات وانتقلت أعاصيره إلى أفق المجتمع الإسلامي .

وقد جرت وراء فكرة اذاعه الجنس محاولات مضللة حطمت أجيالا متعددة ودمرت وجودها وكيانها ولم يتنبه إلى هذا الخطر إلا بعض الآباء والأمهات إلى رفض تعليم أولادهم الجنس في المدارس والعودة إلى الفضيلة والتقاليد والى احترام الفتيات لأنفسهن والبعد عن الموجة الأباحية التي سارت لسنوات طويلة في بلاد الغرب وتقول السيدة المربية مرجريت وايت

وزميلتها جايلت كير أن الرجل مهما كان يفكر ويفضل أن يتزوج من فتاة لم تجعل نفسها في متناول الآخرين وأن القول بأن الموضه هي تعلم الجنس واباحة الحديث عنه واطلاق اسم الواقعية على اسم ذلك الإسلوب هو مجرد هواء ولهو فارغ . وقد طلبت الكاتبتان من كل فتاة رفض دعوة أى رجل يشتم منه رائحة ممارسة حياة الفوضى وطالبا الآباء بأن يعلموا أولادهم منذ الصغر على الحياد في مناقشة الأمور الجنسية والابتعاد عن هذه الموجه المدمرة التي تطالب باسم الموده نشر التعليم الجنسي في المدارس ويعالج كتاب (التعاليم الحقيقية للجنس) مرحلة خطيرة في حياة الفتيات هي مرحلة المراهقة فعندما تبلغ الفتاة من العمر ١٦ عاما ويكون من الصعب عليها اتخاذ قرار حازم تجاه هذه الأمور .

وغالباً ما تجد الفتاة نفسها مضللة وتتحرك وفقاً لعواطفها وليس وفقا لعقلها . وتقول الكاتبة : أن الآباء والأمهات يجب أن يزرعوا فيهم بدلا من الخوف من الجنس ، حب النقاء والطهارة تمهيداً لحياة زوجية نظيفة وعليهم أن يقنعوهم بان التحرر من القيم والأخلاق لا يمكن أن يجعل أيا من الجنسين يثق في الآخر .

وعندما تقع الفتاة في تجربة وتخفى عن والدتها تكون قـــد وقعت وحدها في مشكلة وتجد نفسها تنخرط في حياة تفقد فيها احترامها لنفسها واحترام الآخرين لها .

وقد اكتشفت الدكتوره جرترود أن الكثير من الفتيات كن ضحايا مدارس تعليم الجنس وأصبحن لا يحترمن القيم والتقاليد التي عاشت عليها الأسر العريقة منذ عشرات السنين تحتاج إلى جهد مضاعف لا نقاذ العشرات من آلاف الكتب والمحاضرات والصور والأفلام التي تدفعهن دفعاً وراء عالم يلقى بهن إلى أسفل الحدود ودعت الدكتوره جرترود الى صحوة الآباء

والأمهات للعودة إلى مجتمع القيم والتقاليد ويجب أن لا نظلم الرجل ونقول أنه المسئول عن هذا التدهور فالرجل مهما كان تفكيره ومهما كان متحرراً يفضل في قرارة نفسه أن يتزوج من فتاة ذات قيم ويحترم شخصيتها ولا تلقى بنفسها في وحل الخطيئة .

إن البشرية منذ القدم تقوم على أساس أن الرجل يجد ذاته في إمرأة واحدة أما التعدد فهو ليس من طبع ما توارثته المجتمعات من قيم وتقاليد .

هكذا يواجه المجتمع الغربي ذلك الخطر الذي يسحق مجتمعه سحقاً ، وما أمرنا نحن أن نحذر فلا نقع في هذا الشر المدلهم . وأن نعرف ماوراء هذه المحاولة الخطيرة التي تعمل على تدمير مجتمعاتنا وشبابنا .

(٣)

يقول كارل ياسبرز : « في عالم محروم من الله ظهر ماركس نبياً واتخذ القوالب التي يستطيع العالم أن يقنع بها وأن يهلل لها وكان طبيعياً أن تسيطر على النفوس أساليب فرويد ومدرسته في منهج مهزوز في عالمنا المقلوب . هذا وقد أحس الناس بحاجة شديدة إلى التحرر وجاء التحلل النفسي فزودهم بهذا الوهم . إننا هنا بصدد عملية جبارة من عمليات الاستهواء الذاتي الذي هو نتاج صادق لهذا العصر المفتون والذي يسير جنباً إلى جنب مع أساليب السحر والتعاويذ التي استولت على عقول الناس » .

لقد كان فرويد هو الذي ابتدع ذلك المفهوم الزائف الذي سيطر على القصة والمسرح والسينما والأدب العربي جميعاً حين أعلن أن الجنس هو وحده الذي يفسر تصرفات الناس . وهو مفهوم لم يقر به علماء النفس وعارضوه وكشفوا زيفه وأعلنوا أنه واحد من عدة عوامل .

وقد عملت "اليهودية" العالمية كل ما في وسعها لبث هذه المبادىء وفق

خطة لتحطيم المجتمعات الإنسانية وتدمير القيم الدينية والخلقية وإفساد العالم وبعثرة قواه وتضعيف مقوماته وتشكيله فى خصائصه .

وإشاعة الإضطراب فيه ودفعه فى أحضان الرذيلة وقذفه فى بؤرة الانحلال .

ومع الزمن أعلى الأعلام الصهيونى مفاهيم فرويد واستعملها فى غاياته الخطيرة وفرضها فى مناهج الدراسة بالجامعات فى مختلف أنحاء العالم كله بما فيه العالم الإسلامى نفسه ومع الزمن اكتشف علماء النفس زيف مفاهيم فرويد وجاءت التطبيقات الإحصائية تؤيد أنها معارضة للفطرة وطبائع النفوس

وقد جاءت واحدة من هذه تزيف نظرية فرويد التى تقول أن الفتاة تحب أمها وتكره أباها وقد أجريت التجربة العلميه فى خلال لوحات ثمانمائة طفل من أعمار تتراوح ما بين السادسة والخامسة عشره لموضوع الأسرة ، ظهر أن الأطفال من الجنسين يرتبطون بالأم إرتباطاً كاملا لهذا تظهر صورة الأم فى رسومهم مكبرة دائماً عند الصبيان بنسبة (٣١ فى المائة) وعند البنات (٥٢ فى المائة) ويعنى هذا أن ارتباط الطفل بشكل عام بوالديه فى هذه المرحلة يحدث بنسبة متقاربة وهذا يخالف نظرية فرويد التى ترجح ارتباط الإبن بأمه وكراهيته لأبيه .

كذلك زيفت دراسات العلماء نظريات الكبت وفساد رأيه فى أن إعلاء الرغبات يؤدى إلى العصاب فقد كشفت الأبحاث أن الإنسان قادر على تأجيل رغباته النفسية واعلائها دون أن يصاب بأذى .

وتبين من عديد من الأبحاث بظاهرة الانهزامية الواضحة فى الفكر اليهودى كله وفى مجال الاقتصاد والاجتماع ، وخاصه فى الفرويدية .

وأن محاولة اليهودية إطلاق عبارة (حيوانية الإنسان) إنما تهدف تحقير البشرية وهى دعوة بدأت مع تفسيراتهم لنظرية دارون وامتدت فى الماركسية والفرويدية وهى نظرية تستمد أصولها من فهم اليهودية للعالم بأنه (جوييم) وأنه قطيع مسخر مشياح للجنس المختار.

ولا ريب أن مفهوم الإسلام للجنس واضح واصل فالجنس فى الإنسان فطرة وغريزه تولد مع الإنسان وتنمو معه ويتصل وجودها بوجوده ويمكن أن تكون شراً إذا فارقها عن غير طريقها الطبيعى والصحيح الذى حددته الأديان ووضعت ضوابطه.

وقد كشفت الأبحاث الحديثة عن سلامة مفهوم الإسلام الجامع وفساد مفهوم الجنس عن فرويد. أن الدين هو العلاج الوحيد للاضطرابات النفسية ويقول استيكل إن المرض النفسى ذا صلة كبيرة بالضمير أو بالذات الاخلاقية، ويحدث القلق الذى سيؤدى إلى الاضطراب عندما يقوم الفرد بأعمال كان يتمنى ألا يقوم بها.

وأن هناك علاقة بين المرض النفسى وعذاب الضمير، وإنهما شيئان مرتبطان متلازمان يسيران جنباً إلى جنب، وأن الألم قد يكون له تأثير ضار مدمر للشخصية عندما يشعر به الإنسان ولا يستطيع أن يعبر عنه أو يصححه وإن الدين من العوامل المعينة للإنسان للتغلب على المؤثرات والصراعات التى يتعرض لها وقد ساعد الأفراد على مر العصور على مواجهة قوى الظلم والإستعباد.

والمفهوم الجديد للمرض النفسى لا تقوم على أساس الكشف عن النزاعات اللاشعورية ومساعدة الفرد على إشباعها أو الشعور بها بل مساعدة الفرد على أن يسترخى ويهدأ ثم يتراجع، والوسيلة فى ذلك مساعدة الفرد

يعمل على إرضاء الله تبارك وتعالى وأن هذا السلوك الروحى من شأنه أن يعيد إلى النفس طمأنينتها وإلى الشخصية تكاملها . أن ملاءمة الذات عملية يستطيع أن يقوم بها المعلم ورجل الدين والموجه النفسى والآباء والأمهات.

والتفسير الدينى للمرض النفسى يترتب عليه نظرية علاجية تعتمد اعتماداً كبيراً على الدين لأن الدين هو الطريق الى العقل والطريق الى القلب أن الدين يحدث نوعا من غسيل المخ للفرد . والدين هو الطريق الى بقاء ودوام القيم الإنسانية التى تعتبر إطارا أساسياً لسلوك الفـــرد وتصرفاته وأسلوب حياته .

وهكذا نجد أن فكرة فرويد تنهدم على الايام وأن البشرية تحاول العودة الى مفهوم الدين الحق .

الحب الحرام

تعمل أجهزة التليفزيون والراديو والسينما والمسرح عن طريق الاغنية والمسرحية والرواية على التحريض على الحب الحرام وان كلمة (حب) التى تتردد فى هذه الاجهزة عشرات المرات كل يوم لا تعنى ألا مفهوماً واحداً هو مفهوم الجنس والتحريض على اقامة علاقات غير شرعية بين الرجل المرأه أو الفتى والفتاة وفى ذلك من الخطر مافيه . ذلك ان هذا الركام الخطير يحاول أن يقدم للشباب المسلم مفهوما زائفا عن الصلات الطبيعية والشرعية بين الرجل والمرأة وأنه يفسر هذا المفهوم الكريم الذى يقوم عليه الزواج وتوحى بان الشباب يستطيع أن يحقق رغباته دون حاجة الى سلوك الطريق الصحيح أن الروايات والاغانى جميعاً تطرح مفاهيم مسحوق من شأنها أن تضرب كل القيم الاساسية للمجتمعات وأنها تحطم كل الضوابط التى بها تقوم أمور الحياة والعمل .

وأبرز ما تقوم به هذه المحاولات إفساد كلمة الحب بمعناها الصحيح : حب الآباء والأبناء والأخوة والحب للصديق والزميل . فالحب فى معدنه الأصلى هو مجمع الفضائل الإنسانيه : وإليه ترجع الأبوة والأخوة والنبوة والامومه والصداقة ولكن هل هـذا هو الحب الذى نعلمه لشبابنا إذاعياً وتليفزيونياً ..

يقول الاستاذ حافظ محمود الذى أثار هذا التساؤل : إننا حينما نثبت فى أذهان الناشئة أن (الحب) هو الشغل الشاغل للفتيات والفتيان فليس شك أننا بهذا اللون من التوجيه غير المباشر إنما نقدم لهم دعوة ضمنية بعدم احترام أوقات العمل أو التعليم .

ويقول حافظ محمود : إنى أريد أن أقول لمؤلفى وناشرى الاغانى أن (الحب) هذا الذى لا وصف له إلا الهمس واللمس والعتاب على الخيانة فى هذه الاغانى ! معناها أن فتاة أو أمرأة تفخر بعواطفها فتستبدل فتى بفتى أو رجلا برجل لاسباب لا علاقة لها بالعاطفه وهكذا تهدد الاغانى كرامة الحب وتصوره بصوره التجارة بالعواطف كذلك فان التمثيليات فى التلفزيون أو الراديو التى لا يمكن حجبها عن الصغيرات والصغار من المشاهد أو الاستماع ، تقدم أساليب خطيرة للفساد والجريمة والافلات وطرق اللقاء بين الجنسين أو التكلم تليفونياً بعد أن ينام الكبار ، ولا ريب أن هناك كلمات كثيرة تلقى فى هذه التمثيليات تترك آثارها العميقة فى عقول الشباب وقلوبهم . وهى فى مجموعها تحقر العلاقات الإجتماعية بين الآباء والامهات وبين الازواج والزوجات وتكون عاملا خطيراً فى فساد الزيجات والعلاقات وليس من الإمكان أن تعالج مثل هذه المسرحيات العابثة والقائمه على الاهواء لحل مشاكل المجتمعات وليس أخطر من أن تقدم مسرحية مليئة بالعبث والفساد ثم تأتى خاتمتها بعد ساعات لكى تكون النهاية هى الطلاق أو القتل

فإن هذه النهاية مهما كانت حكيمة فإنها سوف لا تترك فى النفس مثل الأثر الخطير الذى تركه الاستعراض الطويل للعلاقات الفاسدة .

يقول حافظ محمود : كم مرة تتكرر كلمة (أحبك) من شاب طائش لفتاة غريرة كم مرة تتكرر هذه الكلمة من أمرأة أو من رجل فى مشاهد التمثيليات وما هو الجو الذى تلق فيه هذه العبارة . إنه جو هروب من البيت أو المدرسة أو العمل أو هروب من الواجب نفسه ، جو خداع متبادل أو من أحد الطرفين للاخر ، جو يوحى للمراهقين والمراهقات أن عليهم أن يحطموا كل القيم فى سبيل كلمة (أحبك) أنه من المكروه والمرذول هو الصورة التى تعطى للناشئة فى هذه التمثيليات خاصة وأن هذه الصورة تعتمد دائماً على كلمة تقليدية رخيصة جداً هى أن الحب ليس حراما ، أى حب هذا الذى ليس حراماً ، أليس حراماً أن يخلوا إثنان من المراهقين أو غير المراهقين بعيداً عن الأعين . وكانا نعرف معنى الخلوة فى مراجع الشريعة والقانون ولكن الحرام هذا يقع على صاحب التمثيلية أو الأغنية أنه شريك بالتحريض فى كل جريمة تقع بسبب أوهام الحب عند الناشئين . بل أن أكثر من هذا يقدم مبرراً فكرياً للفتية الطائشين الذين يقفون فى نواصى الطرق التى تؤدى إلى مدارس البنات فى محاولات متكرره لإغراء هؤلاء البنات ،

وأنه لمن المؤسف تماماً أن تكون مشاهد التمثيليات المذاعة والمرئية لقد استغلت كثيراً كلمة « الحب » ، وأصبحت ممتهنة لا تصور إلا حب المضاجع والسهرات الحمراء وليست هى تلك العاطفة الكريمة وليس من شأن الفنون أن تحطم العواطف والقيم والأخلاق ولكن على الفن أن يتحرك فى إطار الفضائل ، ويكون تصعيداً لغرائز الإنسان واعلاء لطبائعه .

ولقد وقف الإسلام موقفاً صريحاً فى الدعوة إلى العفه وإلى توجيه العاطفة إلى الزواج دون أن يترك تلك الفجوة التى من شأنها أن تفسح

الطريق للنزوات والفساد ، وأن تكون علاقة الشباب بالفتيات علاقة شبيهة بالعلاقة مع الأخوات الشقيقات إيماناً بأن إنساناً لا يقبل للناس ما لا يقبل لأهله . وأساس العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام هي التعفف والحذر من العلاقات غير المشروعة وأوجب على مرتكبيها اقسى الحدود وحببه الزواج ويسر أسبابه « قد أفلح المؤمنون الذين هم لفروجهم حافظون » وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واضح وصريح « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فأن له وجاء » .

وعلى الشباب المسلم المثقف أن يفرق بين العاطفة وبين الشهوة وأن يعرف أن هذه العاطفة هي منطلق العلاقة الطبيعية التي شرعها الحق تبارك وتعالى لتلاقي الرجل والمرأة في أسرة رشيدة تبني وتشيد وتعمر الكون وأن يعتصم الشباب بربهم في الإعلاء وأن يوجهوا عاطفتهم إلى العمل النافع الذي يمكنهم من الحصول على رغبتهم من الطريق السوي : طريق الزواج المشروع .

وعلى الشباب المسلم المثقف أن يعرف أن الاتصال بين الرجل والمرأة شيء غريزي ولكن الإسلام هو الذي نظم الحياة ووضع ضوابطه وقوانينه وحدوده حتى لا يقع الجنسين أو أحدهما في الإغتصاب أو الفساد للسلالات وحتى يحتفظ المرأة بكرامتها وحتى لا يستطيع الرجل أن يخدعها أو يأخذ حقها أو شرفها ولذلك حدد العلاقة بين الناس باعطاء الحرية إلى الحدود التي لا تحقق عدواناً على الآخرين .

وقد جاء تحريم الزنا احتراما للمرأة وتنزيها لها عن العبث وارتفاعا بها أن تكون أداة متعة الرجل وحتى لا ينسب الطفل لغير من أنجبه وقد كان لتحريم الزنا وعقوبة الرجم أكبر الأثر في القضاء على هذه الجريمة ذلك أن عقوبة الرجم لم تطبق في التاريخ إلا على آحاد .

ولا ريب أن قيام المجتمع الإسلامى بإعداد الضوابط من شأنه أن يحمى هذا المجتمع من آثار الإباحية التى تدفع إلى الاختلاط والفاحشة .

إن هذه الأفكار المسمومة التى يطرحها دى سيمون بوفوار وفرانسو ساجان وما يمتلىء به القصص الجنسية من كلمات ومفاهيم إنما هى « أهواء » ضاله حاولت أن تتمثل فى صور فنية براقة لا ينخدع بها المسلم المثقف الذى يعرف مداخل الأمور ومخارجها

وقاعدة الإسلام الأساسية هى العفاف والاتصال فى الإطار الذى شرعته الأديان . فالمرأة هى الأم والأخت والابنة وما يتجنبه الفرد لنفسه أذاء أى إمرأة يمكن أن يكون نفس مصير أهله وبناته . وقد أحاط الإسلام هذه العلاقة بكثير من الضوابط التى يحميها من الفساد والاطراب وتحركها فى إطار العفاف والكرامة وصيانة العرض وحماية الحدود وتكريماً للعلاقة التى بين الزوجين .

ومن أجل ذلك حرم الإسلام الموسيقى والأغانى التى تثير الغرائز ، وحرم ارتياد حفلات الرقص وكل ما يثير الغرائز والأندية العامة وكره للمسلمين معطيات الحضارة من الخمر والكشف والاختلاط وأدوات منع الحمل والإجهاض لأنها كلها من العوامل التى تفسر العلاقات بين الرجل والمرأة ودعا بالجملة إلى تبرير الغرائز وليس إلى إهاجتها وإثارتها .

الفصل الثالث

الفـن

يقوم المفهوم الاسلامى للفن على استحالة التناقض مع الفطرة فإذا كانت الفنون من روح الفطرة وجب ألا تخالف أو تناقض دين الفطرة : دين الاسلام فى شىء فإذا خالفته فى أصوله ودعت صراحة أو ضمنا إلى رزيلة من أمهات الرزائل التى جاء الدين لمحاربتها وعاقت الإنسان عن أن يعمل بالفضائل التى جاء الدين لإيجابها على الإنسان حتى يبلغ ما قدر له من الرقى فى النفس والروح ، إذا خالفت الفنون الدين فى شىء من هذا أو فى شىء غير هذا فهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الحق وأخطأت الفطرة التى فطر عليها الناس والخلق (محمد أحمد الغمراوى).

ومفهوم الفن فى الإسلام يقوم على أساس أنه عنصر من عناصر الفكر يتكامل مع الأدب والاجتماع والاخلاق والدين والحضارة ، وهو فى الإسلام له طابعه الأصيل الواضح المباين لمفهوم الفن فى الثقافات والحضارات الأخرى ، وقوامة الاخلاق وطابعه التوحيد ، يتسامى بالغرائز ويرتفع بالنفس بالنفس الإنسانية إلى الكمال دون أن يبعد عن الواقع والفن فى نظر الإسلام أداة تجميل ووسيلة الاسعاد الروحى والنفسى بتحرير الإنسان من عالم الاهواء والغرائز وأطلاقه فى نظرة حره إلى الكون والوجود يعرف فيها قدرة الله وعظمته ويزداد بها إيمانا .

وقد كان الفن اليونانى بطابعه المادى الوثنى يجعل الاولوية للتماثيل المجسمة ، إعجابا بالاجساد وعبادة تصور الجمال ومظاهر القوة ولكن الفن الاسلامى مستمدا من مقوماته الأساسية يجعل البيان والشعر والأدب

فى مقدمة قائمة الفنون ، الكلمة البليغة والفكرة الموحية ، وذلك انتقالا من عالم المادة إلى عالم الفكر ، فالتأمل أوسع العوالم ، والفكر فى خلق الله أعظم معطيات العقل والروح : (نون والقلم وما يسطرون) وبتلك أصبح رائد الفن : البيان الذى يتمثل فى أسمى صوره بالقرآن الكريم وبذلك رفع الإسلام الفكر البشرى إلى الأمام انتقالا من مفهوم الماديات فى الفن إلى مفهوم المعنويات ، وسلك المعنويات والماديات فى إطار جامع متكامل ، وبذلك فقد حرر البشرية من مفهوم المادية الخالصة التى تقدس الجسد والشهوات والغرائز والوثنيات وتقيم لها المهرجانات والطقوس . ودفع البشرية إلى الانتقال من تجسيد البطولة فى صورة مادية إلى تكريم عمل الإنسان نفسه .

وأبرز سمات الفن فى الفكر الغربى لاتجد فى مجال الفكر الإسلامى مجالا لها :

(أولا) المسلم لايعبد الجسد الجميل عبادة وثنية بحيث يقدم له القرابين وكل مايتصل بذلك من أساطير الحب والجمال عند الإغريق وهى حافلة بالمباذل لا تجد فى أفق المجتمع الإسلامى قبولا .

(ثانياً) الإسلام لايقر الصراع بين الآلهة والإنسان أو بين القدر والإنسان ، على النحو الذى يقوم عليه الفن الغربى ولا يؤمن المسلم بأن الإنسان يثبت ذاته بمصارعة القدر والآلهة ولا بأن البطل الصالح يتحطم على يد القدر والآلهة وكل هذه المعانى المأساوية مستمدة من فكرة « الخطيئة الأصلية » .

(ثالثاً) المسلم لايؤمن بتعدد الآلهة ولا تجسيد الآلهة فى صورة وثن حسى

ملموس كالتماثيل العديدة فى العقائد الغربية . فى ذلك الخلط العجيب بين المسيحية والجاهلية .

رابعاً : المسلم لايؤمن بعبادة الطبيعة أو المحسوسات .

ومن هنا فإن مفهوم الفن فى الإسلام محرر من كثير من هذه القيم التى يقوم عليها الفن الغربى والتى تتعارض أساساً مع الإيمان بالله الواحد .

٢ — كذلك فإن الإسلام لايقر تجسيد البطولة فى صورة مادية ، ليس فقط حفاظاً على مفهوم التوحيد من خطر الاتصال بالتماثيل والأصنام التى كانت تمثل عبادات ماقبل الإسلام ، ولكنه ارتفاعاً بالنفس الإنسانية من أن تتمثل فى مفهوم مادى ، بينما جاء الإسلام محرراً به للبشرية من التجزئة بين الماديات والمعنويات . والفنان المسلم له طابعه المبدع متحرراً من الخضوع للمذاهب الوثنية التى تقول بتقليد الطبيعة أو التفوق عليها ولذلك فهو قد طرق آفاقاً أخرى غير هذه الآفاق ، فى التعبير عن المعانى فأوجد أنواعاً من الخطوط والدوائر والزخارف والوحدات المتشابكة والمتداخلة .

وقد أبدع الفن الإسلامى فى مجال رسوم الحيوان والطير ، وتصوير الأحياء ، وغزا الفنان المسلم جميع فروع الفن الإسلامى من مخطوطات وأخشاب وعمارة وزجاج ومعادن وعاج وزخرف ومنسوجات كما زينوا كتب العلم والأدب والدين والتاريخ بصور تفسر بعض ماتتضمنه من بحوث وإحداث . وقد خلق الفنان المسلم من الحروف العربية ذات الأشكال المتباينة والأوضاع المختلفة طرازاً زخرفياً يتمثل فيه الجمال والقوة ، وإقامة فن « الرقش » أو الأرابسك على وحدات متناسقة على نحو غاية فى البهجة والرونق الجميل .

وهكذا خلق الفن الإسلامى مذهباً جديداً مستمداً من خصائص الإسلام فكان فناً منطلقا وتجريدياً مميزاً وليس جامداً ، وأن المرقشة فى الفن الإسلامى حيث لا مبدأ لها ولا منتهى ، إنما تتمثل مفهوماً من مفاهيم التوحيد لأنها تسمى وراء الله الذى هو الأول والآخر ومنه تنتهى الأسباب وإليه تنتهى المسببات والرقش حين يمتد بلا نهاية ، إنما يسمى وراء الصورة المثلى ، وهذه اللانهائية إنما تحمل دلالات هامة للروح الإسلامية التى آمنت بالله غير المنظور وغير المحدود ، فالله بهذا هو المثل الأعلى لمفاهيم الخير والحق والجمال وإليه اتجهت قلوب المؤمنين لترتفع إلى مستوى هذا المثل الأعلى عن طريق العمل الصالح أو طريق الاجتهاد والإبداع (بتصرف عن بشر فارس ومحمد عبد العزيز مرزوق) .

وينطلق الفن الإسلامى من مفهوم الفكر الإسلامى الذى « يرتكز إلى حد بعيد على القاعدة والعقل ويبتعد عن الهوى والأسطورة والارتجال» ولقد كان قبول الفن الإسلامى لنظام التوحيد مصدر المحافظة على الوحدة والمكانة والشخصية وبقيت بذلك الروح الإسلامية هى المنبع الأساسى للمصادر الجمالية والدلالات العميقة للمشاعر المبدعة .

٣ — وقد شهد جوستاف لوبون وبرجسون وهاملتون جيب على أن الفن الإسلامى يحمل شخصية مستقلة متماسكة جديرة بالإعجاب ، وأن الحد الذى وقف عنده الفن الإسلامى فى إبراز عملية الخلق هو حد « الإسلام » الذى جاء على مبدأ التوحيد ولذلك فهو يرفض كل شريك لله فى قدرته الخالقة .

وقد أشار الباحثون إلى أن الخط فى الفن الإسلامى كالكلمة فى الشعر تسير وفق تأثير داخلى من الرسام فكما أن الشعر يستعمل الكلمة حسب وزن الشعر وقافيته ، كذلك الرسام المسلم يكيف الشكل وفق صيغة موزونه موفقة

وبخطوط لينة منسابة بانتظام تشكل تناظراً مضطرداً بحركة دائمة لاتقف عن حد . واللون فى الفن الإسلامى مرتبط بروح الأمة وبمناخ الحياة التى تعيشها .

(٢)

يتميز الذوق بعدة ملامح لها أثرها فى الفن الاسلامى :

المسلمون لم يخلقوا من الحجارة ماخلقته الامم الأخرى من فراعنة ورومان من تماثيل وهياكل واوابد الحضارة الاسلامى لم تسجل بالصخور بل بالأعمال الحية . كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز : يستأذنه فى أن يبنى لمدينته سوراً فقال عمر : حصن مدينتك بالعدل ، وتتمثل الهياكل الرومانية والأهرام، فى ظل مفهوم العبودية المرير الذى تحطمت فيه مناكب البشر تحت أثقال الصخور . ولذلك فإن العرب أخذاً من هذا المفهوم لم يتعلقوا بالآثار الضخمة وإنما تعلموا بالأطلال التى تحمل ريح الأحباب، وفن العمارة الاسلامى لم يتميز بالجمال والرقة ، والذوق العربى ـ لم يتعلق بالتصوير كفن من الفنون الجميلة، لأن الروح العربيه (العميق الاستمداد من الحنيفية الابراهمية إلى الإسلام فى عصر محمد) لاتميل إليه كفن يمسخ الأشكال الحيه الجميله بحيويتها ويحيلها إلى صور جامدة . وإن الفن الذى تعلق به العرب هو « الشعر » لأنه أرضى نزعتهم فى الحيوية والاستثارة والموسيقى امتداد للشعر . وحضارة المسلمين والعرب حضارة أعمال خالدة لا آثار خالدة ، ففنونهم فنون عواطف جياشة لافنون أخيلة جامدة (عبد السلام العجيلى بتصرف) .

٢ — والفن الاسلامى لايهدر كرامة الفرد ولا يهدر حق الجماعة ، ومن النقوش الكثيرة فى الاسلام إذا مانظرت إلى الجزء الصغير وجدت له ذاتيته

ووجوده وحدوده [ولكن في نفس الوقت يمكن أن يكون جزءاً في كل كبير، وذلك أن الاسلام كما يخدم الجماعة يخدم الفرد، ويوجد هذا التناسق في مجتمعنا الحي بين الفردية والجماعية، كما يوجد في الفن بين الجزء الصغير والجزء الكبير احترام الاسلام للفرد واحترام الاسلام للجماعة في القرآن (عبدالعزيز كامل)

(٣)

يرفض الإسلام : النقل المباشر عن الطبيعة وهو ما يطلق عليه في الفن الغربي «المحاكاه» ، فقد قرر الإسلامي وأكد التحريم القاطع للنقل المباشر عن الطبيعة، ذلك النقل الفج الذي يعيد نسخ المخلوقات الحية على سطوح الجدران والمعابد واللوحات . وينبثق هذا التحريم من فكرة (التحرر الوجداني) العميقه الشاملة التي أراد بها الإسلام أن ينقل الإنسان من عصور الوثنية والتعبد للقريب الملاصق إلى سماوات التوحيد الخالص، ولما كان إقفال أي باب أمام قدرات الإنسان التعبيريه في أي مجال من مجالات الحياة كفيل بفتح باب آخر للتعويض عن الباب المسدود فقد وجد الفنان المسلم آفاقا جديدة للفن بعيدة عن ما حرمه الله وقد جاء هذا التحريم لنقل صور الخلائق والوثنيات نقلا مباشرا ساذجا من الطبيعه إلى عالم الفن دون أي قدر من التجريد أو أعادة الصياغة في أمة على اعتاب عصر حضاري - كان يعني إن المسلم سيفتح أبوابا وأبوابا للتعبير عن طاقته الفنية بما ينسجم والصورة الجديدة وفعلا فتح بعض الأبواب فجاءت طرز الخطوط والأشكال التجريدية الهندسة كما جاءت المساجد بقبابها ومنائرها ونظمها العمرانية الرائعة .

أن رفض الفن الإسلامي إذن نظرية المحاكاة أو التقليد (التي هي أساس الفن الاغريقي والغربي) للنقل المباشر من الطبيعة قد فتح الطريق أمام التجريد وإعادة

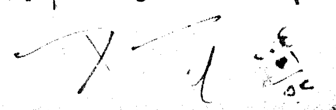
الصياغة ، فالفنان المسلم يحمل موقفا عادلا مزدوجا تجاه قضية الفن والطبيعة لأنها تقوده إلى التقليد والنسخ وتقضى على الإبداع والابتكار ولأنها تخضع عنق الإنسان لقوى الأرض وطينها وتمنعه من التطلع إلى السماء، إلى الآفاق البعيدة ، إلى ماوراء الملموس والمنظور. ولأنها تحيله إلى آلة رصد وتسجيل وتصده عن تفجير إرادته وإبداعه لصياغة مادة الأرض وفق مايطمح ، كما أن هذه النزعة تقوده بالضرورة إلى الإذعان لفكرة أن التخبط فى الوحل والتمرغ فى القمامة والركض وراء نداءات الجنس والطعام هى القضايا الأساسية ربما الوحيدة التى يجب أن يدلى الفن بدلوه فيها .

والفن الإسلامى يؤمن بأنه ليس ثمة عجز فى الطبيعة يكمله الفنان ، وليست الطبيعة إلا واحدة من آيات قدرة الله التى تنبثق فى كل لحظة عن ملايين الصور فهو لايواجهها بالجمود أو يواجهها بالأعجاب بها وإنما يواجهها بالاعتراف بقدرة الله القادر فليست الطبيعة معبود كما هى فى الفن الغربى وليس الفنان بقادر على أن يصنع ومايضاهيها ليس فى تصور المسلم فعل نمائى تقوم به الطبيعة فى ذاتها ولذاتها إذ ليست الطبيعة بكل أشكالها سوى صور من خلق الله وقدرته الفنية المعجزة ومن ثم إن القول بأن الطبيعة عجزت عن الكمال قد توحى بأحد شيئين كلاهما يرفضه تصورنا :

احدهما : أن الطبيعة مستقلة بذاتها عن أى توجيه خلاق خارج نطاق العالم .

ثانيهما : أن الإنسان قد يتفوق أحيانا على الإله الذى خلق طبيعة ناقصة لم يستطع إتمامها فجاء الإنسان لكى يتمها .

كذلك ليس فى التصور الاسلامى عصيانا وتمردا تقوم به الطبيعة ضد خالقها، كل هذه مفاهيم وثنية ومادية غربيه أفسدت مفهوم الفن ، والاسلام منها براء والفنان المسلم لايقول كما كان يقول أرسطو : من شأن الفن أن يصنع ماعجزت



الطبيعة عن تحقيقه : بل يقول مردداً قول القرآن عن صانع الطبيعة الله تبارك وتعالى : (الذى خلق سبع سموات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) .

كذلك فإن فن النحت يحمل أيضاً عدداً من المحاذير التى تقود إلى الوثنية . ذلك أن فلسفة الفن فى الغرب تنطلق من تصور خاطئ لموقف الإنسان فى الكون واصراع معطياته الخلاقة مع خلق الله واعتقاده بأن فى إمكان أعماله الفنية أن تحصل وحدها على الخلود فى عالم فان ، يزول فيه الإنسان والأشياء إن هذه الفلسفة تقودنا هى الأخرى إلى الوثنية بطرفيها : (التعدد) الذى هو ضد التوحيد المطلق والإذعان لقيم وضعية عن طريق التشبث بها [علها تمنح الإنسان ، والفنان المسلم يحذر أن يخطر له يوماً خاطرة أنه فى معطياته الفنية إنما ينافس خلق الله أو أن يسعى جاهداً لإكمال النقائص التى تستطيع الآلهة إتمامها ، كما توهم بعض الغربيين ، وكأنهم بهذا يحملون حسا وتصورا طفوليين يعود بنا إلى عصور البشرية الأولى .

فالفنان المسلم لا يتجاوز طريقه المستقيم وليس فى عمله رفض وعداء للطبيعة أو محاولة للتفوق عليها وعلى صانعها وليس له إعجاب بها يتجاوز لحظات الاستغراق والتأمل انتقالا بالخطأ إلى إجلال الطبيعة أو تقديسها وعبادتها (عن دكتور عماد الدين خليل بتصرف) .

(٤)

حظى الخط من عناية الفنان المسلم بنصيب وفير ، وكان للخطاطين مركز ممتاز ، ولقد خلق من تلك الحروف ذات الأشكال المتباينه والأوضاع المختلفة طرازاً زخرفياً تبدو فيه صور من الجمال شتى بعضها يفيض بالقوة

وبعضها يفيض بالرقة والأناقة ، أوحت إليه الحروف العربية برؤوسها وسيقانها وأقواسها ومداتها بعناصر زخرفية ماكان يرسمها حتى تبعث فيه تلك اللذة البريئة التى يحسها الفنان عندما يشاهد آثارها جميعاً .

وقد بلغ فى « الخط + الزخرفة » شأوا بعيدا قل ما يشهد به ، إن كلمة « الأرابسك » علم فى تاريخ الفن على نوع معين من الزخرفة ابتدعه الفنان المسلم ، مجالها رسم الوحدات الزخرفية وتوزيعها والتكيف بينها وتنسيقها ورسم الأزهار والأشجار والأوراق والسيقان والطيور والحيوان .

والبعد عن الطبيعة فى الفن الإسلامى ناشىء من تلك العقيدة التى يؤمن بها كل مسلم أشد الإيمان ، ذلك أن البقاء لله وحده وأن العالم بمن فيه وما فيه مالكه إلى الزوال (كل شىء هالك إلا وجهه) فليس من اللائق ان يخلق رجال الفن بأعمالهم الفنية ما كتب الله عليه الفناء ، وعلى الفنان المسلم ألا يرسم بريشته ما يضاهى به خلق الله (الشخصيات — التماثيل — الطبيعة) كان يرى فى عمله كله أن المخلوقات كلها تستوى لديه : الحيوان والإنسان والنبات والجماد باعتبار أنها لا تثبت على صورة واحدة بل تتغير من حال إلى حال وليس لها جميعاً إلا وجود زائل سائر إلى الفناء أما الخالق وحده فهو الحى الباقى .

٢ — إن الإسلام لم يستخدم الفنون الجميلة فى دعوته كما فعلت الوثنية المسيحية ولم ينكرها كما أنكرتها اليهودية ولكنه أثر فيها ببعض توجيهاته ونظمه (عبد العزيز مرزوق) وهناك قانون الأفقية فى الفن الإسلامى : الذى جعل الفنان المسلم ينفر من الاتجاه الصعودى باستثناء المآذنة التى تشق فى سموقها الأفقية الغالبة فى بناء المسجد ، فحين يخطط زوايا يؤثر المنفرجة ، وحين يبرز استدارات فإنه يطرقها باطار مربع ، وحين يقيم قبابا فإنه يهتم

بتصغير نسبها حتى لا تفسد أفقية البناء بل يوزع تكورها على فصوص أو يقضى عليه بأن يستبدل بها تقاطع العقود أو يهبط به إلى مستوى القبوات .
(محمود عبد العزيز سالم)

٣ — الخصائص الجمالية فى العقد الإسلامى توجد موزعه على جهات أربع ، الخط ، اللون ، النور ، العمق ، الخط تأكيد على معنى الرسم ويمتاز الخط فى الفن الإسلامى بالوضوح والثبات والانتظام والرقش يمتد بلانهاية ساعيا وراء الصوره المثلى مؤكدا على بساطة الوجود داعيا بالحاح الى الله .

٤ — اتجه الفنان المسلم إلى الزخرفة الهندسية : وبعث فيها روحا بدت فى ثوب من الجمال قشيب لم يكن لها قبل الإسلام .

وكان الفنان المسلم يصدر دائما من عقيدة مؤداها : أن الثبات وعدم التغير من صفات الحق وحده دون مخلوقاته التى من شأنها التغير والآية الكريمة (كل شيء هالك إلا وجهه) تكشف عن السر النفسانى الذى تقوم عليه الزخرفة الإسلامية المعروفة باسم الأرابسك : ذلك بأن المسلمين جميعاً يعتقدون بأن البقاء لله وحده وإن العالم بمن فيه ومابه مآله إلى الزوال (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وقد انعكست هذه العقيدة على الفن الاسلامى بأوضح صوره ، إذ كان الفنان المسلم يرى أنه ليس من اللائق أن يخلد شيئا فى هذا العالم الذى كتب عليه الفناء فليست به حاجة إلى تخليد جمال الطبيعة بالنقل عنها نقلا صحيحا مادامت سائرة إلى الزوال . لذلك كان يأخذ من عناصر الطبيعة ما يريد ثم يهذب ماشاءت له ميوله ومواهبه ثم يكون من هذه العناصر المهذبة زخرفة لا تمت إلى الطبيعة بصله قوامها اغصان نباتية متشابكة يتفرع بعضها من بعض وأوراق شجر مختلفة يخرج بعضها من بعض وأزهار وفواكه وحيوانات منشقة قد تتخلل الأغصان .

(٥) مفهوم الإسلام للجمال : أن يكون الجمال معنويا لاماديا، وأن تكون الأخلاقية سابقة على الجمالية فى الحياة . والجمال المعنوى فى مفهوم الإسلام يزيد على جمال اللذة والغريزة ، وهو دعوة إلى كل من يعمل بالأدب أو الفن أن تكون وسيلة تعبيره عاليه ، موحيه ، مرتفعة بالنفس الإنسانية إلى آفاق الخير والايمان . ولذلك فإن الفن الاسلامى يتحرك داخل أطار أخلاق تنسجه القيم المعنوية وتحيطه الضوابط عن أن يحرف، ولذلك فإن الإسلام يقرر التوازن فيه الروحى والمادى ويجعل أولية الخلق على الجمال فالقيم والضوابط مقدمه على النزعة الجمالية الصرفة، حتى يمكن أن يقال أن الثقافة الإسلامية هى ثقافة الفن وهى عكس النزعه الاغريقية ، التى أطلقت الجسد العادى وقدمت الجمال المادى على حساب الخلق ولذلك فالفكر الإسلامى يرفض النزعة الغربية السادية اليوم التى تهدف إلى توجيه الفن إلى إشعال الغرائز الجنسية وذلك بابتكار الألحان المثيرة والرقصات الخليعة المكشوفة . ونرى أن مهمة الفن هو السمو إلى آفاق النفس وأسعاد الإنسان ، بتحريره من أهوائه وغرائزه والفن الصحيح يسمو بالأخلاق كما يهذبها ويصقلها ، ومن الحق أن يقال أن شعوبا اضاعت ذاتيتها وكيانها ومقدراتها لوانها أطلقت الفن من الضوابط الأخلاقية ، وفى مقدمة ذلك اليونان والرومان فإنها عند مافصلت الفن عن الدين والأخلاق تسرب إليها الانحطاط ودب فى جسمها عوامل الفناء ولقد تبين لكل المصلحين أن الفن إذا لم يكبح بلجام الأخلاق يفضى حتما إلى فساد الأخلاق، وأن الفن إذا كانت غايته الفن وحده فإنه يهدم نفسه ويهدم أمته، ومن هنا كان القانون الاخلاقى هو أساس الفن الاسلامى . والالتزام الأخلاقى يفرض أن يكون الأخلاقية مقدمة على الجماليه وأن تكون الجمالية فى إطار الأخلاق ، ذلك لأن قانون الأخلاق هو الديدبان القائم على حراسة المجتمع ويرى الإسلام أن كل العناصر (آدب وشعر وفن ورسم وموسيقى) لابد أن

تتحرك فى إطار العقيدة وفى ضوابط الأخلاق ، وأن مهمة الفن ووظيفته الأصلية هى تهذيب النفوس، ولذلك يجب أن يخضع للغاية العليا من وجوده .

(٦) فى الإسلام كل المعطيات تتحرك فى دائرة الإسلام الثابتة والمرنة فى نفس الوقت والفن واحد من هذه المعطيات يبدأ من نقطة النفع والمصلحة ويتحرك إلى غايته دون أن يكون مطلقا بغير هدف أو هادفا إلى غاية غير الحق والخير .

والإسلام لا يقر هوايات الترف المطلقة ولا الوسائل الدافعة إلى الإباحية والانحلال والفنان الذى لا يتحرك فى أطار الوجهه العامة ، فهو نشاز فى جوقة أمته ، أو هادم لوحدتها أو خارج على حدود مجتمعها أو مفسد لمثلها الأعلى أو مبلبل لخواطرها ، .

والعقلية الإسلامية هى عقلية راشدة تحسن التلمذ على الطبيعة فى تقدير لباب الأشياء ولا تستهويها حياة القشور المزوقة والثرثرة والجدليات ولا الاستعراضات المسرحية والانطلاق وراء النوازع والشهوات أو التحلل من قيود الإجتماع بحجة الحرية الفكرية ، .

والإسلام لا يقر الصور الفنية المنحرفة إلى د ، زلزلة وتفسد عقلية ومشاعر الناس وتأخذهم إلى حياة اللذة والجموح الذى لا تحية الحياة العميلة ، ولا عبرة بتلك العبارات البراقة الخادعة التى ينظمها أولئك التغريبيون من دعاة الفن للفن من أن الفن له مطلق الحرية ، أو أن الفن ليس مصلحا أو أن الفن تنحنى أمامه الحياه فذلك زيف يراد به تقديس الباطل وإعلاء الفاسد ، وما دام الفن ليس منطلقا من الفطرة ، مطيعا للحق والخير فهو باطل وفاسد ، والاسلام لا يقر أطلاق الفن من قيد الاخلاق أو من دائرة الخير والحق ، والفنان ليس مؤهلا

لأن تكون له قداسة من أى نوع ، لا هو ولا الأديب أو الشاعر ، وليس مطلوبا من الأدب أو الفن أن تصور الرذيلة بحيث يغرى بها الذين لم يعرفوها ، وإنما تكون دعوة الفن موازية لدعوة الخير والفضيلة والهدى ، داعية إلى تطهير النفوس وتنقية القلوب وتحرير العقول من أهواء الشهوات والإباحيات والمحرمات .

ونحن نعرف أن الأمم لاتهزم إلا من انحراف فنونها وآدابها وخروجها على الضوابط والقيم ولقد دمرت الفنون المحرمة اليونان والرومان والفرس والفراعنة وكل المجتمعات لأنها خرجت عن الضوابط والحدود التى رسمها لها الدين الحق ، وأن الفن الغربى المادى اليوم ليسير فى نفس الطريق الذى سار فيه الفن الرومانى الوثنى هادما كل القيم متحللا من كل الضوابط قائما على الإباحية والشذوذ والتشاؤم وكلها تصدر عن الفكرة الغربية المضمرة والخطيئة الأولى ، التى لا يعرفها الإسلام ولا يقرها .

وعلى الفنان الحق أن يبحث فى تراث قومه ومجتمعه عن ينابيع وحيه وأن لا يقترض أساطير الآخرين وفلسفاتهم وأوهامهم ، إن الآداب العالمية مليئة بالوثنيات والأساطير والرموز والقضايا الفلسفية التى هى غريبة عن أمتنا وفكرنا ، ولا نفع لنا فيها ، وليكن الفنان على يقين من ضوابط أربعة لابد من حياطتها والحفاظ عليها :

(١) — اليقين باليوم الموعود : يوم الحساب .

(٢) — الخضوع للحق تبارك وتعالى .

(٣) — العمل بما جاء فى القرآن .

(٤) — النظر إلى محمد صلى الله عليه وسلم كنبى بشر اصطفاه الله لتبليغ رسالته وأن يفرق بين الألوهية والنبوة ، وأن يفرق بين النبوة المعصومة

والبشرية التى تخطىء وتصيب والإسلام لا يقر العرى ولا التماثيل العارية ولا يقر الترف ولا استعمال الأوانى الذهبية أو الموسيقى الصاخبة أو الأضواء الكاشفة التى تتمثل فى المهرجانات اللاهية وإنما يعرف البساطة والتواضع والسلام بعيداً عن كل المظاهر البراقة .

ويؤمن الفنان المسلم بأن الفن أداة لغاية الإنسان السامية ، وأنه يسير دوما وفق مجموعه السنن الأخلاقية ، والقيم العليا التى ترفع الإنسان فوق المادية والأهواء والفردية والأنانيــة وفوق اللذات والشهوات العاجلة . والفن بوصفه أداة يجب أن يخدم الغاية الكبرى وأن يسير وفق سنن الله ، غير متحرف لفساد أو متحيز لهوى إيمانا بأن الحياة الدنيا ليست فى ذاتها غاية ولا نهاية .

(٧)

القرآن والفن

يقدر الإسلام الفن الجميل لأنه يقر حق الإنسان فى زينة الحياة الدنيا ومتاعها من غير سرف ووفق ضوابط سمحة ، دون الجمود أو الانحراف ويرتبط الفن فى مفهوم القرآن بالأخلاق والتربيه وإيجابية بناء المجتمع ولذلك فهو يثرى النفس الإنسانية ويتسامى بها محاولا أن يحقق القوة والحركة والتقدم فى الحياة . وتقدير القيم الأساسية : التوحيد والحق والخير والجمال والعدل .

والفنان فى مفهومه الإسلامى ليس بعيداً عن الحب والعاطفه الحسية ولكنه يتمثل ذلك فى إطاره الواسع الرفيع ، فهو يرفض إثارة الطاقة الغريزية الكامنة فى أجواء النفس الإنسانية ولكنه يلطفها ويعليها ويسمو بها ،

ويجعل هذا قاعدته الأساسية فى الرسم والغناء والموسيقى والشعر ، وفق قاعدة التحرر الكامل والانتقاء الواسع بمختلف العواطف والمشاعر ، وضوابطه فيها الأخلاق والدين والكرامة والمروءة والأريحية والتسامى .

وقد عنى القرآن بالفن الجميل ووجه الأنظار إلى مفهوم الجمال والزينة فى المخلوقات ممتزجة فى نفس الوقت بناحية المنفعة ، ولفتة القرآن إلى الفن واضحة وممثلة فى عبارة : « ولكم فيها جمال » ، وقد أباح الإسلام الاستمتاع بالجمال والزينة وضمن دائرة الاعتدال : « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ، « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .

وبذلك دعا القرآن إلى تهذيب الذوق وتربية حاسة الجمال . ودعا إلى التأمل فى مظاهر الجمال ، هذا التأمل الذى ينمى قوة الملاحظة وقوة الفكر وقوة التدبر ، وهى العمد التى يقوم عليها الفن .

وقد تأثرت الفنون الإسلامية بجوهر العقيدة التى رسمها القرآن والسنة ، وكان لهذه المبادىء والأسس أثر كبير فى صياغة الفنون الإسلامية بما ألبسها من شخصية مستقلة إنفردت بها بين الفنون الأخرى ، وانطلاق الفن فى جو الحضارة الإسلامية مستمد من مفهوم الإسلام نفسه الذى لا يجعل مثله الأعلى زهداً فى زينة الحياة أو إسرافاً فى متعة الحياة بغير ما أحل الله .

فقد كان مفهوم الإسلام مطابقاً لفطرة الإنسان ونزعاته وما ركب فيه من غرائز وميول ، فلم يحاول كبتها بل أتاح له فرصة تلبية ما تنطوى عليه النفس البشرية من غرائز وميول مع الاعتدال والتوازن ، وقد تقبل الإسلام مناهج الحياة ومتعها ما دامت لا تتعارض مع أصوله ولا تخرج عن دائرة

الاعتدال والتوازن . وبذلك لم يجد المسلمون فى دينهم ما يحول بينهم وبين الفنون الجميلة .

وقف الإسلام إزاء (الفن) موقفاً مختلفاً عن موقف اليهودية والمسيحية فاليهودية قد عادت عداء سافراً مظاهر الفنون . والمسيحية دعت إلى ترك الدنيا والتجرد منها والانقطاع إلى الآخرة والإقبال عليها ، ويقول محمد عبد العزيز مرزوق أن المسيحية لم تبدع فناً جميلا وعندما ثبتت أصولها واعترفت الدولة الرومانية بها استعانت بالفن الرومانى فى نشر عقائدها ، أما الإسلام فلم ينكر الفنون الجميلة كما أنكرتها اليهودية ولم يستند إليها فى نشر دعوته كما استخدمتها المسيحية ، ولكنه تضمن توجيهات مختلفة كان لها أبعد الأثر فى تكوين الفن الإسلامى فى نضوجه . وقد حذق المسلمون ما أخذوه من فنون الأمم السابقة عليهم وتمثلوه وأضافوا إليه وهذبوه ثم برز الفن الإسلامى وله طابعه الخاص الذى أخذ يؤثر بدوره فى الفنون التى عاصرته والتى جاءت من بعده .

(٨)

يتصل الفن الإسلامى فى جوهره بالقرآن والتوحيد وإطاره أخلاقى ، بينما يقوم الفن الغربى على أساس الارتباط بين الوثنية والمادية . فالفن الأوربى وثنى المصدر استمد مصادره من الصراع بين الآلهة والإنسان أو الصراع بين القدر والإنسان وكل المسرحيات اليونانية والفن اليونانى فى النحت والرسم قائمة على هذا الصراع ، وتقع المأساة حين يتحطم البطل على يد القدر أو يد الآلهة الجبارة — فى نظرهم — التى لا ترحم والآلهة فى تقديرهم شريرة وظالمة ، يقول الدكتور هاس : « كان المثل الكامل عندهم الجسم الجميل المتناسب ، وليس ذلك إلا اعتداداً بالمحسوسات اعتداداً كبيراً »



وكان أكبر عنايتهم بالرياضة والرقص وكان التثقيف الذهني الذي يحتوي على الشعر والغناء والفلسفة وعلوم الطبيعة لا يتجاوز حداً خاصاً حتى لا يكون ارتقاء الذهن على حساب الجسم .

ويقول الراهب اوغسطين : إن الروم الوثنيين كانوا يعبدون آلهتهم في المعابد ويهزأون بها في دور التمثيل ، وأن الفكرة التي كانت تسيطر على الإمبراطورية الرومانية هي احتكار القوة لها واستغلال الأمم الأخرى لمصلحة روما .

فلما جاءت المسيحية دخلت الوثنية فيها على حد تعبير (درابر) بتأثير الذين تقلدوا وظائف رئيسية ، ونشأ عن هـــذا الاختلاط بين الوثنية والمسيحية ودين جديد تتجلى فيه النظرية الوثنية سواء بسواء ، وهنا يختلف الإسلام عن النصرانية إذ قضى الإسلام على الوثنية قضاءاً تاماً ونشر عقائده خالصة .

وقد ورثت الحضارة الغربية مفهوم الوثنية المسيحية وورثت معها قيمها وأبرز هذه المفاهيم نبذ (اللاأخلاقية) ومن ثم طغت فكرة الفن للفن على المفاهيم الأخلاقية السائدة واشتدت الحرب عندما شرع الزهاد وحماة الفضائل في إدانة (الفن) على أنه لعب وحس شهواني يحول بين الإنسان وبين الاستقامة ومن ثم شن رجال الفن حرباً ضروساً ضد التقشف والزهد وظهرت نظريات زولا وأوسكار وايلد ، وبذلك اتسعت الهوة بين الفن والأخلاق.

وفي مفهوم الإسلام أن الفن والأدب يقوم على أساس الالتزام الأخلاقي ويتحرك طليقاً في دائرته ، ولذلك لم يقم صراع في الفكر الإسلامي بين

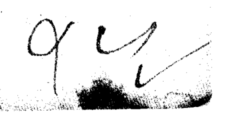
الفن والأخلاق أو بين وحدة الفن والأخلاق أو انفصالهما لأن مفهوم الفكر الإسلامي قائم أساسا على التكامل الجامع، فلا الفن يستعلى على الأخلاق ولا علاقة الفن بالأخلاق علاقة خضوع أو قسر أو إيقاف له عن انطلاقته. وليس فى تحرك الفن الإسلامى فى دائرة الأخلاق ما يحول بينه وبين تحقيق هدفه من إبراز حقيقة الشر والخير بل هو فى التحرر من إبراز الصورة فى قالب الإغراء بها والحض عليها اماحدود خلاقية العمل الفنى فإنه لا يهاجم القواعد التى يقوم عليها المجتمع ولا يحاول أن يبرز الرزيلة أو يهدم نظم نظم الدين والعدالة والتوحيد. والفن فى الإسلام متحرر من المادية الخالصة، جامع بين الروح والفكر، بعيداً عن مفهوم الأوثان والتماثيل والأحجار.

الفصل الرابع

المسرح

حاول دعاة مذهب النقد الغربى الوافد إثارة اتهام باطل لا محل له يرمى إلى انتقاص الأدب العربى لخلوه من المسرح والدراما والملاحم ، غافلين عن أن لكل أدب فنونه التى تشكلها طبيعته وبيئته وأنه ليس من الضرورى لوصف الأدب العربى بالبراعة أو النبوغ أن يكون مماثلا للادب اليونانى أو الادب الغربى فى كل فنونه ، ولقد كان «الشعر» هو ديوان العرب فى الجاهلية فلما جاء الإسلام شكل للامة العربية مثلا أعلى استمد أسلوبه ومنهجه من القرآن على التوحيد ذى الطابع الواضح الصريح فى العبارة والأداء ، وجاءت القصة القرآنية على ذلك النحو الذى عرف عنها بعيدة عن الرموز والغموض والتفاصيل وبعيدة عن الكذب الفنى والحيلة والتحوير الذى عرفته القصة اليونانيه الغربية ، ولذلك فلم يكن الأدب العربى فى حاجة إلى المسرح الذى كان وليد المعبد والكنيسة والذى بدأ عند الأغريق أصلا فى أعياد باخوس إله الخمر ثم استعانت به الكنيسة بعد انتشار المسيحية فى روما وباريس أثناء القرون الوسطى لعرض فكرتها عما ذهبت إليه من القول بصلب المسيح وآلام الشهداء .

أما المسلمون فإن بساطة مفهومهم الإسلامى ووضوحه وامتداداً لطبيعتهم التى عرفت بالصراحة والوضوح لم توجد عندهم الحاجة إلى المسرح ، ولذلك فقد انصرف العرب والمسلمون أبان حركة الترجمة عن نقل الأدب اليونانى واكتفوا بترجمة العلوم والفلسفات من حيث أنهم لم يكونوا فى حاجة إليه بوصفه أداة تعبير عن النفس اليونانية والأغريقية وحدها ، ومن حيث أنهم



لهم أداة تعبيرهم التى تحقق لهم ذلك عن طريق الشعر والنثر ، ولعل سبباً هاماً حال بينهم وبين ترجمة للادب اليونانى هو أنه كان ينطوى على خرافات وأساطير لها جذورها الممتدة إلى عقائدهم الوثنية القائمة على تعدد الآلهة ، وصراع الإلهة مع نفسها وعلى الإنسان ولتعارض هذه الصور والأفكار مع إيمـــان العرب والمسلمين بالخالق الواحد وأكباره وتعاليه عن مثل ما توصف به ألهة اليونان من صراع وشهوات ، وماتوصف به من ذكورة وأناث . وآلهات للصيد والخمر والحب . فقد نأى الأدب العربى عن ذلك وسما بالألوهية عن مضاهاة البشر التى لا يقرها عقله ولا يرضاها مزاجه النفسى .

ولقد كان الأدب العربى واضحاً فى التعبير عن النفس وواضحاً فى العقيدة وضوحاً لا يقبل التأويل ولا يحتمل الشك ولا يقبل التجسيم وكان هذا الوضوح هو لب العقيدة حيث لا يوجد ما يصعب فهمه أو تحتاج إلى مثل ما احتاجت إليه الوثنية القديمة والعقيدة المسيحية من بعد لعرضه وشرح تعقيداته وتفسيره وتعليله عن طريق المسرح حتى يمكن الاقتناع به وتقبله ومن هنا فلم تكن هناك حاجة فى البيئة العربية ولا فى الأدب العربى ولا فى العقيدة التى اعتنقها العرب والمسلمون إلى المسرح .

ولقد فرض أدب القرآن طابعه على كل ما تخرجه القريحة العربية بعد أن بهرها بإعجازه فى أسلوب الكتاب وتعاليمه ، هذه التعاليم التى أنشأت بعد ذلك فلسفة اسلامية تحترم العقيدة الدينية أكثر مما يتجه لحرية الفكر المجرد والتنقيب عن متاهات النفس واستجلاء الغامض منها .

وهناك وجه آخر من وجوه الخلاف والتباين بين الأدب العربى وبين الدراما أو المسرحية اليونانية الغربية ويتمثل ذلك فى الصراع المأساوى الدرامى الذى هو حياة الحدث فى المسرح مما لا يجـــد بيئة طبيعية فى إيمان العرب ومعتقداتهم ، ذلك أن البطل المأسوى هو دائما فى صراع مع الآلهة بالقدر ،

والإنسان العربي في سلام مع الله الواحد الأكبر ، وفي إيمان بالقدر لا يحول دون السعي وإن كان يحول دون المصارعة والصراع ، ومن هنا فإن العقل العربي لا يتصور الصراع بين الإنسان والله على نحـــو ما كان يتصور اليونان الذين يؤمنون بأن الحرب مع القدر وإن كانت نهايتها هي الهزيمة المأساوية فإنها حرب تدل على شجاعة الإنسان وجبروته وعلو شأنه .

وصراع الإنسان مع الله — جل شأنه — أمر لا يفهم ويقبل مع التوحيد الذي هو قمة العقائد في الإسلام ، ولذلك فإن العرب لم يجدوا أنفسهم في يوم من الأيام في صراع مع القدر، ذلك لاختلاف طبيعة البيئة الصحراويه عندهم عن طبيعة البيئة الجبلية في اليونان ومن هنا فإنهم لم يعرفوا هذا اللون من الصراع حتى في فترة جاهليتهم السابقة على الإسلام .

بل أن الوثنية العربية لم تكن منهلة لهذه المفاهيم، إذ لم تكن وثنية أصيلة بل كانت صورة مشوهة من دين قائم على التوحيد، لذلك لم تكن لها جذور عميقة أو تقاليد قديمة كما كان الشأن لدى الوثنيات الأخرى ، ومن هنا فقد ارتبط المسرح اليوناني بالأسطورة إلى حد بعيد ، وجد فيها المؤلفون إطاراً يصورون فيه الصراع بين الإنسان والقوى الإلهية ، ولما كانت هذه النزعة وثنية في طابعها فإن الإسلام لم يقرها أو يقبلها .

كذلك لم يكن من الطبيعة العربية مثل هذه الإستعراضات التي تقوم على الترانيم والأناشيد والرقص . ولقد استعانت الكنيسة المسيحية في القرن العاشر بالمسرح أيضاً في عرض فكرها ، بعد أن سقط المسرح الوثني مع سقوط الإمبراطورية الرومانية فكانت تقدم القداس الديني ثم تتبعه بصورة تمثيلية طقوسية خطيرة كان يمثلها القساوسة بعد القداس في قلب الكنيسة ثم تطورت إلى التمثيليات الدينية الطويلة التي تمثل على أعتاب الكنيسة أو

ساحتها وهى المعروفه بتمثيليات الأسرار عن معجزة ميلاد المسيح ثم آلامه وآلام الشهداء الذين أوذوا فى سبيل الدفاع عن المسيحية . وقد كان المسرح وسيلة لتفسير نظريات المسيحية الفلسفية التى لم تكن من اليسير فهمها إلا بعرضها على هذا النحو .

(٢)

تقوم فلسفة المأساة الغربية على : (الخطيئة والقصاص والغفران) وترى أن الإنسان مرتبط بخطيئة أولية وهى خطيئة آدم ، وهناك مفهوم الصراع بين الآلهة والقدر وبين الإنسان والخطيئة ، ويبدو البطل فى صورة المتحدى لإرادة الله والمتحدى للقدر .

وفى رواية (فاوست) نجد أنه يتحدى إرادة الله ويتطاول على الشجرة المحرمة ، وقد كانوا يرون أنه مجرم ومخطىء يجب إرساله إلى الجحيم ثم تحول الرأى فى المأساة مع تحول المجتمع الأوربى فقالوا : أنه صريع القدر .

ويمكن القول جملة بأن هذا اللون من الأدب غريب على الذوق العربى وعلى مزاج النفس العربية ، فهو خلاصة لمفاهيم دينية وثنية أو غربية مسيحية تقوم على فلسفة أساسية : قوامها «الخطيئة» التى لا يعترف بها الإسلام ولا يقرها والتى ليس لها أى صدى فى الأدب العربى فضلا عن صراع القدر وصراع الآلهة وكلاهما غريب عن النفس العربية . بل أن نهاية القصص وخاتمة التراجديا فى مفهوم الأدب اليونانى والغربى ، يجب أن تكون شريرة ومصدر هذا أن التراث اليونانى الغربى كله يرى أن الإنسان ثمرة الخطيئة وأن حياته تكفير عن هذه الخطيئة وأنه لا قيمه لها ، بينما يرى الأدب العربى وفكره وآدابه بأن الإنسان كائن حى وحياته لها قيمتها الخالصة وأنه ليس مسئولا عن خطيئة غيره ، وأن الخطيئة التى تتردد فى هذه الآداب هى خطيئه آدم وهذه فى مفهوم الإسلام قد غفرها الله له ولم يجعل جريرتها لأحد من بعده .

وفى مفهوم الأدب العربى المستمد من الإسلام أن الخير لابد أن ينتصر فى النهاية وأن الشر لابد أن ينهزم وينسحق ، وإذا كان المسرح وليد المعبد والكنيسة فإنه يعد غريباً عن الأدب العربى حيث لم يعرف العرب هذه الأعياد الصاخبة المعروفة بمواكب خمر باخوس ولا ما يتصل بها من تماثيل وأناشيد وطقوس ورقص وأباحة ؛ والعرب فى صميم فكرهم أهل بديهة وارتجال ، وفى بيانهم أهل إيجاز واختصار .لايحتاجون إلى التحليل الطويل ولا يهتمون بالتفاصيل التى تخرج عن جوهر الحدث أو الخبر ، وقد علمهم القرآن ذلك ووضع لهم هذا المنهج ، والمجتمع الإسلامى لا يعرف التجسيم ولا يجد فيه لذته الفنية ، كما يفعل اليونان والغربيون ، والفكر الإسلامى لا يقر الأساطير ولا يقبل الخرافة ويعتمد على الحقيقة التى يقبلها العقل وتوافق الصدق الذى تؤكده طبائع الأشياء و يقف من الخالق سبحانه موقف التكريم ويسمو بمفهوم الالوهية عن مشابهة الخلق ولا يقر وجـــود أرباب .

ويصور هذا المعنى زكى طليمات تصويراً طيباً حين يقول :

الإسلام هو دين التوحيد فلا بدع أن يناهض الوثنية التى تقوم على تعدد الأرباب فلا غرابة فى أن يعمل على محو آثارها المادية المجسمة واستئصال جذورها المعنويه فى نفوس العرب ، أن العقيدة الإسلامية فى وقفتها الأولى لمحاربة الوثنية أحدثت فى الفنون التشكيلية حدثاً ليس له مثيل إذ حولت مواضع الالهام فيها من الطبيعة وصورها إلى الذهن واخيلته .

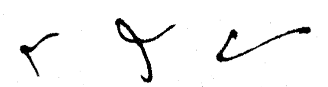
وسبب آخر يصرف الذهنية الإسلامية عن الأخذ بأسباب التعبير عن طريق المسرحية واتخاذ المسرح وسيلة للدعاية والتفسير ذلك أن العقيدة الإسلامية على وضوح أركانها وجلاء تعاليمها ومنطق أحـــكامها عقيدة لا يشوبها لبس ولا غموض يتطلبان تحايلا فى التفسير ، فالوحدانية لاتقبل

التأويل ولا تحتمل "شرك ، ليس هناك أو اب ولا أنصاف أرباب كما هى الحال فى الوثنيه ، كذلك لا يوجد عقدة يتعذر فهمها أو لا يوجد أب ولا ابن ولا روح قدس كما هو الحال فى العقيدة المسيحية، وشعائر الإسلام على بساطة غنية وتقشف ظاهر ، فليس فى حاجة إلى عازف يعزف على آلة موسيقية أو منشد ينشد نداءات كهنوتيه أو راقص يدور على نفسه ، مثل هذه العقيدة القوية فى معنوياتها البسيطة فى شعائرها القائمة على مناهضة كل مظهر من مظاهر تعدد الأرباب وما يتصل به من فنون السحر لاحياء طقوسه ومناسكه لا يمكن أن تتمخض عن فن تمثيلى فإذا أضفنا إلى ذلك أن العرب بطبيعة عملهم ينظرون إلى الكليات عرفنا إلى أى مدى نجد التباين الضخم بين الأدب العربى والآداب الغربية فى مجال القصة والمسرح ، اهـ .

ومن ناحية أخرى فإن الصراع المأساوى أو الدرامى الذى هو عقدة المسرحية والقصة لا يجد بيئة طبيعية فى إيمان العرب ومعتقداتهم ، ذلك أن البطل المأساوى هو فى صراع دائم مع الآلهة والقدر ، أما المسلم بحكم وحدانيته فانه لا يستطيع أن يتصور الصراع مع القدر والآلهة على نحو ما كان يتصوره اليونان الذين يؤمنون بقوى متعددة ويؤمنون بأن الحرب مع العدو وإن كانت آخرتها الهزيمة المؤسية فانها حرب تدل على تجبر الإنسان . إن الصراع مع الآلهة لا يفهم أصلا مع التوجيه ، أما الإنسان العربى فهو فى سلام مع الله الواحد الأكبر لا يستطيع أن يتصور الصراع مع القدر والآلهة على نحو ما كان يتصوره اليونان .

ولا ريب أن رؤيا العرب واضحة غير مضببه ، ولا يشوبها سحاب من الغمام وليست بين بين ، وليست فى صراع مع الطبيعة وكل هذه الرؤيا تنعكس فى الأدب العربى ، وهى مضاده لرؤية الغربى .

يقول المرحوم على أحمد باكثير : إذا لم يوجد المسرح عند العرب فى



جاهليتهم ، فأحرى ألا يوجد لديهم بعد الإسلام الذى قضى على تلك الوثنيه وأعاد إليهم دين التوحيد كأصفى وأنقى ما يكون . وتقديس الأشخاص من مظاهر الوثنية فالإسلام ينهى عن ذلك نهيا تاما مما أدى إلى عدم ظهور (الدراما) لأن نشأة الدراما فى عهودها الوثنية كانت تقوم على تقديس من كانوا ملوكا أو أبطالا ثم ألهوهم بعد وفاتهم .

(٣)

وقد أشار زكى طليمات فى أكثر من بحث إلى أن المسرح باللسان العربى ليس فناً أصيلا لا فى الأدب العربى وفى المجتمع العربى يقول : « فالمسرح لم يكن يوما من الفنون التى عملت فيها الأقلام والقرائح كما أنه لم يؤلف شعبه من العرض الجماهيرى أو لوناً من ألوان التسلية العامة التى يؤمها الجمهور ، ومعلوم أن الشرق العربى لم يمارس هذا الفن إلا فى أواسط القرن الماضى ، مارسه ضمن ما مارس من الوافدات والنحل الأوربية التى أفسحنا لها المجال فى مجتمعنا بعد أن تهيأت واعيتنا إلى اعتناق مظاهر الحضارة الأوربية وذلك بتأثير التطور العام والتبادل الاقتصادى ثم بدافع الأحداث السياسية الكبرى .

ويقول : أن المتقصى مدارج المسرح باللسان العربى وباللهجات الإقليمية منذ قيامه على أيدى الرواد الأول ، يقف ولا شك أمام ظاهرة كابية اللون ، إن هذا المسرح على الرغم من قيامه ما يقرب من قرن وربع القرن وامتداد جذور له فى التربة العربية ما برح يبدو لرجل الشارع وكأنه بضاعة مستوردة من الخارج أو هوزى من أزياء التعبير لا عهد له به ولكنه يتعاطاه من باب التظاهر بالإقبال على كل جديد وافد من أوربا ، ولعل أبرز دوافع يجمع بينها مظهر واحد تلحظه العين هو (قزقزة) من ثمار الفول السودانى واللب ، وعندنا ليس رجل الشارع فقط بل هى الطبيعة الاعمق التى ترى فى

المسرح شيئاً معارضاً لفطرتها وطبيعتها الصريحة القوية المستعملة فى البيان العربى بغير حاجة إلى هذه الأساليب المعقدة . ذلك أن المسرحية كما تقول زكى طليمات : ما برحت أجنبية القالب ، أجنبية الحبكة . ، تقول وستظل كذلك بكل ما يحاول الآن أرباب الفن، وإن أعمق العوامل لمعارضتها الفطرة الإنسانية للطبيعة العربية الإسلامية إنها صوره وهمية ليست من واقع الحياة وإنها تستعمل النصوص التاريخية بغير أمانه ويرى أصحاب هذا الشأن يأسهم من نجاح هذه المحاولة وذلك أن القالب الشكلى للمسرحية « أجنبى » من كل نواحيه ، « إذ أنه نقل (فوتغرافياً) سريعاً من غير تمعن عن المسرحية الغربية التى استوردناها مع كثير من النحل الغربية فى أواسط القرن الماضى ويقولون أنه على الرغم من المحاولة التى جرت خلال أكثر من مائة سنه ، على استنبات المسرح فى التربة العربية ، فقد بقيت المسرحية على قالبها غريبة المذاق ، عن رجل الشارع على الرغم من الجهود الجباره التى بذلوها لنشرها لأنها « تنبو عن مألوفه فى التذوق وتتعالى على الأفق الذى ألف أن يتعاطى منه الترفيه النفسى ولطائف التسلية » .

يرى هذا الرأى زكى طليمات وتوفيق الحكيم وغيرهما من أساطين هذا الفن الوافد ، يرون أن هذا المسرح قام دخيلا فى الأقطار العربية من غير تمهيد ولم يستند فى قالب صياغته الشكلية على ركائز ، إننا نقلنا القالب الغربى المستورد نقلا عضويا واكتفينا فى أمر تعريبه بمسحة سطحية أى أنه لم يعرب تعريباً جذريا مستمداً من المزاج العربى العام فى مفاهيمه الأدبية والتعبيرية والجماهيرية » .

ولا ريب أن كل هذه الدراسات والمخاوف تكشف بوضوح عن أن المسرح ليس فنا أصيلا فى الأدب العربى وأنه يجافى المزاج العربى والوجدان الإسلامى .

(د)

(٤) لاريب أن من أقوى عوامل التعارض بين الفن الإسلامى وبين المسرح روح الأباحة الواضحة فى الآداب اليونانية والتى ورثها الأدب الغربى .
ويقول أنيس فريحة أن مظاهر الأباحة والفسق والعربدة التى كانت تتمثل فى طقوس هذا الفن هى ذات مغزى دينى وأن شعار (البغاء المقدس) والذى يتضمن بيع النساء أجسادهن فى أيام معدودات وشرائح ذبائح لعشتروت بأجورهن هى بقايا شى بقايا عادات قديمة سابقة عندما لم يكن زواج بالمعنى الذى نفهمه الآن ، بل عندما كان الزواج اجتماعياً مشتركا (النساء للرجال والرجال للنساء فى القبيلة الواحدة فكانت المرأة عذراء ومتزوجة فى آن واحد ، والربة الأم عذراء ومتزوجة وعشيقة طاهرة وغير طاهرة . ويقول : والظاهر أن النساء كانت فى طور من أطوار حياتهن يقلدن هذه الربة الأم فى بابل واشور وسوريا وجبيل وفى باقوص فى قبرص كانت عذراء تبيع نفسها قبل الزواج للبغاء ، هذه الصورة المفزعة التى سحقتها الأديان وألغاها الإسلام إلغاءاً تاماً هى ثمرة الفنون الغربية المسرحية وغيرها . يوم كانت هياكل عشتروت وافروديت والزهرة حافلة بالبغاء المقدس وهذا هو تراث الاسطورة الذى تحاول أن تجدده المسرحية الغربية وتعتز به وهو بعيد كل البعد عن القيم التى قدمها الإســـلام وحرر بها الإنسان من عبودية الوثن وعبودية الأباحية ورفعه إلى مستوى الكرامة ـ ولقد وقف المسلمون عندما ترجموا الفكر اليونى والفارسى والهندى موقف الأعراض التام عن هذه الآثار ورفضوها رفضاً تاما لأنها لاتتفق مع طبيعتهم ولا قيمهم ولا مفهومهم للحياة ، كذلك رفضوا الملاحم الاسطوريه لأنها قائمه على شطحات الخيال والتهويل والأغراب ، ولقد كان الشعر الأغريقى الملحمى ـ كما يقول مفيد الشوباشى ـ يصور عالما وهمياً لا يكاد تقوم صلة بينه وبين الحياة الحقيقية للمجتمع الإغريقى وتصف آلهة وعمالقة وفرساناً يتميزون بقدرات غير آدمية

ويتسامون وراء شهوات وأطماع وأحقاد ويأنفون أن تغلب عليهم الرحمة أو يمس قلوبهم حب أو حنان ويرتكبون في سبيل تحقيق غاياتهم آثاما تتقزز منها النفوس ، ولا يعتدون على الأحياء فحسب ، ولكنهم يمثلون بالجثث والمرأة قاسية كالرجل فهناك إمرأة تشترك مع عشيقها في قتل زوجها والتنكيل بأبنائها وأخرى تتزوج بابنها وبينما كان ذلك الشعر يرسم تلك الصورة الشوهاء لمجتمعه ، حرص الشعراء العرب القدامى على تصوير عالمهم الحقيقي بما فيه من خير وشر وتحليل عواطفهم كما أحسوها ووصف الأحداث على نحو ما وقعت لهم .

(٥) وإذا كان العرب قد رفضوا تماما ترجمة هـــذه الألون من المسرحيات والملاحم في عصر نهضتهم فإن محاولة الزج بها الآن في الآداب العربية لم يحقق نتائج ذات أهمية وظلت ظاهرة قلقة غريبة ، لأنها لم تلتق بالنفس العربية ولا بالمشاعر والأشواق العربيه .

وقد وجه سيد قطب إلى توفيق الحكيم رسالة مفتوحة عندما كتب مسرحية الملك أوديب نقلا أياها عن اليونانية :

قال : إنك لم تهتد بعد إلى النبع الأصيل الذى تستقى منه . أتجهت وأنت تحاول وضع القالب الفنى للتمثلية المصرية إلى الأساطير الإغريقية مستلهما موضوعاتك ، لماذا ، لأن نشأة المسرح كانت إغريقية ولأن الأوربيين ورثة الإغريق قدجعلوا المسرح الإغريقى والتمثيلية الأغريقية والأساطير الأغريقية أساساً لأعمالهم . لماذا لم ينقل العرب ذلك فيما نقلوا عن الإغريق، إن كتاب الجمهورية لأفلاطون قد ترجم إلى العربية وما أشك أن فيه من الأفكار حول

تلك المدنيه المثاليه ما يشق على العقلية الإسلامية أن تسيغه ولكن ذلك لم يمنع من نقله . إن الصعوبة الأساسية فى الاساطير واستلهامها ليست فى حاجة إلى الفهم ، ولكن الصعوبة الحقيقة كامنه فى الشعور بها فى أعماق الضمير .

لهذا لم يكن ممكننا أن يشعر العرب بجمال التراجيديا الإغريقية الممتدة من هذه الاساطير ولا أن تنقل إلى تراثهم الآلهة فى الميثولوجيا الإغريقية تدفعها حيوية عارمة إلى كل تصرفاتها ، حيوية لا تعرف العدل والحق والخلق والضمير لأنها حيوية عاتية شهوانية باطشة ، فليس لديها ما يمنع من صب كل هذه اللعنة على أوديب لمجرد شهوة حقد من أبولون ، كذلك صنعت مع هرقل .

أما الإسلام فإنه ينبذ نهائياً فكرة الشهوة والظلم عن ذات الله .

(٦)

يقول لويس جارديه : أن صراع العواطف النفسى الذى يعتبر المادة الاساسية للدراما والتراجيديا وتحليل الطباع الذى يقوم عليه كل الكوميديات الكبيرة لم يكن قط من خصائص المجتمع الإسلامى الكبير ، فهذا العدل بين الإنسان وقدره الذى يجده كتاب المسرح اليونانى لا يتناسب مع مفهوم الحياة ولا مع العلاقات التى تربط الإنسان بخالقه فى المجتمعات العربية والإسلامية .

ويقول جوستاف جردنيوم : إن الإسلام السنى لم ينجح فى خلق فن مسرحى رغم معرفته بالثقافة اليونانية والهندية ، وهذا لا يعود إلى سبب

تاريخى قدر ما يعود إلى مفهوم الإنسان فى الإسلام وهو مفهوم يمنع وقوع أى صراع درامى .

ولقد كشف الباحث التونسى الدكتور محمد عزيزه عن الاسباب الدينية الكامنة وراء استحالة : قيام صراع بين الإنسان المسلم وخالقه فقال : إن الإسلام دين ودنيا وأنه قد نظم الامور الدينية وقواعد الحياة والسلوك بالنسبة لكل فرد وبالنسبة للمجموعة كلها ، وكل من يخرج عن مجموعة المسلمين ولو مقدار فارق شعره فإنه يموت كافراً .

إن صراع الإنسان مع القدر : أى مع التاريخ الدرامى شىء يصعب تصوره فى إطار الإسلام ، ذلك إننا لا نواجه التاريخ إلا إذا أحسسنا بوجوده الموضوعى المستقل عن رغباتنا الشخصية والذى لا يخضع لها ، أما بالنسبة للاسلام فالتاريخ لا يتطور جدلياً فهناك زمن بعيد عقد الله فيه ميثاقاً مع المؤمنين وقال الرب لعباده :

ألست بربكم قالوا : بلى . وبين فترة وأخرى تأتى الأنبياء والرسل يذكرون الناس بهذا الميثاق وهذا الزمن البعيد غير المحدود ومهما كانت الاحداث تبدو لنا من الوهلة الاولى مخالفة للمصالح العامة فإن الفكر الإسلامى لا يشك لحظة واحدة فى تخطيط الله غير المكشوف للانسان والذى لا يمكن أن يؤدى إلا إلى الخير ولو بعد زمن طويل .

فهى حتمية متفائلة ترتكز على إنسجام نظام الكون وتجعل الإنسان المسلم يتحرك بعيداً عن التناقضات والصراع .

وفى المفهوم الإسلامى للمجتمع فان إرادة الفرد تنصهر رغبته فى إرادة الجماعة وحيث يبدو أنها تسلبه كل شىء فهى توفر له كل شىء وتعوضه عن

ذلك ، فى مثل هذا النظام الإجتماعى لإمكان للدراما لسبب بسيط هو أنها ليس لديها ما تقدمه .

ويقول : أن المجتمعات البشرية تمر بفترات أو مراحل عبر تطورها ، وتتميز المراحل البدائية بطغيان روح الجماعة على العلاقات جميعاً ، ولهذا السبب فان أبرز ما يميز حياة هذه الجماعة البدائية ومنها والبدوية : « غياب الصراع بين الافراد والفئات منها ، فالفرد هو مجرد لبنة صغيرة فى بناء الجماعة يستمد منها عزها وكرامتها ، ترتب على ذلك رأى عام جماعى ونظرة إلى العالم وتصور للكون جماعيان فكل فرد كأى فرد آخر ، مثل هذه التربة غير صالحة لوجود أدب درامى وبالتالى مسرح ، حتى لو عرفت الا . تيطان الثابت مالم تتجاوزها إلى مرحلة إجتماعيه أخرى هى أعلى منها ، وذلك لسبب بسيط هو أن هذه الحياة تفتقر إلى كل مبررات الصراع بين فرد وفرد أو بين فرد وجماعة ، أو بين جماعة وجماعة وقد تصطرع كل الجماعة مع جماعه اخرى غريبة ، (مجتمع آخر قبيلة مجاوره ، شعب آخر) غير أن مثل هذا النوع من الصراع يستدعى (الملحمه) لا الدراما

فالملحمة هى السجل الخالد للجماعة : أعمالها وبطولاتها ومآثرها وأمجادها ولا يستدعى الدراما ، والعربى كان لا يزال بعيداً عن الإحساس بذاته المميزة عن ذات الجماعة لذلك لم يفكر بالأدب الدرامى .

إن اكتشاف الإنسان لنفسه كند للآلهه أو كشخصية مستقلة تقف وحدها تجاهها يعنى القول بوجود إرادتين : إرادة الإنسان وإرادة الآلهة وبالنسبه للاسلام فإن مثل هذه الثنائية ليست غير موجودة ، فحسب ، بل وغير متصورة على الإطلاق ، فالله تبارك وتعالى فى الإسلام هو مصدر كل شيء وأس كل شيء وموقف الإنسان إزاء إرادة الله هو موقف العبودية والتسليم الكامل ، ومن ثم فإن إرادة الإنسان هى جزء من إرادة الله الشاملة

ومن شأن هـذا المفهوم أن يحرر النفس المسلمة من كثير مما تقاسى النفس الغربية من العذاب والآلام والتمزق والصراع .

هذا الصراع هو جوهر المسرحيه والعمل الدرامى ، وهو غير متوفر إطلاقاً فى أفق الإسلام أو المفهوم الإسلامى لعلاقة الإنسان بربه أو بالمجتمع الإسلامى نفسه .

وإذا كان هـذا الصراع فى الفـكر الغربى من أربع أنواع فهى جميعاً تنصهر وتذوب فى مفهوم الإسلام الرحيم السمح الذى ينقذ الإنسان والبشرية من هذا الدمار النفسى

(أولا) الصراع بين الحرية البشرية والإرادة الإلهية الذى يصوره (بروميثيوس) لا وجود له فى الإسلام حيث أن الإرادة الإنسانية الحرة ، تتحرك فى إطار الإرادة الالهيه الكبرى وتخضع لها عن طواعية وتسليم ورضا كامل .

(ثانياً) الصراع الذى يجسد المواجهة بين حرية الفرد وبين الكيان الإجماعى لا وجود له فى الإسلام حيث أن حرية الفرد تنمو بالغيريه والعطاء والإنفاق والرحمة حتى تنصهر تماماً فى المجتمع دون أن تفقد وجودها ذاته .

(ثالثاً) الصراع الذى يجسد المواجهه بين العقوبة البشرية وبين القدر لا وجود له فى الإسلام حيث يؤمن المسلم بأن ما أصابه من شر فمن نفسه وما أصابه من خير فهو من رحمة الله الذى تطلب منه الهداية (اياك نعبد وإياك نستعين) فالمسلم يتحرك فى الحياة فيخطىء ثم يلتمس من الله العفو والعافيه .

(رابعاً) الصراع الذى يجسد المتناقضات الداخلية فى الإنسان ، لا وجود

له حيث أن المسلم يؤمن بأنه جماع روح ومادة وشهوة وأشواق عليا وأنه قابل للرغبات الدنيا وللمطامح الربانية فهو قادر على الموازنه بين ذلك وذلك دون أن تقع فى التناقض أو الصراع .

ويتساءل الباحث عما إذا كان المسلم حسب حضارته ودينه يستطيع أن يحيا إحدى هذه الحالات الصراعيه الأربع ، هل يستطيع أن يضع المسلم حريته الشخصيه أمام إرادة الله ، أو أمام الكيان الاجتماعى لمدينته أو يواجه بها منطق التاريخ والقدر أو أن يكتشف أخيراً فى أعماقه إنساناً آخر يصارعه .

وتكون الاجابة أن أوجه الصراع المختلفة هذه التى يقاسيها الغربى وتتمثل فى المسرحية والدراما بالذات لا توجد فى الفكر الاسلامى ولا فى المجتمع الاسلامى ولذلك فان الفكر الاسلامى لا يعرف هذا اللون الذى يتعارض مع عقيدته وطبيعته النفسيه والعقليه والروحيه .

وبعد فان التغريب حين احتال إلى إدخال المسرحية إلى الأفق العربى الاسلامى وهى غريبة عنه غير معقولة لديه ، إنما كان يستهدف إدخال مفاهيم مسمومة تتعارض مع القيم الاسلامية الأصلية عن طريق الفن والقصة والمسرح ، نظراً للاقبال على هذا الفن والاعجاب به لغرابته ، ولما كانت المسرحية هى حوار معد أساساً لادخال فكره ما إلى النفس والعقل فان هناك محاذير كثيرة تواجه الشباب المسلم الذى لم يتحصن تحصنا كافياً بالمفاهيم الاسلامية ،ومن ذلك مسرحيات سارتر وكامى وبكيت ويونسكو التى تحاول أن تسخر من قيم الأخلاق والدين وتصف كل شىء بأنه غير مقدس وتثير الشبهات فى كل أفق سليم ولا شك أن مسرحيات العبث واللا معقول والرفض المكشوبه والمشاهدة تقدم سموماً كثيرة للعقل الذى لم تحصنه معطيات إسلامية كثيرة فى طور النشأة .

ولعل أخطر ما يواجهنا هو التفرقة بين الواقع الانسانى القائم فى المجتمع ، والصورة الفنية الخيالية المنسوجه على هيئة مسرحية ، ذلك أن هـذا العالم الخيالى المزور المزيف يختلف عن عالم الواقع تماماً فهو مضاد له كثيراً ، ولاشك أن فى أعتباره حكما على عالم الواقع تجاوز كبير وخطر مستطير ، لأنه يخرج عن الحقيقه التاريخية وعن طبائع الأشياء ولأنه يتكىء على الجانب المظلم والأباحى من النفس الإنسانية ويسرف فى الاباحه والتشاؤم ويركز على الأوضاع المسفه المنحلة .

الفصل الخامس

السينما

الصور المتحركة أو السينما هى واحدة من أدوات التسلية والترفيه العصرية التى أصبح لها بعد المسرح مكاناً واسعاً فى المجتمعات العالمية وقد استطاعت القوى المسيطرة أن توجهها توجيهاً خطيراً يستهدف بها دفع الشباب والفتيات إلى مفاهيم خطيرة فى العلاقات الإجتماعية وخاصة فى شئون الزواج والحب والتعامل يتعارض تماماً مع كل القيم والمقررات والضوابط التى حملت لوائها الأديان وما يتصل بها من اخلاقيات وفضائل فكان لها أبعد الأثر فى خلق طابع من الشرعية على الفساد والانحرافات وأساليب الاغتصاب وخاصة فيما يتصل بمجال الجريمة والجنس .

وقد انتقلت السينما فى العقود الآخرة إلى أجواء أشد فساداً وكانت نكسة ١٩٦٧ منطلقاً لدفع طابع الجنس فى الصور المتحركة والروايات المعروضة إلى أقصى حد وطرح فى أفق المجتمعات الإسلامية أفلاما غاية فى الأباحية والفساد وكان هذا دافعاً للسينما المحلية إلى أن تجرى هذا المجرى حتى لا تفوتها فرصة التجارة والتنافس .

وقد حفلت هذه الأفلام السينمائية التى يمكن القول بأنها أوقفت نفسها على الجنس والجريمة بالابتذال الرخيص ، وحفلت بسبيل متلاحق من العبارات والألفاظ والتلميحات والاسقاطات الجنسية التى تفيض بها مسرحيات الإضحاك والتسلية الرخيصة وقد نفذت هذه الأفلام إلى البيوت والأسر والأطفال عن طريق الإذاعة المرئية فاصبحت خطراً لا حد له وأصبح على ألسنة الاطفال والشباب كلمات نابيه وفى عقولهم وأذهانهم

لها أبعد الأثر على حركتهم فى المجتمع وعلى فهم للعلاقات بين الرجل والمرأة والأسرة والزواج وهى مفاهيم منحرفة بعيدة عن الاصالة والفطرة .

ولقد أشتهرت أفلام تمجد القسوة والتعذيب فى مجال الجنس واستعلاء المذاهب الساديه والماشوسية وقدمت مواقف ومشاهد جنسية يكاد المرأ لا يصدق نفسه إنها كتبت بكل هذه الجرأة والصراحة التى تكاد تبلغ حد الابتذال الفاضح .

وقد انطلقت هذه الظاهرة من مفاهيم فرويد التى طرحها منذ سبعين عاماً والتى تلقفتها القوى الاجنبية ونمتها ودفعت بها إلى تدمير القيم الاخلاقية والدينية فى الجماعة البشريه المعاصرة ويقول الباحثون فى هذا المجال إنه لم يخل كاتب أجنبى فى العصر الحديث من آثار هذه الدعوة ولكن عصراً من العصور لم يشهد ما شهده عصرنا من موجات الجنس المتلاحقة التى تكاد تطغى أو ربما تغرق كل أنواع الفنون والآداب ومن ذلك الفيلم الأخير الذى قيل أنه يجرى إخراجه عن حياة السيد المسيح الجنسية .

ويقول الباحث أن الحكومات الغربية قد عملت على وقف عرض هذه الافلام داخل ساحات عرض خاصة مع تحريم تعليق الإعلانات والصور .

وهذا ضرب من الإنحلال المفروض على الحضارة الأوربية بحكم تطورها وتفسخها ومن هذه الانهيارات أن القضاء أصبح يؤيد التعبير الفنى المكشوف ، عن قصص كانت ممنوعة فى الجيل السابق أمثال قصة لورنس : عشيق اللورد تشارلى وهكذا فتح الطريق أمام مسرحيات أشد عنفاهى مسرحيات الكونت دى ساد وما تحويه من خدش السادية وبشاعتها ومسرحية برنادرشو التى دمغ فيها القرن العشرين بأنه قرن تجارة الرقيق الابيض والتى أشارت بأصبع الاتهام العريضة لما تحولت إليه الحضارة الغربية كباءة للصناعة الحديثة من إنتاج

الأسلحة وتجارة وتسويق الجنس وتحققت نبوءه برناردشو وغرق الفن فى الجنس حتى اخمص القدمين وتوالت موجاته فسيطرت على الافلام البوليسية والتحليل النفسى والأفلام السياسيه .

ويتصل بهذا ما يقوله مدير التليفزيون الفرنسى إنه سوف لا يوجد منذ سنين شريطاً واحداً يصلح للعرض التلفزى نظراً لاتجاه المنتجين إلى إنجاز أفلام عنيفة أو جنسية وأكد علماء الاجتماع أن العنف ينتشر مع تمجيده على الشاشة فالمتفرج وخاصة المراهق أو الشاب وفى بعض الاحيان الطفل يتأثر بتلك المشاهد ، وشيئاً فشيئاً تصبح عاديه لديه وربما تعجبه إلى درجة أنه يعمد إلى تقليد أبطالها ثم تدخل فى سلوكه وينحرف لأن الافلام الحالية تصور شبابا عادياً يقسو ويفزع ويهاجم ويعذب ثم يقتل .

وقد بدأ العنف فى ثوبه الجديد يكتسح السينما منذ أن شرعت السينما الإيطالية إنتاج أفلام الرعاة البقر وإنما فى قالب طريف يغلب عليه العنف الشديد الذى يصل إلى حد الفظاعة والاشمئزاز .

هذه هى الصورة العالمية للسينما والاخطار التى تتصل بها ومدى التحديات التى تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم إزاء تصدير جانب من هذه الافلام إلى بلاد الاسلام مع كل الحيطه فإن عدداً ضخماً من الافلام الجنسية القاسية قد دخل وأحدث إثارة خطيرة وهدد نفسيات الشباب المسلم على نحو له أبعاده الخطيرة فى مستقبل شباب السينما الجنسيه .

والخطر اليوم ليس خطر السينما وحدها ولكنه قد تضاعف مع مجىء التليفزيون ونقله لهذه الافلام وتقديمها داخل البيوت وخاصة أفلام رعاة البقر التى تعتمد على العنف والمطاردات والقتل ومشاهد التعذيب والاختطاف وهى مشاهد قاسيه بعيدة عن اللطف والبشاشة واللياقة .

وقد أشار كثير من الباحثين إلى مدى الخطر الذي يواجه المجتمع الإسلامي نتيجه لهذه الظاهرة، التي وصفت بأنها تنفيذ لخطة جهنمية وأنها ليست تصويراً الواقع المجتمع أو ثورة على تقاليده.

وليس صحيحاً - كما يقول الأستاذ محمد الصيحي - ما يقوله المدافعون عن هذه الأفلام من أنها تشخيص لحقيقة واقعيه بشكل واقعي في مجتمع لم يعد أبناؤه يرغبون في غير الاطلاع على كل خاف وتعرية كل مستور ومن حيث تشكيل العلاقات الجنسية غير الشرعية خللاً أخلاقياً واقعياً يجب معالجته وليس صحيحاً أن أفلام الجنس ليست إلا تعبيراً رمزياً عن معارضة المجتمع الحديث بكل تقاليده ومعتقداته حيث يمكن التعبير عن ذلك بوسائل غير هذه الوسيله التي تدمر كل شيء والصحيح أن هذه الأفلام وسيلة سهلة للربح المادي حيث أن إنتاج هذه الأفلام لا يحتاج لقدرات فنية ولا إمكانيات ماديه

ويقول أن هذه الأفلام هي الوسيله الوحيده لمنافسة الأفلام الجاده من إناس لا يستطيعون ولا يريدون عن قصد إنتاج أفلام جاده بناءه والنتيجه أن الأفلام الجاده تأخذ الإبتعاد رويداً رويداً أو أنها تصبح محدوده الجمهور عدداً ونوعاً وبالتالي تروج سوق الأفلام الرخيصة وينشأ نمط ثقافي هزيل منحط.

ومن هنا فإن النتيجة هي إنصراف جمهور الشباب عن الأشياء الهادفة المفيدة بحكم الألفة والتعدد وتسيطر على عقولهم نزوات وفتن تدمر قيم المجتمع وتنشر فيه الجريمة والانحلال. وهذا هو الهدف الحقيقي من إنتاج الأفلام وكتب ومجلات الجنس الرخيص وأن وراء ذلك كله توسعات منتشرة في جميع أنحاء أوربا وأمريكا وإن أغلب أصحابها يهود وإذا تذكرنا ذلك فسوف تعود بنا الذاكره تلقائياً إلى بروتوكولات حكماء صهيون حيث تقرر

أن تدمير القيم والأخلاق فى العالم مستمد من الجنس كأحد الأسلحة الفعالة ليتسنى لهم أن يحكموا كل الشعوب .

ولا ريب أن المراقبين يذكرون كيف غزت الأسواق فى الشرق العربى بعد حرب ١٩٦٧ موجة من هذه الأفلام الجنسية مازالت مستمرة ومتزايدة .

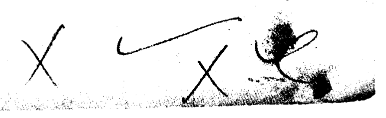
وقد صبغت صناعة السينما المحلية بلونها القاتم ومفاهيمها المسمومة ، والمقصود هو تدعيم جو الهزيمة والحيلولة دون نشوء جو من المقاومة واليقظة بين الشباب وقد فعل اليهود ذلك فى المناطق المحتلة وعلى مدار التاريخ .

فقد كان اليهود ينشرون الفساد الخلقى فى كل بقعة يحلون بها أو يحتلونها ليركن غيرهم إلى اللذات فلا يتنبهون لخطرهم فيقاومونهم .

وقد واجهت هذه المحاولات الخطيرة مقاومة ونقداً من كثير من العلماء الإجتماعيين فقالوا : « لا للسينما الفاضحة » . بعد أن ترددت السينما فى حمأة الكتابه الداعره التى تؤلف لاستثارة إحدى الغرائز الحيوية فى الإنسان لأهدف من كتابتها سوى الكسب المضمون فالخيال فى غريزة الجنس عنصر شديد الفاعليه .

وقد تطور أدب العصر عن بعض أهله إلى ما يوصف : البورتوجرافيا (الكتابة الداعرة) والمثل الذى يحضر فى هذا الصدد هو روايه عشيق الليدى تشاترلى تأليف د . ه . لورنس وهو المعدود من أوائل من كشفوا الستار عن سيكولوجية تلك الغريزة ولا ريب أن أسوأ ما يدعو إليه كتاب السينما هو قولهم أن أهم عنصر فى السينما هو الجنس والجريمة .

وأن التصوير السينمائى تحول من التصوير الجانبى إلى التصوير المكشوف للعلاقات الجنسية ، وأصبحت المناظر الداعرة شيئاً عادياً وإن واحداً من ثلاث أفلام



تعرض الآن فى الغرب بعضها واحد من هذا النوع حتى أصبح لا يمكن التمييز بين دور السينما وبيوت الدعارة.

وتؤكد الأبحاث أن وراء هذه الظاهرة الخطيرة : تحقيق الأرباح الخيالية وتنفيذ الاستراتيجية التى ترمى إلى تدمير القيم الإنسانيه والأخلاقية فى الشعوب والأمم : العربية والإسلامية .

وإن وراء طرح هذه الأفلام الرديئة العمل على إستعباد الإنسان اينما كان .

وإن محاولة خطيرة تحاول محاصرة الإنسان للقضاء على وجوده وتدميره داخلياً وذلك عن طريق أفلام اللامعقول والأفلام الخيالية والجنسيه وقصص الرعب وأفلام الكوارث وأفلام الحيوان التى تقول أن الحيوان هو عدو الإنسان الأوحد حيث تطرح أفلام متعددة عن وحوش مجسدة مميته وقاتله وضفادع ضخمة بشعه ورهيبة تبتلع إنساناً ، وجرز وافاعى وحيتان وزواحف تدمر المدن ويتفتق هدف هذه الأفلام عن أفكار دموية مفزعة زادت حدة الفزع لدى المشاهدين . ومن بين هذه الأفلام فيلم البلعوم ،عن حوت مصنوع يقوم بأعمال بشعة ومفزعة على الشاشة ، وقد حقق الفيلم فى إحدى عشر أسبوعاً من العرض رقماً خياليا من الدخل بلغ (١٢٤ مليون دولار)

ولا ريب أن هذه الأفلام التى تخصص للعالم الإسلامى والبلاد العربية تستهدف أمراً خطيراً هو الهاء هذه الشعوب عن حقيقة واقعها وظروفها والتحديات التى تواجهها .

أما السينما المحلية فقد جرت هذا المجرى فافسدت أزواق الجماهير بعرض

أشياء لا هدف لها ، الضحك للضحك ، ولم يعد عالم السينما سوى مايوهات وصدور عارية، وأن الجيل الجديد من الممثلين والكتاب والمخرجين قد أجرم إجراما شديداً فقد عمل إلى صهر الإنسان وراء الرمزيات والجرائم والاباحيات مما أفسد كثيراً من الأذواق وتصل إلى الواعيه الخفيه للشباب مفاهيم فاسدة مسمومه ستظل بعيدة التأثير فى حياتهم كلها .

ولا ريب أن أخطر ما فى هذا العمل كله هو عمل المخرج : الذى تثقف ثقافة الغرب واحتوته مفاهيم التلموزية والباطنية والمفاهيم التى يقدمها الدراما الغربية واليونانية والمفاهيم المسمومه التى تطرحها عن العلاقة بين الخالق تبارك وتعالى وبين الناس .

كل هذا ينقل لتصهر فيه مسرحيات وروايات عربية أو شرقية تختلف فى قيمها واتجاهها عن المفهوم الغربى الفاسد فالفكر العربى الإسلامى يقوم على السماحة والرحمة والكرامة وتبريد الغرائز وليس على القتل البشع والجريمة الجنسية ومشاهد التعذيب والموت البطىء والاغتصاب والتمثيل بالجثث، تلك صفة المجتمع الغربى وهى مضادة للفطرة ومعارضة للمفاهيم والقيم التى عرفها العرب والمسلمون منذ أربع عشر قرناوهى تدخل قلوب وعقول مجموعات من الشباب الصغير الذى لم يستوعب ثقافة الإسلام ولا مفاهيمه التى قدمتها له الأديان وقدمها له الإسلام .

وهى فى مجموعها تهدف تدمير النفس العربية الإسلامية والعقل العربى الإسلامى ، وتصويره بصوره المغلوب على أمره خاصة عندما يرى أمثال طرزان ودريكولا من أبطال وهميين غربيين يقهرون السود والشرقيين ، والمشاهد القياسية البعيدة عن اللطف والبشاشة والليونة .

ولقد وصف كتاب الغرب السينما بأنها افيون الإنسان المتمدن وأنه يذهب إليها هارباً من نفسه لينسى واقعه السيء بأن يعيش فى خيال كاذب مدمر وإذا عاد إلى حياته وجد أنه لم ينتقل خطوة واحدة ، وهـــذا ما يعترض عليه المفهوم الإسلامى الذى يدعو المسلم أن يواجه الحياه بطبيعتها ويعالج واقعها وأزماتها دون أن يهرب منها أو يخفى رأسه كالنعام فى الرمال .

وما نقوله عن السينما نقوله عن الأغنية التى فسدت وانهارت وقامت فى تصميمها على محور الحب المريض الذى تدور حوله كلمات الأغانى وهـذه الحركات المبتذله التى يؤدى بها المطرب أو المطربة اللحن بترقيص الحواجب وغمز العينين وهز الثديين ، وتوظيف الوسط والردفين وتحريك الرأس وتقليص عضلات الوجه بصورة متشنجة تعبيراً عن الألم الشديد للفراق والهجر . ويتصل بهذا الموسيقى الرخوة المعبرة عن أجواء قصور الحريم وتتملق عواطف الطرب الرخيص والإحساسات السوقية .

كل هـــذا يكشف عن فساد الأعمال الفنية المطروحة فى أفق المجتمع الإسلامى وما لها من آثار بعيدة المدى فى تـكوين الأجيال الجديدة .

ملاحق البحث (أولا)

عودة المرأة إلى البيت

* لماذا تقف جماعة دعاة التقدم لتحول دون تصحيح وضع خاطىء ؟
* لقد أثبتت التجربة فشلها أليس من الحق أن تعود إلى الصواب
* لقد تعالت صيحة المرأة الغربيه فى العودة إلى البيت بعد أن دمرت الأسرة وتحطمت الطفولة فهل ننتظر حتى نصل إلى هذه المأساة ؟

. . .

منذ وقت طويل ، والصيحات تتعالى فى الغرب تطالب فيها المرأة بالعودة إلى البيت ، المرأة هى التى تطلب العودة بالرغم من كل وسائل المواصلات المتاحة وأجور التفرغ وغيره من الامتيازات ، وقد جاء ذلك نتيجة إحساس داخلى بالضياع وفقدان الهوية فلم تكن المرأة فى الحقيقة هى التى خرجت للعمل ولكن الرجل هو الذى أخرجها . ومن يدرس قضية المرأة فى الغرب يعلم أن لها خلفيات خطيرة وبعيدة المدى ، أبرزها محاولة أخراجها من البيت ومن الأسرة ومن الأوضاع الطبيعية إلى أن تكون «أداة» تجرى وراء التفسير المادى للتاريخ فيحاول أصحاب المصانع تشغيلها بأجور أقل من أجور الرجال ، ويحاول أصحاب التفسير السيكولوجى الفرويدى جعلها «أداة» ترفيه ومتعة فى مراكز العمل ، ولقد كانت أبحاث العلماء واحصائيات الدارسين كلها تكشف عن أن صلاحية المرأة للعمل صلاحية جزئية وأن إنتاجها ضعيف ورديء وإنها تحتاج إلى مساعدة الرجل ومجاملته من أجل الوصول إلى أدنى درجة من التقدير العملى ، ومن وراء ذلك فلسفة مادية خطيرة يردها البعض إلى محاولة قوى الغزو التلمودى للمجتمع الغربى فى هدم الأسرة وتدمير الطفولة

وانقاص النسل وشغل المرأة بالزينة والسهرات والأندية وبذلك يمكن تدمير المجتمع . وقد كشفت دراسات الباحثين عن نتائج خطيرة فى هذا المجال ، ثم جاء دور الشرق ، ولسنا نحاول أن نستعرض التاريخ والمؤامرة ونوصى من يريد أن يلم بها أن يقرأ كتاب الأستاذ محمد عطية خميس « مؤامرات ضد الأسرة المسلمة » ولكن نقول ماذا عن عصارة التجربة بعد خمسين عاماً أو يزيد . . وانتحدث بمقاييس العصر . . هل استطاعت المرأة أن تقدم إنتاجاً نافعاً أو تعطى مجالات العمل ما يحقق التنمية أو زيادة الدخل؟

إن كل الإحصائيات التى قامت بها الدوائر المختصة قد كشفت عن عجز المرأة ، وأن عملها فى مجمله لا يحقق للأمة أى نتيجة لو أن هذه الوظائف كان يشغلها رجال ، وذلك راجع لأن عمليه تشغيل المرأة لم تتم على وجه سليم ، بل أن تعليم المرأة لا يزال يتم على أسس غير طبيعية ، فالمرأة ذات الكيان الخاص والطبيعة الخاصة يجب أن تكون لها مناهجها الدراسية المختلفة عن مناهج الرجل والتى يجب ان تعمل على أعدادها لمهمتها الأساسيه والخاصة والتى هى أكبر من كل عمل ، تلك هى الأسرة والامومة وتنشئة الطفل وإعداد المنزل . هذه هى مهمتها الاولى التى إذا تعرضت للخطر كان على المرأة أن تضحى بكل عمل فى سبيل حمايتها وإقامتها على أصولها ، أما نحن الآن فإننا نعرض مليونى طفل على الاقل لرعاية الخدم ونتركهم فى البيوت معرضين لاخطار الرضاعه الصناعية وظروف البيوت من بوتاجاز ومرض وهم فى تلك الفترة يفقدون أكبر مقوم لحياة الطفوله وهو الحنان حيث يعاملون عن طريق الخادمات ومراكز الطفولة بأسلوب جاف ويتعرضون لمخاطر متعددة فى الحركة أو الطعام أو الشراب ولا يجدون يد الام الحانية خلال هذه الفترة التى تمتد إلى الساعة الثالثه بعد الظهر فإذا عادت الام إلى البيت كانت منهكة من العمل والمواصلات وكانت ملهوفة على إعداد طعام

الغذاء وبذلك لا يعود الحنان إلى الطفل إلا فى المساء بعد يوم كامل قاس ، فإذا جاء المساء كانت الزوجة تستعد للسهرة وللخروج للزيارة أو للسينما أو للسهرة فى هذا النادى أو ذلك فإذا الطفل يفقد بقية اليوم إلا من لحظات قليلة لا تكفى لتكوين حياته ولملء نفسيته ومن ثم ينشأ الطفل محروماً من حنان الامــومة الذى يتصل بمباشرتها ورعايته ومن ثم يتعرض فى حياته المستقبلة لاضطرابات عصبية ونفسية لا حد لها ، ونحن نرى ، الام ، الآن تعيش ظاهرة خطيرة : تلك هى ظاهرة كراهية الاطفال فهى تنجب بمفهوم الزوجة التى تريد إرضاء الرجل بالولادة ، وهى فى نفس الوقت تكره تربية هذا المولود وتحرص على هجرانه والابتعاد عنه وتسليمه للخادمات وإذا كبر وأخذته معها فى زيارة أو خروج فإن عبارات تعاملها معه ، وما فيها من جفاف تكشف عن هذه الظاهرة الخطيرة ، ظاهرة انفصام شديد بين المرأة والطفل ، هى فى الصباح مشغولة عنه فى عصبيه شديدة لانها استيقظت متأخرة وتريد أن تلحق بالعمل ، وفى المساء مشغولة عنه بزياراتها ووقتها الذى تريد أن تستمع به ، والضحية فى هذا كله هو الطفل ، ذلك لان هذه الفتاة لم تتعلم مهمتها الاساسية : مهمة الامومة ومهمة الزوجية ومهمة البيت ولكنها تعلمت تعليم الرجال لكى تحصل على شهادة وبعدها تعمل وتقبض مرتباً تنفقه على الفساتين والاحذية ، وعلى الكماليات دون أن ينتفع منه البيت بمليم واحد ، فإذا جاء اليوم داع يدعو المرأة إلى تحقيق رغبتها بعد شقوة شديدة شاهدتها مرارا والمرأة داخلة إلى عملها بعد أن تمثلت قسوة المواصلات والزحام والخروج المبكر وترك الطفل المريض المرتفع الحرارة أو ترك الطفل قريباً من الموقد أو البوتاجاز وتظل تلك الفترة فى ذلك القلق الشديد ، الذى لا يمكنها من أن تعمل عملا نافعاً ، أو مجدياً ، إذا جاء هذا الداعية الطيب الكريم ليحقق لها ذلك الامل : أمل العودة إلى البيت ورعاية

طفلها بنصف أجر وتبدى من وراء ذلك أمل جديد هو قيام حياة الأسرة مرة أخرى على أساس طيب ، تتفرغ فيه المرأة لبيتها وزوجها وطفلها وجدنا أولئك الكارهين للأسرة الراغبين فى تدميرها أو الداعين لهدف بروتوكولات صهيون الذين عاشوا حياتهم يزينون للمرأة الخروج والتحلل من مسئوليتها ، ويدفعونها إلى مسابقات الجمال ، ومسابقات الأزياء ، والسهرات والنوادى ، نراهم وقد قامت قيامتهم الآن يقولون وهم الكاذبون المضللون .

« ليس من السهل إرجاع المرأة إلى البيت فإنه مخالف للتطور وللاتجاه العام وأنه ردة إلى الوراء ليست مقبولة بأى منطق أو تبرير » .

لماذا : أليس رجوع المرأة إلى البيت هو رجوع إلى الأصالة والفطرة والطبيعة ، أليست تلك تجربة قد تصلح وقد تبوء بالفساد ، وإذا كان قد تبين فشل التجربة ، بالإحصائيات فى مجال العمل الذى يدفع لها الأجر ، وإذا تبين مدى الاخطار التى لحقت بالأسرة ولحقت بالطفل ، أليس من الخير الرجوع إلى الحق وهو أولى من التمادى فى الباطل .

وما هو هذا التطور الذى يتشدق به أولئك المضللون ، وما هو الإتجاه العام ، أليس الاتجاه العام هو بناء الأمة وبناء أبنائها ، وأجيالها ، أليست لنا مفاهيم وقيم عربية إسلامية تختلف عن غيرنا ثم أليست أمامنا تجربة الغرب الفاسدة التى دمرت الأسرة والطفولة ، هل علينا أن نستمر حتى نصل إلى تلك النتائج الشريرة ، أم أنه من الخير لنا ما دمنا قد رأينا فساد تجربة مأن نرجع فى منتصف الطريق ، ما دمنا قد رأينا فساد تجربة أن نرجع فى منتصف الطريق ، أن ما يدعونا إليه هؤلاء من الاستمرار فى تجربة خاطئة

إنما هو الحق بعينه ، إنما هو الضلال والباطل ، والكذب على الأمة ، والتغرير بها وغشها .

أن هذه الملايين من الأطفال ستكون فى القريب شباب هـذه الأمة وعمادها فإذا نشأت هذه النشأة الحزينة الضارة ، محرومة من لبن الأم ومن حنان الأم ومن الأسرة الطيبة الجامعة ، حيث تحرم آفاق الفهم والعلم والتعرف إلى الرغبات والظروف عن طريق الأب والأم فى إجتماعها بأبنائها يوماً بعد يوم ، أى خير فى هذه الحياة المضطربة التى تقضيها المرأة فى دوائر العمل اليومى ، ولا عمل لها إلا التريكو ، أو الحديث أو قراءة الصحف أو قراءة القصص ، ودون أن يحقق لأسرتها شيئاً ، على العمل وعلى الدولة ، ودون أن يحقق لأسرتها شيئاً ، فإذا عادت منهوكة القوى فإنها لن تجد فى بيتها شيئاً ، وأى حياة تلك التى يحياها الرجل وزوجاتهم لاوقت لديهم لإعداد بيت أو إطعام طفل ، إنها حياه تافهة فارغة لاقيمة لها .

من الحق أن تعمل المرأة فى ظروف خاصة ، وأن تعمل المرأة فى نوع معين من العمل يتفق مع طبيعتها ولكن العمل على إطلاقه على النحو القائم الآن ، لا يؤدى إلى شىء ، فلا هو منتج فى دائرة العمل ولا هو صالح فى دائرة البيت . ولا يصح فى مفهوم الإسلام تضحية الأسرة والبيت والطفل من أجل العمل ، من أجل مورد ضئيل يضع أغلبه على ملابس الخروج ومصاريف الانتقال ، وعلى كميات تافهة لاقيمة لهاولا وزن لها أزاء الخسارة الكبرى البالغة التى تخسرها الأسره والمجتمع والأمة والبيوت .

نحن فى هذا الحديث لانعمم القول إلا بقدر ، ولكننا فى الواقع نتحدث إلى المرأه المسلمة التى تريد أن تعرف حكم دينها والتى ترغب فى تحكمه فى كل شئون حياتها فيما أباحه الإسلام فهو عندها المحرم .

أحب أن تعلم المرأه أنها لم تخلق لتنافس الرجل وإنما خلقت لتعينه وليكمل أحدهما الآخر ، وليسكن إليها :

[ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها] ومن سنن الحياه وطبائعها التى لا تتبدل ، أن الرجل قوامه تنظم أمور الحياه ، وقد قوات الطبيعة قسمة القوه والضعف بين الرجل والمرأه ، فجعلت القوه من نصيب الذكر والضعف من نصيب الانثى وجعلت الرجل أقوى قوه وأمتن بناء وأكثر احتمالا وأقداما وأكثر استعداداً لحل المشئوليات الجسام وجعل المرأه أكثر احتمالا لمهمة الولادة والرضاعة والقيام على الأسره فهما بذلك يتكاملان . ومن أجل ذلك فقد أعفى الإسلام المرأه عليهم من الولاية العامة بل حرم الولاية العامة عليها فليس لها أن تؤم الرجال ولا أن تأتمر عليهم ولا أن توجههم فليس المرأه المسلمة إذن أن تتمنى الوصول لمكانة الرجل أو أن تطلب هذا النوع من المساواه فيما فضل الله به بعضهم على بعض . ولكن لها أن تفهم مهمتها ورسالتها وتؤديها وعلى الامة أن تعدها لذلك وان توجهها إليه .

وأن المرأه الآن تؤيد العوده إلى البيت ، تلك المملكة الضخمة التى يحاول ان يغض من قدرها الكاذبون الذين يصورنها بأنها المطبخ او غسيل ملابس الأطفال ولكن الرجل هو الذى يعوقها ، فلماذا ، هل لانه يريد ان يجعلها موردا له ، يزيد به دخله ويحسن به وضعه المادى ، وهذا حرام فان أجر المرأه هو من حقها ، ام ان الرجل يريدها فى دوائر العمل لاسباب اخرى اما الكتاب الذين يحاربون الفكره فنحن نعرف خلفياتهم ونعرف اهداف الماسونية واندية الروتارى والليونز التى تريد ان لا تعود المرأه إلى البيت لان ذلك سيحول دون تحقيق هدف الصهيونية فى تدمير الاسره المسلمة والقضاء على وجودها .

ومع ذلك فسوف تنتصر فكرة الاصالة ، والفطرة ، وسوف تمتلك المرأه إرادتها الحقة فى العمل الذى خلقت له :

ثانياً : عندما دخلت بلادنا رياح السموم :

الماركسية والفرويدية والوجودية والمادية والشيوعية والعلمانية لإزالة الذاتية العربية وإذابة الكيان الإسلامي .

هذا الإنحراف الخطير الذي تردى فيـــه شبابنا وبناتنا في غياب المنهج الإسلامي الأصيل .

إن النظرة السريعة إلى الصحف المصرية في هـذه الأيام تكشف عن ظاهرة خطيرة ، قـــد أصبحت واضحة في مجتمعنا عميقة الأثر والدليل على ذلك : الانحراف الخطير الذي يتردى فيه شبابنا وبناتنا في غياب منهج التربية الإسلامية يصاحب ويرافق بناء هـذه الأجيال الجديدة في الأسرة وفي المدرسة وفي الشارع وفي المجتمع على النحو الذي يحميه من غائلة الاخطار والتحديات التي تجتاحه بشدة . وإن هذه المادة التي تقدمها الصحف لتلك الأحداث المتوالية لتلفت النظر إلى أن هناك شيئاً من ورائها هو غيبة الآباء والامهات غيبة تامة عن واجبهم المقدس في رعاية هذه الاجيال وتوجيهها وحمايتها بمـا ترى فيه من أخطار على نحو يكاد يصل إلى القول بأن الآباء والامهات يشاركون أو يحرضون أبناءهم وبناتهم على سلوك هـذا الطريق المنحـــرف .

وأن مجرد مراجعة العبارات التي تقال ليدل دلالة أكيدة على مدى عمق الخطر الكامن في نفوس الاجيال الجديدة والمفاهيم الوافدة المسمومة التي اعتنقت هذه القلوب والعقول .

وعندما نرى مثلا : فتاة تقول : (من أين إذن نأتي بمثل هذه الملابس الغالية التي يبلغ ثمن الواحدة منها ثلاثون جنيهاً) في الرد على استفهام المستفهم

عن الأوضاع التى يقارفونها ندهش أشد الدهشة ونعرف مدى الخطر الذى لحق أمتنا وأجيالنا الجديدة نتيجة تلك المعطيات الخطيرة التى أصبح يقدمها الراديو والتلفزيون والسينما والمسرح للشباب من خلال المسرحية والأغنية :

ذلك أن (أيدلوجية كاملة) خطيرة أشد الخطر مسمومة أشد السم ، تقدم لشبابنا وأبنائنا من خلال ذلك الحوار الذى يجرى فى التمثيليات والمسرحيات ، ومن خلال تلك الكلمات التى تشبه المصطلحات التى تجرى على ألسنة أبطال هذه التمثيليات ثم تصبح من الأمثلة التى يرددها الناس كأنما هى حقائق أو قوانين أو مسلمات . هذه المفاهيم الخاصة بالعلاقة بين الرجل والمرأة ، وقضية الحب العريضة الواسعة التى تناقش بأساليب غاية فى الكشف والإباحية . . والعلاقة بين الأب والابن وتلك الصور التى تقدم وفيها امتهان للآباء . . وفيها احتقار للزوج وما يتصل بهذا مما تصوره فيلم (أريد حلا) وما يفهم الشباب والفتيات من هذا الحوار الخطير ، وذلك الأسلوب الردىء البذىء الذى يجرى به الحوار ، وتلك التأوهات والتنهدات والصيحات التى تعلو أثناء الحوار المسرحى ، كل هذا قد انطبع على ألسنة الناس وعلى ألسنة الشباب وفى التعامل بين النساء والرجال ، وبين الذين فى موضع خدمة الناس وبين المتعاملين معهم . . وتستطيع أن ترى هذه الصورة فى وضوح تام إذا ركبت (أتوبيسا) أو دخلت سوقا أو وقفت فى طابور جمعية تعاونية . . أسلوب الحديث كله تحفز ، وعباراته قاسية ورديئة ، ونيات مطوية على دخل وكراهية ورغبة فى أخذ ما ليس لها بحق ، سواء فى علاقات الحب أو الزواج أو الأسرة أو التجارة أو التعامل .

هذه الظاهرة الخطيرة التى تسيطر على مجتمعنا الآن تكشف بوضوح مدى الخطر الذى يهدد الأجيال الجديدة فى علاقاتها الاجتماعية وفى مفاهيمها ،

وفى النوايا التى تحف تعاملها والتى تتمثل فى رغبة جارفة إلى « الغواية » مدخلا إلى « الاغتصاب » ونجد كتاباً من كتاب القصة يتخصصون فى هذا الفن ، فى إعطاء الشباب والفتيات مفاتيح التردى ، وأسلوب التعامل فى هذ اللعبة الخطرة ، وذلك بتقديم تلك الصور المكشوفة والإباحيه والجنسية المغرقة التى لا تقوى قدرات الشباب والفتيات النفسية على قبولها أو هضمها ، بالإضافه إلى أفلام العنف وأفلام الجنس والإباحة والمخدرات والسرقات التى هى دعوة مباشرة إلى الانخراط فى هذا السبيل حتى لتكاد المسرحيات والتمثيليات والأفلام تقتصر على محورين اثنين : (الجريمه والجنس) هذا بالإضافه إلى ظاهرة الكتب الرخيصه المبثوثة على الأسوار وفى الطرقات وكلها تتحدث عن الجريمه والجنس على نحو يخلق فى نفوس الشباب إحساساً عميقاً بشرعية هذه التيارات لأنها لا تعالج إلا فى صور التقبل والإعجاب والاستحسان ولا تنشر فى الصحف إلا فى أسلوب البطولات .

وتلك الإعلانات السينمائيه بصورها الصارخه وعباراتها القاسيه (المرأة والذئاب) الكوسه !! الخ وهذه الأغانى التى تدعو إلى الرغبة الجنسية وتحرض عليها وتكاد تستوعب ساعات الليل والنهار وبرامج إذاعة كاملة هى إذاعة الشرق الأوسط المفتوحة منذ الصباح إلى ما بعد منتصف الليل فى كل المقاهى .

من شأن هذا الجو كله أن يعطى منطلقاً واحداً للشباب والشابات ان الحياة كلها لهو وفراغ وجريمة وجنس ولهو وتسليه وخداع وصراع وتحريض وانتقام وغوايه واصطياد وليس لهذا كله حدود ، ولا عقوبات ، هكذا تصور التمثيليات من خلال حوارها وتعطى الشباب التحريض على أسرته وأهله ، وللفتاة الاندفاع إلى مطامعها وأهوائها . وللزوجة أن تبحث عن طريق غير طريق البيت أو الأسره إذا ما رأت عوجا . . وما هكذا

يمكن أن يكون المجتمع الإسلامى الذى يقوم منذ أربعة عشر قرناً على منهج من الرحمة والأخلاق والكرامة والعفة تضبطه حدود وضوابط وزواجر حتى لا يتعدى أحد حقه على حق غيره: من مال أو عرض ومن وراء ذلك كله لباس شفاف كاشف، وشعور مرخاة، وخلط عجيب بين أزياء الرجال وأزياء النساء ومخالفة فيها ترجل المرأة، وتأنث الرجل. وصدق المثل حين قال «استنوق الجمل».

جاء فى البروتوكول التاسع من بروتوكولات حكماء صهيون: ولقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميين (غير اليهود) وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها التام ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها.»

هذه الأجيال التى نحن مسئولون عنها أمام الله وأمام التاريخ وأمام هذه الأمة إننا لم نمهد لها طريق الحق، ولم ندلها على منابع الخير، ولم نقم بناءها على أساس الإيمان هناك مسئولية الآباء ومسئولية الأمهات أولا، وهناك مسئولية وسائل المسرح والبث الإذاعى والسينمائى والتليفزيونى. وهناك الصحافة بما تقدمه من صورة مكشوفه وقصة عاريه، وحديث عن كتب غربية فاضحه تمثل مجتمعها ولا تمثلنا. هذه الأجيال التى يجب أن تعرف التحديات الخطيرة التى تواجهها وتواجه أمتها، وذلك الخطر الماثل فى هذه المنطقه العربيه الإسلاميه من صهيونيه واستعمار وماركسيه، وما تحاول به كل القوى احتواء هذه الأمه بالسيطرة على شبابها وإخراجه من منطقة الإيمان ومن رحاب الدين ومن منهج الخلق ليكون عاجزاً بالتحلل والإباحية والفردية والأهواء عن مقاومة الخطورة التى تضمرها الصهيونيه للمجتمعات البشريه والاستيلاء عليها، وإن ما نراه الآن لينذر بالخطر ويكشف بصورة واضحه ما أضمرته بروتوكولات صهيون التى ركزت على هدم شباب

الأمم وتمزيق قلبه وتزييف عقله، واحتوائه، والسيطرة عليه، وصهره في بوتقة الأممية عن طريق حرية الجنس والجريمة وعن طريق لغة التمثيليات والحوار الهابط، وعن طريق الأغنية المكشوفة، والصورة العارية، والقصة الإباحية، وعن طريق ذلك الاحتواء الذي تفرضه لعبة كرة القدم على تلك الجماهير الكثيفة فتحرمها من أن تفهم رسالتها في بناء هذه الأمة، وتفهم رسالتها البشرية في هذا الوجود، وتعرف حق الله عليها والتزامها الأخلاقي ومسئوليتها التي يقوم عليها الحساب والجزاء الأخروي.

كل هذا تقتحمه الدعوات والتيارات والأيدلوجيات التي تواجه مجتمعنا اليوم حين دخلت إلى بلادنا رياح الماركسية والفرويدية والوجودية والمادية تحت تأثير غيبة «نور الإيمان بالله» كما يقدمه الدين الحق. في هذه السنوات التي سيطرت فيها محاولات تغريب العرب والمسلمين واحتوائهم وتغيير منابعهم ودفعهم إلى الحلقة المغلقة التي يدورون فيها «دائرة السوء» دائرة العلمانية والأممية من أجل أن يفقدوا ذاتيتهم وكيانهم الأصيل.

جاء في البروتوكول الثاني عشر: الأدب والصحافة هي أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين: ولقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدباً مريضاً قذراً يغذي النفوس.

وفي ظل الفراغ الموحش في النفس الإنسانية من ثقافة الروح والنفس والمعنويات وعطاء الأديان استطاعت هذه الرياح أن تنفذ إلى القلوب والعقول حيث لم تجد ما يصدها عنه ويرجع إلى نقص أسلوب التربية القومية التي لم تحمل لبناء النفس الانسانية أهمية بقدر ما عملت على بناء العقل والتعليم، وحين أصبحت هذه النظريات الغربية المتضاربة التي لم تصل إلى درجة العلم والتي عجزت أن تحقق شيئاً لمجتمعها، أن تصبح هذه النظريات مناهج علمية

تدرس فى كلياتنا وجامعاتنا وهى تتعارض تعارضاً تاماً مع جوهر الدين الحق ، وتبدو وكأنه لا يوجد للفكر الاسلامى العربى وجهات نظر أو مناهج أصيلة فى السياسه والاجتماع والاقتصاد والتربيه والقانون ، وهكذا وجد شبابنا أنهم ليسوا إلا شظايا طائرة لا جذور لها ولا أصالة تمتد إلى ثقافتها ودينها وعقائدها ، وإن كل شىء فى الفكر والثقافه هو غربى الأصل والواقع ، ومن ثم تشكل فى النفس والعقل العربيين ذلك الإحساس بالانتقاص للامه والفكر والثقافه العربيين الاسلاميين ، ثم فتحت له هذه المفاهيم الوافدة التى تدرس فى جامعاتنا على أنها علوم . خاصه ما يتعلق منها بالأخلاق والنفس والاجتماع ومسألة خلق الانسان فى كليات العلوم كل هذا خلق ذلك الاحساس الخطير الذى يتمثل الآن فى الاندماج بالحياة على أنها مهزلة أو لعبه ، وأن الأخلاق نسبيه وأن الحياة لقمة عيش عند ماركس وعطاء جنس عند فرويد ، كل هذا يتلقاه أبناؤنا على أنه مناهج علميه مع أنه لم يصل إلى درجة الحقائق العلميه وما تزال مذاهب دارون وماركس وفرويد وسارتر تجد نقيضها وتنكشف كل يوم عن زيفها واضطرابها . وأخطر ما فى ذلك كله أن نجد هذه المذاهب تقاوم منهج الايمان بالله والالتزام الأخلاقى والارادة الفرديه والمسئولية والجزاء وتدفع الشباب نحو الاهواء والرغبات والمطامع دون تقدير لحدود الله وضوابط المجتمعات . ومن هنا نجد ذلك الاضطراب الذى يسود الحياة الاجتماعيه ، ويدفع إلى هذه التجاوزات الخطيره نريد أن اضع العلوم والدراسات فى إطار القيم الدينيه والخلقية . فيكون الايمان بالله موجهاً لها وحاميا ومحافظا ، ولا يكون متعارضاً ولا خصيما .

تقول بروتوكولات حكماء صهيون : لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ، لاحظوا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل .

والأثر الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى (غير اليهودى) سيكون واضحاً لنا على التأكيد .

ويكفى أن نضع تحت أبصار الغيورين على هذه الأمة هذا الخبر الذى نشرته الإهرام يوم ٢٠ فبراير ١٩٧٦ :

• طباخة بالشقق المفروشة استدرجت جارتها التلميذة بالثانوى فجرت خلفها طابوراً من التلميذات تحت إغراء المال والملابس .

هذا عن انحراف الطالبات .. أما انحراف الطلاب فإليكم هذا الخبر الذى نشرته الصحف فى هذا التاريخ :

• عصابة أخرى يتزعمها طلبة تزوير الشهادات الدراسيه : شهادة مزورة مقابل ٨٠٠ جنيه لكل طالب .

وفى أخبار اليوم ٧٥/١١/٢٩ :

• حرض المدرس تلميذه على سرقة أبيه .

• طالب سرق من شقة جاره الموظف منقولات ومبلغ ٦٠٠ جنيه .

وفى الأخبار ١٩٧٦/٢/٢ :

• طالبة جامعية تقول للنيابة : طلقونى .. اتضح أن زوجى الطبيب طالب بالثانوى .

ومنها :

إحالة المحاسب قاتل ابنه إلى محكمة الجنايات .

ومنها :

• إعدام سفاح المحلة الذى اعتدى على فتاة ثم قتلها .

وفى الأخبار ١٩٧٦/٢/٨ :

• طالب يقتل فتاة فى الشارع بقليوب .

ومنها :

• شابان يحاولان خطف فتاة بشارع مجلس الأمة .

ومن قبل نشرت الصحف هذه العناوين :

• عصابة لتجارة الرقيق الأبيض تتزعمها صاحبة محل كوافير وزوجها .

ومن هذه الإشارات نعرف مجرى الريح ونكتشف مصدر الخطر الذى يواجه الأجيال الجديدة .

أما الشقق المفروشة وما وراءها من محاذير تتعلق بالسياحة وغيرها وأثر ذلك على الأسرة المصرية فذلك موضوع آخر ، أما موضوع اليوم فهو هذا الخطر الذى يحيط بالشباب والشابات . يقول الأستاذ حسين نعمان مدير النيابة :

إن نسبة طالبات الثانوى المتهمات فى جرائم الآداب فى ارتفاع .. وهذا مرجعه فى الأصـــل كما أسفرت التحقيقات إلى تفكك أسر هؤلاء الطالبات وانشغال رب الأسرة وانصرافه عن رعاية بناته .. حيث لوحظ أن الطالبات يخرجن فى أوقات متأخرة دون أن يتعرضن للسؤال عن كيفية قضاء هذا الوقت بعيداً عن منازلهم . وعند حضور ولى الأمر لاستلام ابنته من النيابة يصاب بالذهول عندما يجد ابنته فى مثل هذا الموقف ويعلل ذلك بانشغاله طوال الوقت ويتعهد أن يتعهدها بعد ذلك بالإشراف والقسوة .. يضاف إلى ذلك عدم إشراف المدرسة على تلميذاتها الإشراف الكافى من حيث إخطار أهلهن بغيابهن وانقطاعهن عن المدرسة . وهناك

نوع من الطالبات ابتعدن عن تعاليم الدين وقيم المجتمع الشرقى(حيث يعتبرن قضاهن الوقت مع بعض الشبان داخل مساكنهم نوعا من الحرية الشخصية تتطلبه المدنية والحضارة . وللاسف يجدن استجابة من أسرهن وهؤلاء أكثر انتشاراً فى الأوساط الاجتماعية الراقيـــة وحتى نحد من هـــذه الظاهرة يجب تعديل قانون الأحداث بإرجاع سن الحدث كما كان ١٥ سنة بدلا من ١٨ لأن معظم الطالبات بالثانوى يعتبرن أحداثاً طبقاً للقانون الجديد مما تضطر معه النيابة إلى تسليمهن لأهلهن أو أحالتهن لنيابة الاحداث لعدم الاختصاص وتخرج الفتـاة بدون دقاب والطباخات فى الشقق المفروشة يلعبن الدور الرئيسى فى التغرير بالطالبـات .

ويرد دكتور عاطف وصفى أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة عن أسباب تفشى ظاهرة المعاكسات وحوادث خطف الفتيات إلى عدة عوامل منها ما تقدمه أجهزة الاعلام من تصورات للعلاقة بين الشاب والفتاة وما تقدمه الأغانى مثل أغنية « فاتت جنبنا » وأغنية « ساكن قصادنا » وغيرهما وكذلك جميع الأفلام التى بها نمط المعاكسة مثـــل « مدرستى الحسناء » و « مدرسة المشاغبين » كذلك الموضوعات الحديثة فى ملابس المرأة وأثر ملابس الموضة المثيره وقال إن العوامل الاجتماعية السابقة لا تؤدى وحدها للجريمة فهى تؤثر على نمط معين من الشخصية يتسم بالتهور والجرأة وحب المغامرة وتحت تأثير كل هذه العوامل يتصور الشخص المريض أن خطف فتاة والاعتداء عليها ليس جريمة ويرد الدكتور عاطف هذه الانحرافات إلى التطور الحضارى السريع الذى لا يســـير مع نفس الخط مع التصور الاجتماعى ويرى أن القانون الجنائى جاء فى ظروف اجتماعية مخالفة لما هو سائد الآن فهو يحتاج إلى تعديل شامل نظراً لظهور أنماط اجتماعية

ناشئة عن التطورات الاقتصادية والاجتماعية التى أصابت المجتمع وأن أحكام جرائم الخطف والاغتصاب الموجودة الآن غير رادعة وغير كفيلة بإصلاح المجتمع .

ونحن نرى غير ما يرى الدكتور : نرى أن السبب الوحيد هو أن القوانين الوضعية والمناهج التربوية والتعليم مقصرة وقاصرة وعاجزة عن استيعاب حقيقة النفس الإنسانية وعلاجها ، وأن التعلل بالحضارة وتطورها أو العوامل الاقتصادية هذا كله لا يستطيع أن يقدم الإجابة الصحيحة لهذا الموقف وأن منهج الشريعة الإسلامية والتربية الإسلامية هما وحدهما صمام الأمن الوحيد الذى يلزم الأب والأم بالرعاية ويجعل المدرس والمعلم مربياً موجهاً وقدوة . . ولا بد من أن تصبح القيم العقائدية والأخلاقية فى نفوس شبابنا ذات قوة فاعلة وأثر كبير ، وأن تكون حدود الله وضوابطه لحماية النفس الإنسانية والمجتمع موضع الرعاية والتطبيق ولذلك فإنه :

لا بد من أن يتقرر منهج تربوى إسلامى كامل يحمى المجتمع من هذه الأخطار ويحمى الشباب والشابات من هذه التحديات التى تواجههم .

* لا بد أن تقدم الثقافة النفسية والروحية والدينية لتكون إطاراً للثقافة العقلية والعلمية .

* لا بد من تحرير مناهج التعليم من الآثار التى تركتها عهود الاحتلال ومن الأهداف التى قصد إليها الاستعمار والغزو الثقافى والتى تحول دون قيام أجيال جديدة من الشباب القادر على الربط بين الثقافة والخلق والجمع فى التربية بين النفس والعقل والجسم وهو ما تزال مناهج التربية والتعليم قاصرة عن بلوغه .

* لا بد من قيام التعليم فى إطار التربية الخلقية والدينية أساساً وأن تكون التربية والتعليم متكاملة : روحاً وجسما وعقلا .

* لابد كأساس من وجود تعليم مستقل للشباب و تعليم مستقل للمرأة لأن كلا منها يجب أن يتلقى ثقافة خاصة لتشكله حسب تركيبه العقلي والجسمي وحسب هدفه ومسئوليته في الحياة وحسب العلاقات بينه وبين الآخر على نحو يحقق حسن الاتصال بينهما على شرع الله ووفق الأهداف التي رسمها الدين الحق وطبقاً لرسالة الرجل ومسئوليته في الحياة ورسالة المرأة في البيت والأسرة والطفل .

* كل هذه الأخطار والتحديات التي يواجهها جيلنا هذا من الشباب والفتيات إنما تعود إلى تقصير الآباء والأمهات أولا عن مسئولياتهم الحقيقية في محيط الأسرة على النحو الذي كشفت عنه تحقيقات النيابة مما أوردناه وأن الرجل مشغول والمرأة مشغولة عن نتاجهما الذي يحميانه ويتمشيانه ويرعيانه حتى يكبر .

* لا بد أن تكون العلاقة بين الأب والام ، وبين الاب والام والأبناء ، وبين الأبناء والفتيات في الاسرة الواحده وفي المجتمع كله واضحة وصريحة وسليمة وقائمة على غير أساس « الغواية » التي دعا إليها وحسنها وقدمها للشباب وقصص وتمثيليات ومسرحيات وأفلام سينمائية جماعة من أبناء هذا البلد متابعين في ذلك ما حدث من زيف فلسفات الفرويدية والوجودية والإباحية والمادية .

فماذا هي فاعلة تلك السلطات الثلاث : التشريعية والتنفيذية والاعلام .

لقد وجدنا للشريعة الإسلامية أنصاراً فهل نجد للتربيـــة الاسلامية أعواناً . . . ذلك ما نرجوه ونحن نقدم صورة هذا الخطر إلى القلوب المؤمنة والعقول الواعية لتحمل مسئوليتها أمام الله وأمام أوطانها وأمتها وقد بلغت اللهم فاشهد .

آفاق البحث

	ص
مدخل البحث	٣
الباب الأول : رياح السموم التي طرحتها النظريات المادية	١٠
الفصل الأول : أثر الروافد الثلاث	١٣
الفصل الثاني : هدم الأسرة المسلمة	٢١
الفصل الثالث : محاولة القضاء على وظيفة المرأة الأساسية	٢٨
الفصل الرابع : محاذير تواجه رسالة الأمومة	٣٤
الفصل الخامس : أخطار في وجه الطفل المسلم	٤١
الفصل السادس : فساد أسلوب العيش الغربي	٤٩
الباب الثاني : التحديات في وجه المرأة	٦٣
الفصل الأول : التحديات في وجه المرأة المسلمة	٦٥
الفصل الثاني : عطاء الإسلام وعطاء الحضارة	٧٧
الفصل الثالث : تحديات الأسرة المسلمة	٨٦
الفصل الرابع : اللباس والزينة	١٠١
الباب الثالث : التحديات في وجه الشباب	١١٠
الفصل الأول : التحديات في وجه الشباب	١١٢
الفصل الثاني : الجريمة والجنس	١٢٢

الفصل الثالث : الفن ١٤٣
الفصل الرابع : المسرح ١٦٢
الفصل الخامس : السينما ١٧٨

ملاحق البحث

(أولا) عودة المرأة إلى البيت ١٨٦
(ثانياً) عندما هبت على بلادنا رياح الماركسية ١٩٢